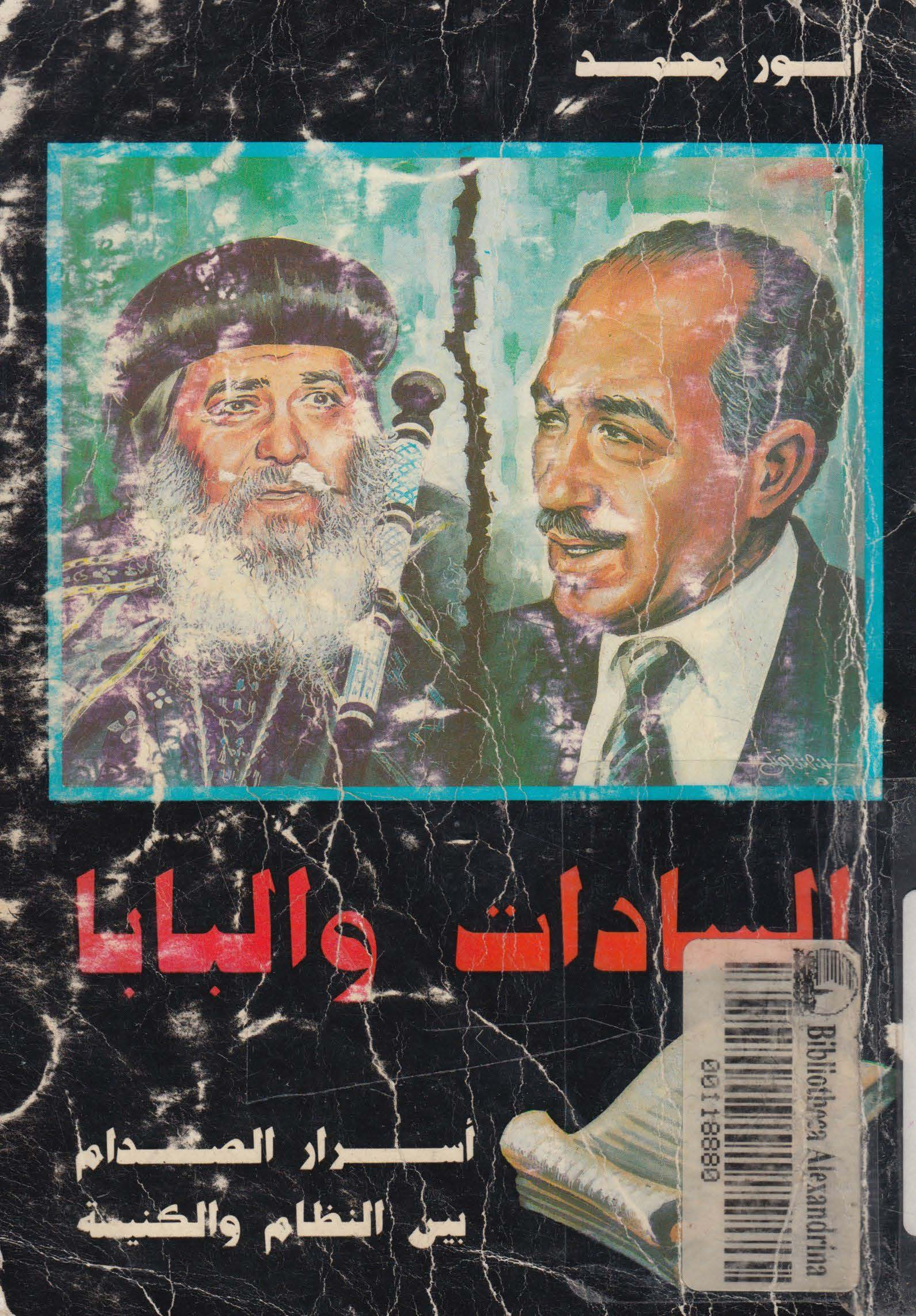


أنور محمد
السادات والبابا
أسرار الصدام
بين النظام والكنيسة

أنــور محمــد

الســادات والبــابـا

أســرار الصــدام

بــيـن

النظــام والكنيســة

الطبعة الأولى (١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م)

اهـــــداء

- إلى أول زعيم يحكم مصر وهى كاملة السيادة فى عصرها الحديث .. عصر ماقبل الثورة وعصر ما بعد الثورة .
- إلى زعيم افريقيا .
- إلى قائد النسور فى حرب أكتوبر ٧٣ .
- إلى الرجل الذى منحه الله الحكمة والضمير الوطنى اليقظ فأنقذ مصر من نار الفتنة الطائفية .
- إلى الرجل الذى اعاد البسمة إلى كل الأقباط .
- إلى الرئيس محمد حسنى مبارك .

أهدى هذا الكتاب .

« المؤلف »

مقدمة

قصة البابا شنودة الثالث بابا الأقباط مع الرئيس السادات قصة فريدة .. مثيرة .. بدأت بالصداقة والتعاون بينهما .. وانتهت بالخلافات الشديدة إلى حد القطيعة ، ومحاصرة البابا فى دير وادى النطرون . بقوات عسكرية لمنعه من مغادرته أو الاتصال بالاقباط ، وتعيين لجنة خماسية تقوم بمهام البابا بالمخالفة لقوانين الكنيسة .

واحتد الخلاف عندما وقف السادات فى مجلس الشعب على مدى ساعتين فى ١٤ مايو ١٩٨٠ يوجه للبابا وللكنيسة اتهامات خطيرة بلا اثبات أو دليل .. ويطلب من المجلس تشكيل لجنة لتقصى الحقائق .. وهل ننتظر من هذه اللجنة بعد أن ملأ السادات الدنيا اتهامات للبابا والكنيسة أن تقول إن ما قاله الرئيس خطأ ؟!!

ثم بدأ السادات يستخدم اجهزته الداخلية فى توجيه تهم معينة للبابا والكنيسة القبطية لم تكن لها قائمة ، وبلا دليل ، استاء منها الجميع .

وكان السادات يعتبر فى كل مرة يشكو فيها البابا تعباً للاقباط ، إن هذا تدخل فى سياسته الداخلية .. ويعتبر هذه الشكوى تشويها لسمعته ولسمعة مصر .. لأنه كان يعتبر نفسه مصر ، ومن يسىء إليه يسىء إلى مصر !!

وفى نفس الوقت الذى يتهم فيه البابا بالتدخل فى سياسته .. كان يطلب منه أن يبدى رأيه ليحصل على تأييد الأقباط فى كثير من المواقف السياسية .

وفى لقاء السادات مع البابا والمجمع المقدس باستراحته بالقناطر الخيرية فى سبتمبر ١٩٧٧ بعد أن استمع الرئيس إلى متاعب الأقباط وآلامهم . قال السادات : أنا لا اقبل لكم هذا الوضع .. أنا لم أكن أعرف أن حالتكم بهذا الشكل .. وإحنا نبتدى من جديد .

كان السادات يشعر أن الأقباط تعبانين ، ولكنه كان يريد منهم أن يصمتوا مهما أصابهم .. ولو تكلموا لأصبحوا يسيئون إلى عصره .. وفى نفس الوقت لا يأخذ أى إجراء لحمايتهم !!

ثم وقعت احداث الفتنه الطائفية فى الزاوية الحمراء .. واحداث اسيوط والمنيا .. اعتداءات على الطلبة الأقباط فى الجامعات .

هذه الاحداث .. وهذه الاجواء المشحونه بالتوتر والتعصب الدينى غريبة على مصر .. مصر السماحة الدينية .. سماحة الإسلام وسماحة المسيحية .

بدأت أسأل نفسى .. اننى لم أر مثل هذه الاجواء المشحونة بالتوتر والتطرف فى عهد الرئيس جمال عبد الناصر .. كما إننى لم أرها الآن فى عهد الرئيس حسنى مبارك .. لماذا إذن كانت فى عهد الرئيس السادات ؟!!

ومن أجل البحث عن اجابة على هذا السؤال بدأت على مدى أكثر من عام البحث والتحرى .. التزمت فى محاولتى ، الموضوعية والبعد عن التعصب الدينى ..

كان هناك أكثر من لقاء مع قداسة البابا شنودة الثالث .

كان أول لقاء مع قداسته فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون يوم الجمعة ٢٣ يونيه ١٩٨٨ . استقبلنى البابا فى مقره البابوى بالدير وتحدث معى أكثر من ٤ ساعات متواصلة .. تحدث عن كل شىء ، واجاب عن جميع تساؤلاتى واستفهاماتى .. تحدث عن لقاءات المحبة والصداقة بينه وبين السادات ، وكيف تحولت إلى خصومة وقطيعه بسبب مواقفه وعدم اتخاذه الإجراءات اللازمة لحماية

الأقباط من الاعتداءات المستمرة عليهم .. تحدث عن رحلته التاريخية لأمريكا ومقابلة الرئيس الأمريكى كارتر .. تحدث عن المغتربين المصريين فى الخارج .. وعن الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط .

ثم تعددت اللقاءات بقداسة البابا فى المقر البابوى فى الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة ، وحصلت على الكثير من الحقائق والوثائق واسرار الصدام بين السادات والكنيسة القبطية .. وتحدث معى عن سماحة الإسلام تجاه المسيحيين وتجاه أقباط مصر .. وقد وجدت فى هذه اللقاءات صراحة البابا المعهودة ، وحرصه على العلاقات الطيبة مع اشقائه المسلمين .

وليس غريبا أن يتصدى لهذا العمل مسلم يؤمن بتعانق الأديان السماوية ، ويؤمن بأن للأقباط حقوقاً علينا كأهل كتاب كما جاء فى القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ .

ومن خلال البحث وجدت أن البابا والسادات قد اختلفا فى كثير من المواقف ، وأن هناك البعض ــ من الطرفين ــ قد لعبوا دوراً فى زيادة حدة هذا الخلاف .

وإننى لا يسعنى إلا أن اتقدم بالشكر والعرفان لكل من تفضل بمعلومة ساعدت على إصدار هذا الكتاب بالشكل الذى يرضى اصحاب البحث والحقيقة .

[انور محمد]

الفصل الأول

الأزهر يحمى الأقباط

عبر التاريخ الطويل ضرب الشعب المصرى المثل فى التسامح والتآخى بين افراده دون تمييز بين دين أو لون أو طائفة فخلا تاريخ هذا الشعب العظيم من الحروب الطائفية والقبلية والأهلية واقام هذا الشعب على ضفاف النيل اقدم حضارة عرفتها الإنسانية .

ومنذ دخل الإسلام مصر وعلاقة المسلمين بالأقباط علاقة قوية يربطها مشاعر الحب والمحبة والترابط المتين ولم يشبها شائبه إلا فى بعض الأوقات التى حرص فيها المستعمر المحتل لهذه الأرض الطيبة أرض الكنانه على التفريق بينهما واشعال نار الفتنة الطائفية بين عنصرى الأمة أو فى وقت حكم بعض الحكام الضعاف الذين كان هدفهم التفريق بين المسلمين والأقباط . أما عدا هذه الأوقات فلم يحدث بين المسلمين والأقباط إلا تبادل المشاعر الطيبة والوطنية الخالصة لتراب هذا البلد الطيب .

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من السب والتشهير للطوائف يقول الله سبحانه وتعالى : « وَلاَتَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبؤهم بما كانوا يعملون » .

(سورة الأنعام ــ آية ١٠٨)

وقال تعالى : « وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم » .

(سورة النحل ــ آية ٩١)

وقد بين القرآن الكريم والشريعة الإسلامية أسلوب الدعوة إلى الله وإلى رسوله بعيدا عن الاكراه ..

يقول الله سبحانه وتعالى : « لا اكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى » .

وقال سبحانه وتعالى لرسوله الكريم وللمؤمنين :

ـ « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » .

ـ « لست عليهم بمصيطر »

(سورة الغاشية ـ الآية ٢٢)

ولقد خلق الله سبحانه وتعالى البشر وبعث فيهم الرسل والأنبياء ولو شاء لجعلهم أمة واحدة ..

يقول الله سبحانه وتعالى : « ولو شاء الله لجعلكم أمه واحدة ولكن ليبلوكم فيما أتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون » .

« سورة المائدة ـ الآية ٤٨ »

« لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا أنهم لا يستكبرون » .

(سورة المائدة الآية ٨٢)

« وليحكم أهل الأنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون » .

(سورة المائدة الآية ٤٧)

وقد أوصانا نبينا محمد ﷺ بالأقباط خيرا .. وتزوج عليه الصلاة والسلام من ماريا القبطية وانجب منها نجله إبراهيم .

وللأقباط منزلة غظيمة عند نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام وهذا ما يؤكده في احاديثه الشريفة :

قال ﷺ :

« أنا أولى الناس بعيسى بن مريم فى الدنيا والآخرة . ليس بينى وبينه نبى . والأنبياء أولاد علات امهاتهم شتى ودينهم واحد » .. رواه الأمام أحمد والبخارى ومسلم وتحدثنا السيرة النبوية أن الرسول ﷺ بشر بفتح مصر قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى وأوصى بقبطها خيرا لأن له فيهم نسباً وصهراً .

وقال موصيا بالأقباط :

« إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها . فإن لهم ذمة ورحما » « رواه مسلم » .

وقال : « إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً فإن لهم ذمة ورحماً » « رواه البيهقى » .

« من ظلم معاهدا أو ذميا فقد آذانى » .

وقالت السيدة أم سلمه . قال الرسول عن وفاته :

« الله الله فى قبط مصر » .

● ● ●

وقد ضرب محمد عليه الصلاة والسلام المثل الأعلى فى معاملة أهل الكتاب وجاء ذلك المثل السامى فى المصالحة مع أهل نجران بوثيقة تفيض عدلا ورحمة لغير المسلمين ليس فيها عنف أو إيذاء لهم أو سيطرة عليهم ولكن اشترط عليهم واشترطوا هم لأنفسهم ..

وجاء نص هذا الكتاب مايلى :

بسم الله الرحمن الرحيم .

هذا ما كتب محمد النبى رسول الله ﷺ لأهل نجران إذا كان له حكمه عليهم : إن فى كل سوداء وبيضاء وحمراء وصفراء وثمرة ورقيق وأفضل عليهم وترك ذلك لهم . ألفى حلة وفى كل رجب ألف حلة . كل حلة أوقية ما زاد الخراج أو نقص

فعلى والأواق فليحسب وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع اخذ منهم بحساب وعلى أهل نجران مقرى رسلى عشرين ليلة فما دونها وعليهم عارية ثلاثين فرسا وثلاثين بعيرا وثلاثين ورعا إذا كان كيدا باليمن ذو معذرة وما هلك مما أعاروا رسلى فهو ضامن على رسلى حتى يؤدوه إليهم .

ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم واساقفهم وشاهدهم وغائبهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وعلى أن لا يغيروا اسقفا من سقيفاه ولا واقها من وقيهاه ولا راهبا من رهبانيته وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يطأ أرضهم جيش ومن سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران على ألا يأكلوا الربا فمن أكل الربا من ذى قبل فذمتى منه بريئة وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ولا معنون عليهم . شهد بذلك عثمان بن عفان ومعيقب .

وقد حذا الخلفاء الراشدون والحكماء المسلمون حذو رسول الله ﷺ فى معاملة غير المسلمين وصاروا على رعاية الحقوق لغير المسلمين وأن التاريخ لملىء بالمشاهد التى تدل على سماحة الإسلام وحمايته لأهل الكتاب .

● ● ●

بعد وفاة النبى محمد ﷺ جاء وفد من نجران إلى أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فكتب لهم هذا الكتاب حذوا لكتاب النبى محمد عليه الصلاة والسلام فجاء هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما كتب به عبد الله أبو بكر خليفه محمد النبى ﷺ لأهل أجارهم بجوار الله وذمة محمد النبى ﷺ على أنفسهم وأرضهم وملتهم وأموالهم وحاشيتهم وعبادتهم وغائبهم وشاهدهم واساقفتهم ورهبانهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير لا يخسرون ولا يعسرون ولا يغير اسقف من اسقفيته ولا راهب من رهبانيته

وقال لهم بكل ما كتب لهم محمد النبى ﷺ وعلى ما فى هذه الصحيفة جوار الله وذمة محمد النبى ﷺ أبدا وعليهم النصح والإصلاح فيما عليهم من الحق .

وقد أوفى الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه مع من صالحوه وعاهدوه بعهدهم وأخلص فى الوفاء به اخلاص من يطالب نفسه به قبل أن يطالبوه ، ومن يراقب نفسه فيه قبل أن يراقبوه وقد تجلى ذلك واضحا فى الأمان والعهد الذى اعطاه لغير المسلمين فى بيت المقدس بعد فتحه على يد المسلمين .

كتب الفاروق عمر للنصارى فى بيت المقدس أمانا على أنفسهم وأولادهم ونسائهم وأموالهم وجميع كنائسهم ، بألا تهدم ولا تسكن .

وعندما حان وقت الصلاه وهو جالس فى صحن كنيسة القيامة . خرج وصلى خارج الكنيسة -- على الدرجة التى على بابها -- بمفرده .

قال عمر للبطريرك : لو صليت داخل الكنيسة لأخذها المسلمون من بعدى .

قالوا : هنا صلى عمر ثم كتب كتابا يوصى به المسلمين ألا يصلى أحد منهم على الدرجة إلا واحد واحد غير مجتمعين للصلاة فيها ولا مؤذنين عليها .

بينما صلى السادات فى مكتب البابا شنودة فى الكاتدرائية المرقسية بالعباسية وبعد ذلك اعتقله ضمن قرارات سبتمبر ١٩٨١ وشن عليه حمله شعواء ظالمة !!

جاء فى كتاب الفاروق عمر بن الخطاب لأهل إيلياء فى بيت المقدس : هذا ما اعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل ايلياء من الأمان . اعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم سقيمها وبريئها وسائر ملتها : إنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينتقص منها ولا من خيرها ولا من صليبهم ولا من شىء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ولا يسكن إيلياء معهم أحد من اليهود وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن وأن يخرجوا منها الروم

واللصوت (اللصوص) فمن خرج منهم فإنه آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية .

ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروح ويخلى بيعهم (معبد النصارى) وصلبهم فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم .

وليس لذى عهد من ظافر أن يطمع فى أمان أكرم من هذا الأمان .

وإنه لقد كان يعطيهم عليه وعلى قومه هذه العهود ثم لا يقنع لها حتى يشفعها بالوصاه للولاه أن يمنعوا المسلمين فى ظل أهل الذمة وأن يوفى لهم بعهدهم وينضح (يدافع) عنهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم .

● ● ●

وكتب التاريخ حافلة بالأمثلة التطبيقية للتآخى بين المسلمين والمسيحيين . كما أنها مليئة بالصور المشرقة للمحبة والتسامح بينهم جميعا وكلها تشيد بكفالة حرية العقيدة واحترام دور العبادة وعدم إغلاق باب من أبواب التملك أو العمل فى وجه أهل الكتاب وكل من الامام أبى حنيفة والامام أحمد بن حنبل يقرر أن حياة الذمى تكافىء حياة المسلم وديته هى دية المسلم .

وتحدثنا كتب التاريخ كذلك انه فى عهد عمر بن عبد العزيز قام الوليد بن عبد الملك والى دمشق بهدم جزء من كنيسة يوحنا ليضيفه إلى المسجد الأموى فشكا إليه النصارى فى دمشق وعرض المسلمون أن يدفعوا تعويضا للكنيسة فأصدر عمر بن عبد العزيز قراراً بهدم جزء من هذا المسجد ورده للكنيسة وعندما تباطأ والى دمشق فى التنفيذ أصدر قرارا جديدا حدد فيه اليوم والساعة التى يجب أن تتم فيها عملية الهدم والتسليم .

وبذلك يكون الرواد الأوائل فى صدر الإسلام قد ضربوا لنا الأمثلة العديدة

عن التسامح الإسلامى الذى يستظل به الجميع والذى تؤكده الشريعة ، حيث عاش الجميع من المسلمين والأقباط فى ظل المحبة والعدل والمساواه .

وقد تولى بعض وظائف الدولة من أهل الذمة كالمسلمين تماما ، الذين توافر فيهم شروط الكفاية والأمانة والاخلاص للدولة . .

ففى زمن العباسيين تولى الوزارة بعض النصارى اكثر من مرة منهم نصر بن هارون سنة ٣٦٩ هجرية وعيسى بن نسطورس سنة ٣٨٠ هجرية وقبل ذلك كان لمعاوية بن أبى سفيان كاتب نصرانى اسمه سرجون وآخر ما سجلة التاريخ من ذلك ما سارت عليه الدولة العثمانية فى عهدها الأخير حيث اسندت كثيرا من وظائفها إلى رعاياها من غير المسلمين .

وفى مصر قبل الثورة تولى رئاسة الوزارة بطرس غالى الذى اغتيل ، كما تولى ويصا واصف رئاسة مجلس النواب المصرى ، ولا تخلو وزارة حتى الآن بعد الثورة من وجود وزراء من المسيحيين .

● ● ●

وصف المؤرخ القبطى ساويرس ابن المقفع دخول عمرو بن العاص مصر وكان بطريرك الأقباط بنيامين مختفيا من وطأة الاستبداد البيزنطى .

يقول ساويرس : كتب عمرو إلى عمال مصر كتاباً يقول فيه : « الموضع الذى فيه بنيامين بطريرك النصارى له العهد والأمان والسلامة من الله فليحضر آمنا مطمئنا ويدبر حال بيعته وسياسة طائفته ... » ثم يصف لقاء الرجلين .. « فلما رآه عمرو اكرمه » : وقال لأصحابة : إن فى جميع الكور التى ملكناها إلى الآن مارأيت رجلا يشبه هذا . ثم التفت إلى عمرو إليه وقال له : جميع بيعك ورجالك اضبطهم ودير احوالهم » .

ويعلق الدكتور وليم سليمان على ماذكر ساويرس فيقول : كان هذا هو اللقاء الأول بين المسيحية والإسلام على أرض مصر .. لم يكن سمقا .

وما يعطيه قيمته التاريخية أنه يعقب قهراً كان يمارسه مسيحيو بيزنطه ضد مسيحيي مصر . ومن الواضح أن أساس اللقاء احترام كل طرف لعقيدة الآخر[1] . وإذا كان هذا هو اللقاء الأول للإسلام الفاتح بمسيحية أقباط مصر فكيف به مع معايشة دامت أربعة عشر قرناً وفى رباط قومى وثيق .

وكان للأزهر الشريف دور بارز فى حماية أقباط مصر من الحكام المتعصبين ، يذكر ميخائيل شاروبيم فى « الكافى » أن الوالى عباس الأول الذى تولى الحكم قبل محمد سعيد كان شديد النقمة على النصارى وأخرج منهم كثيرين من خدمة الدولة وأراد أن يدبر اخراجهم من وطنهم وتبعيدهم إلى السودان ولزمه لتنفيذ هذا الأمر أن يستصدر من الأزهر فتوى بجوازها فطلب إلى الشيخ الباجورى شيخ الجامع الأزهر وقتها الرأى فى جواز ابعادهم ، فرفض الشيخ انفاذ رغبة الوالى قائلا « إنه إذا كان يعنى الذميين الذين هم أهل البلاد واصحابها فالحمد لله لم يطرأ على ذمة الإسلام طارىء ولم يستول عليها خلل وهم فى ذمته إلى اليوم الآخر . فإن كان الوالى يعنى بالنصارى الفرنجة النازلين فى البلاد فليحذر أن فعل بهم شراً أن يحل بالبلاد ما حل بالجزائر من الفرنسيين » . وكان موقف الشيخ هو الموقف التقليدى للفكر الإسلامى عبر التاريخ اظهر فى نظرته إلى غير المسلمين من اهل الكتاب وإلى المسيحيين خاصة تعاملا سمحاً ورحباً إذا قورن بأى تنظيم آخر عبر هذه الحقب . وإن صار ذلك من تراث الفكر الإسلامى بعدها ..

وفى مصر خاصة كان التلاؤم أكثر قوة ، وكثيرا ما كان يتردد الحديث النبوى الشريف الذى أوصى العرب بالقبط لأن لهم فيهم نسبا ويرجع هذا النسب إلى السيدة هاجر المصرية زوجة إبراهيم عليه السلام وأم إسماعيل ابى العرب . كما يرجع إلى زواج النبى ﷺ بمارية القبطية[2] .

---

(١) د . وليم سليمان قلادة « الإسلام والمسيحية على أرض مصر » .
(٢) طارق البشرى « المسلمون والأقباط » .

وقد حفظت كتب تاريخ الكنيسة القبطية فى القرن الثامن عشر أن البطريرك بطرس السادس الذى تولى البطريركية من ١٧١٨ إلى ١٧٢٦ م كان يتمسك بتطبيق القوانين الكنيسية على أبناء الكنيسة فى مسائل الزواج والطلاق .. ووقع خلاف بينه وبين كبير الأمراء فى ذلك الوقت ابن إيواظ على أمر من هذه الأمور . وناصر ابن إيواظ كثير من أهل الرأى والمكانة . ثم عرض النزاع على علماء الأزهر فأفتوا بحق بطرس السادس فيما يطلب ونصروه على ابن إيواظ . وكان هذا الأخير رجلا عادلا حكيما فرضى حكم العلماء واستصدر من الوالى أمراً بتمكين البطريرك مما يطلب وألا يتعرض له أحد بذلك . وقد سجل ذلك أيضا على باشا مبارك فى خططه[٣] .

• • •

ولم ينس أبناء مصر قط الدرس الذى تلقوه فى الدين وفى السياسة من الامبراطورية المسيحية ابتداء من القرن الرابع ، ولهذا اعرض الاقباط تماما عن النظر إلى الغزاه على أنهم مسيحيون يربطهم بهم ايمان واحد . حاول الصليبيون أخذ مصر ولكنهم فشلوا ولشدة غيظهم من عدم مساعدة الأقباط لهم أصدروا قانونا بمنع أقباط مصر من زيارة القبر المقدس .

يقول جاك تاجر إنه « لما احتل الصليبيون القدس منعوا النصارى المصريين من الحج إلى هذه المدينة بدعوى أنهم ملحدون .

وكتب احد المؤرخين الأقباط يشكو من هذه المعاملة قائلا : « لم يكن حزن الأقباط بأقل من حزن المسلمين »

---

(٣) د. وليم سليمان قلادة « الإسلام والمسيحية على أرض مصر »

ولما دخل الصليبيون دمياط أساءوا إلى الأقباط وانكروا عليهم حقوقهم وعينوا مطرانا لدمياط من قبل كنيسة روما اللاتينية . كما أنهم قتلوا كثيرين وأخذوا الأطفال من احضان امهاتهم (٤)

وفى سنة ١٢٠٤ م فى أيام الملك العادل فاجأ « الافرنج » مصر من جهة رشيد وتقدموا إلى فوه وتحصنوا فيها . وكان فيها أقباط كثيرون ولها اسقف مخصوص فقتلوا كثيرين وطردوا غيرهم وسبوا البعض ، والبعض الآخر لم يسعه إلا الهرب .

ولما انهزم الصليبيون ابتهج الأقباط . ولما رأى الملك الكامل ذلك منهم ركن إليهم وقربهم ورفع مقامهم وعمل على ما فيه راحتهم[٥] .

واثناء الثورة العرابية . تحمست الأمة لقتال الأنجليز اعداء الوطن فهب الأهالى مسلمون وأقباط للدفاع عن وطنهم . وأعلن عبد الله النديم خطيب الثورة العرابية أن الحرب بين مصريين وغزاه وليست بين مسلمين ومسيحيين .

وأعلن بطريرك الأقباط أن الأنجليز خرجوا عن تعاليم المسيحية الحقة التى تدعو إلى السلام وعدم الاعتداء[٦] .

● ● ●

ولم تعرف مصر الإسلامية الفتنة الطائفية إلا بعد دخول الاستعمار بسياسته المعروفة « فرق تسد » حتى يضمن البقاء للاحتلال بعد ضرب الجبهة الداخلية . حاول الاستعمار إثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط لتفريق الأمة واتهم البعض الأقباط بمساندة الاستعمار الأجنبى ولكن هذا الاتهام لم يستمر طويلاً .

---

(٤) نفس المصدر .
(٥) نفس المصدر السابق ص ٢٢٧ .
(٦) المصدر السابق ص ٢٣٥ .

وعندما قام الزعيم الوطنى مصطفى كامل بتأليب الرأى العام العالمى ضد الاحتلال البريطانى والتنديد بمذبحة دنشواى فى مؤتمر بروكسل عام ١٩٠٧ وطالب بالاستقلال والدستور اقامت الصحف الأنجليزية مثل « الاجيبشيان جازيت » التى كانت تصدر فى مصر بلسان الاستعمار تنشر المقالات التى تزعم فيها أن الأقباط مظلومون ومضطهدون ويجب النظر فى شكاواهم فتنبه الزعيم مصطفى كامل وقيادات الحزب الوطنى مسلمون ومسيحيون إلى الفتنة التى أراد أن يثيرها الاستعمار البريطانى فدعوا إلى عقد المؤتمرات الوطنية لشجب التفرقة بين المسلمين والأقباط . وبعد وفاة الزعيم مصطفى كامل كان أقباط مصر أول المتبرعين لتخليد ذكراه بإقامة تمثال له .

● ● ●

وكان أول قرار حزبى يدعو إلى الوحدة الوطنية قد صدر فى يونيه ١٩٠٨ ووقعه أحمد فايق باشا وكيل الحزب الوطنى . وقد ورد فى القرار أنه لا نزاع ولا افتراق بين المسلمين والمسيحيين وأن كل من يدعو إلى الفرقة بين عناصر الأمة لا ينطق بلسان الحزب .

وكان الاستعمار قد استمر فى رسالته البغيضة ليتمكن من تأليب بعض القيادات القبطية فيعقدون فى ٦ مارس ١٩١١ المؤتمر القبطى بمدينة اسيوط لبحث شئون الأقباط .

وقد رفض بطريرك الكنيسة القبطية عقد هذا المؤتمر وقرر عدم الاعتراف بما يصدره من قرارات[٧] .

---

(٧) تقرير مجلس الشعب عن احداث الفتنة الطائفية .

ويسجل اللورد كرومر فى مذكراته فشل السياسة التقليدية الانجليزية فى مصر .. كما يسجل أن الأقباط كانوا يواجهون الانجليز بمشاعر خالية من الصداقة وأنه لم يجد أى فارق بين سلوك الأقباط والمسلمين فى الأمور العامة ويقول : إن الفارق الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الأول يصلى فى كنيسة والثانى يصلى فى مسجد[٨] .

ويتجسد الرباط المقدس بين المسلمين والأقباط تحت شعار الصليب مع الهلال فى ثورة ١٩١٩ بزعامة سعد زغلول وحزب الوفد قبل الثورة .

يقول الكاتب الصحفى مصطفى أمين : « ثورة ١٩١٩ هى ثورة شعب ، كل الشعب ، ليست ثورة طائفة أو طبقة ، العامل والباشا حاربا فيها جانبا إلى جنب ، الفلاح وصاحب الأرض علقا فى مشنقتين متجاورتين ، المسلم كان بطلا والقبطى كان بطلا . من مفاخر سعد زغلول زعيم الثورة أنه استطاع أن يوحد بين الأقباط والمسلمين فى مصر . لم يراع نسبة عدد السكان بين الأقباط والمسلمين فألف الوفد بعدد من الأقباط أكثر من نسبتهم العددية ، عندما ألف أول وزارة للشعب فى سنة ١٩٢٤ قدم إلى الملك فؤاد قائمة بأسماء وزرائه العشرة ــ قال الملك إنه يوجد خطأ ! إن التقاليد أن يكون عدد الوزراء عشرة منهم واحد قبطى وتسعة مسلمين . ووزارة سعد فيها قبطيان وثمانية مسلمين . قال سعد للملك : « هذه ليست وزارة تقاليد ، إنها وزارة ثورة ! ، عندما كنا نحارب الانجليز نفوا إلى جزيرة سيشل زعماء الثورة ، كنا اربعة مسلمين وأثنين من الأقباط ! عندما حكم الانجليز بالأعدام على زعماء الثورة كانوا أربعة مسلمين وثلاثة من الأقباط . عندما كان الأنجليز يطلقون الرصاص على الشعب الثائر لم يراعوا النسبة بين الأقباط والمسلمين ، فكيف أراعيها اليوم ؟ » وكانت وزارة سعد هى أول وزارة فى مصر فيها وزيران قبطيان وثمانية من المسلمين » .

---

(٨) د وليم سليمان قلادة . « الإسلام والمسيحية على أرض مصر » ص ٢٩١ .

يروى الدكتور مصطفى الفقى سكرتير الرئيس حسنى مبارك للمعلومات فى كتابه « الأقباط فى السياسة المصرية » : أن الأقباط فى مصر طائفة فريدة إذا قورنت بالأقليات الأخرى فى العالم إذ أن جذورهم العميقة وأصولهم الواضحة فى دولة لها تاريخ طويل معروف جعلتهم جزءاً لا يتجزأ من نسيج الشعب المصرى بأغلبيته المسلمة ــ اجتماعيا وديموغرافيا ــ ويوضح استقراء التاريخ أن أوضاعهم تأثرت تاريخيا بالسياسات التى ينتهجها الحكام وفقا لأسلوب كل منهم خصوصا وأن الأقباط كانوا مصدر دخل لخزانة الولاة فى بعض الأحيان عن طريق الجزية أو الضرائب التى كانت تثقل كاهل السكان أقباطا ومسلمين[٩] .

وقد ظل الأقباط لعدة قرون بمنأى عن الحياة العامة فى مصر لكن مشاركتهم بدأت تتزايد تدريجيا فى قطاعات معينة بالإدارة الحكومية مع ميلاد مصر الحديثة فقد أصبح الأقباط ــ منذ الحملة الفرنسية وحكم محمد على ــ عنصرا فعالا وهاما فى الحكومة خاصة فى الشئون المالية والإدارية .

وقد مرت العلاقة بين المسلمين والأقباط بمرحلة عصبية بعد وفاة مصطفى كامل بفترة قصيرة إذ أن الحزب الوطنى الذى اسسه قد شهد تحولا ذا طابع دينى بعد رحيلة وكان حادث اغتيال بطرس غالى رئيس الوزراء القبطى السبب المباشر لبدء تلك الفترة العصبية إذ عقد مؤتمر قبطى ليقدم مطالب الطائفة إلى الخديو والحكومة ولم يلق المؤتمر تشجيعا من السلطات البريطانية كما لم يتحمس له كثير من الأقباط وتلا ذلك عقد مؤتمر إسلامى ــ كرد فعل للمؤتمر الأول ــ ولكن العناصر الأكثر إتزانا من المسلمين والأقباط نجحت فى الحيلولة دون تدهور أكثر فى الموقف .

وقد مرت الحركة الوطنية المصرية بعد ذلك بفترة هدوء نسبى لتأتى بعدها احداث ملتهبة تمثل ريعان الحركة الوطنية بزعامة سعد زغلول حيث بلغت مشاركة الأقباط فى الحركة الوطنية والحياة السياسية المصرية أعلى درجاتها .

---

(٩) د. مصطفى الفقى « الأقباط فى السياسة المصرية » ص ١٥٨ إلى ١٦٠ .

ويرتبط دور الأقباط فى الميدان السياسى بالحركة الوطنية المصرية قبيل عشرينيات هذا القرن إذ هيأت الشخصية العلمانية لثورة ١٩١٩ ومزاجها المصرى الخالص للأقباط فرصة حقيقية للأسهام بقوة فى المواقف الوطنية وتبديد أيه شكوك كانت تتردد حول شعورهم الحقيقى تجاه الحكم البريطانى ، وشجعت السياسة الزغلولية التى ترفض التفرقة الدينية العنصر القبطى على أن يصبح أكثر فعالية فى الحركة الوطنية المصرية .

كما يرى الدكتور مصطفى الفقى : أن تدقيق النظر فى دور الأقباط فى التاريخ السياسى لمصر الحديثة يوضح أنهم قد لعبوا دورا محسوسا فى المجتمع واهتموا بالتجانس السياسى والانصهار الكامل فى الحياة السياسية ولم تختلف افكارهم وآمالهم عن أفكار وآمال بقية المصريين ، فلم يكن للأقباط احياء خاصة بهم طوال تاريخ مصر كما كانت ظروفهم الاجتماعية تتحدد وفقا لنزعة الحاكم وميوله ، فعندما كان الحكام يحسنون معاملتهم ويتميزون بالسماحة تجاه معتقداتهم كان الاقباط يقومون بدور فعال اجتماعيا وسياسيا ولكن حين كان الحكام غير ذلك فى بعض مراحل تاريخ مصر الإسلامية ــ كان الإقباط ينسحبون من الحياة العامة ويتحولون إلى طائفة منكمشة ويصبحون سلبين على الصعيدين الاجتماعى والسياسى .

وتمثل ثورة ١٩١٩ بداية العصر الذهبى للمشاركة القبطية فى الحياة السياسية تحت رايات الوحدة الوطنية . ولم تبن وحدة مصر فيها بنفى الهلال أو الصليب بل كان رمزها احتضان الهلال للصليب كرمزين لاحتضان الغالبية الدينية الإسلامية للأقلية المسيحية والمساواة والمشاركة فى الوطن والتحاب فى العيش والتجاور .

وتجلت ايضا وحدة المصريين مسلمين واقباطاً فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ حينما سال الدم الواحد ، الدم المسلم بجوار الدم المسيحى بعد نداء واحد وتكبير واحد للنصر .. الله أكبر .. الله أكبر ليصنع الأبطال مسلمون وأقباط اعظم انتصار لمصر فى عصرها الحديث على إسرائيل .

الفصل الثاني

البابا ١١٧

الأنبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية هو الأب الروحى للأقباط .. هو البابا رقم ١١٧ فى تاريخ بابوات الاسكندرية .

لعب قداسة البابا شنوده دورا وطنيا كبيرا قبل وبعد حرب أكتوبر المجيدة عام ١٩٧٣ ويسجل له التاريخ دوره الوطنى عندما أعلن فى محاضرة له بنقابة الصحفيين فى ٢٦ يونية ١٩٦٦ بأن المسيحية لا تعترف بالصهيونية ولا بالخرافة التى تزعمها إسرائيل بأنها شعب الله المختار . كما أكد هذا المعنى خلال لقائه بالرئيس الامريكى جيمى كارتر أثناء لقائه بالبيت الأبيض .

كما يسجل له التاريخ قراره بمنع الأقباط من زيارة القدس إلا بعد تحريرها وفى صحبة اخوانهم المسلمين .

وقد اعلن الأنبا شنودة فى مؤتمر صحفي بالمقر البابوى عام ١٩٦٣ رفضه لمحاولة الكاردينال (بيه) أحد كرادلة الفاتيكان تبرئة اليهود من دم المسيح ليضيف إلى رصيده القومى موقفا عظيما من مواقفه التاريخية .

وموقف آخر يؤكد فيه البابا شنودة أن على المسيحين واجب تجاه اخوانهم فى مصر أن يضعوا أيديهم فى أيدى سائر الأديان للتعاون فى خدمة الإنسانية ونشر الايمان والتقوى والمحبة والسلام فى العالم .

وقداسة البابا شنودة الثالث هو نظير جيد وقد ولد فى ٣ أغسطس ١٩٢٣ بمحافظة أسيوط وتوفيت والدته فور ولادته فتعهدته زوجه شقيقه الأكبر روفائيل بالرعاية . كان دائما مجتهدا فى دراسته فتصدر فرقته بالتفوق باستمرار حتى التحق بكلية الآداب ونال الليسانس فى التاريخ عام ١٩٤٧ ثم درس فى الكلية الاكليريكية ونال البكالوريوس فى اللاهوت عام ١٩٤٩ . كما درس بمعهد الآثار .. والبابا شنوده يجيد اللغة الانجليزية بالأضافة إلى عمله ..

ولكن قداسة البابا كان محبا للرهبنه والخدمة الروحية والدينية فاستقال عام ١٩٥٤ وذهب إلى دير السوريان بوادى النطرون حيث تم رسامته راهبا باسم انطونيوس السوريانى فى ١٨ يولية ١٩٥٤ .

وقد اختار الراهب انطونيوس « مغارة » بعيدة عن الدير فى جوف الصحراء حيث عكف على الصلاة والتأمل والكتابة والتأليف .

وظل البابا شنودة فى دير وادى النطرون أحد عشر عاما لا يغادره مرة واحدة منذ عام ١٩٥٢ إلى ١٩٦٣ قضاها فى التأليف والترجمة ونسخ المخطوطات الأثرية ودراستها واعادة كتابتها حيث اشترى مطبعة صغيرة مع عدد من الرهبان وقام بنسخ المخطوطات القديمة وبيعها بأسعار التكلفة .. هذه السنوات داخل الدير والمغارة أثرت كثيرا على شخصية البابا فجعلته رجلا روحانيا متأملا فى الحياة والآخرة وصقلت فيه موهبة الشعر مما جعلته صحفيا نتشرف بعضويته فى نقابة الصحفيين وقد رأس تحرير أكثر من مجلة دينية منها الكرازة .

اختاره البابا الراحل كيرلس السادس لثقته به سكرتيرا خاصا له ثم رسمه اسقفا عام للتعليم الدينى فى سبتمبر ١٩٦٢ وتولى مسئولياته الجديدة وفتح كلية اللاهوت أمام الشباب الجامعى .. وقد آمن البابا شنودة بضرورة تربية المرأة روحيا فأتاح لها لأول مرة الدراسة بالقسم الليلى بالكلية الإكليريكيه .

ويمتلك البابا شنودة الكثير من المقومات التى اهلته لرئاسة الكنيسة القبطية وجلوسه على الكرسى البابوى فهو يمتلك شخصية قوية متفانيا فى الدفاع عن المسيحية وله مواقف وطنية وقومية ويمتلك كثيرا من صفات الزعامة وحسن القيادة .. له فلسفة فى الحياة .. لا يعرف التعصب .. مناضلا من أجل حقوق الأقباط والمسيحيين الذين ينتمون إلى الكنيسة القبطية فى داخل مصر وخارجها .. يشارك مشاعر المسلمين باحتفالاتهم الدينية .. يكتب مقالات فى الصحف فى شهر رمضان عن الصوم وفوائده الروحية ومقالات عن القرآن الكريم .

وقصة اختيار الأنبا شنودة بابا للاسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية لها تقاليد وقوانين كنسية لا يتدخل فيها أحد من البشر .. ولا حتى الرئيس السادات الذى الغى قرار تعيين الأنبا شنودة الثالث ..
والسؤال هل رئيس الجمهورية هو الذى يعين البابا ؟!

قوانين وتقاليد الكنيسة هى التى سترد على هذا السؤال ..
ولذلك حرصت على كتابة عملية اختيار البابا وحفلة التتويج من مصادرها كما تتم داخل الكاتدرائية الكبرى بالقاهرة حتى يجلس البابا الجديد على كرسى مرقس الرسول ويظل بابا للاسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية حتى وفاته .

بعد وفاة البابا الراحل كيرلس السادس فى ٩ مارس ١٩٧١ .. أجريت انتخابات البابا الجديد فى ٣١ أكتوبر عام ١٩٧١ فى الكاتدرائية المرقسية .
بعد أن تم اختيار ثلاثة من المرشحين الخمسة للكرسى البابوى من أقباط القاهرة والمحافظات .. توافد المصلون إلى الكاتدرائية منذ الصباح الباكر ..

وفى تمام الثامنة صباحا دقت أجراس الكنيسة معلنة بدء الصلاة التى رأسها الأنبا انطونيوس قائمقام البابا البطريرك يحيطه مجموعة من المطارنة والأساقفة وأعضاء لجنة الانتخاب .

قال الأنبا انطونيوس : انه بنعمة الله سنجرى القرعة لاختيار المنتخب من قبل الله ـــ وامسك فى يده بصندوق من الفضة يعلوه صليب ثم فتحه وقال : بهذا الصندوق الصغير ثلاث أوراق متساوية الطول والعرض كتب على كل واحدة منها اسم أحد المرشحين الثلاثة الأوائل وهم الأنبا صموئيل والأنبا شنوده والقمص تيموتاؤس . ثم قام الأنبا انطونيوس بفك الأوراق الثلاثة وقال : أنى افتحها امامكم لكى تنظروا إليها بعيونكم ولكن الله ينظر للقلوب .

الورقة يبلغ طولها ٢٥ سنتيمترا وعرضها ٧ سنتيمترات .. كتب اسم المرشح

على الورقة بالخط الفارسى وبرتبته الكهنوتية وختمت الورقة بخاتم القائمقام بالحبر الأحمر .. وقد بدت الورقات الثلاث فى حجم واحد وربطت كل منها بشريط واعاد قائمقام البطريرك الأوراق إلى داخل الصندوق واغلقه .. وقام الدكتور يوسف منصور فربطه بشريط أبيض وختمه بالشمع الأحمر بخاتم قائمقام البطريرك وتم تسليم الخاتم للمهندس إبراهيم نجيب وزير السياحة .

وقد تم نقل الصندوق إلى الهيكل حيث اجريت مراسم الصلاة التى اشترك فيها قائمقام البطريرك وكبار المطارنة والاساقفة والشمامسة والأنبا لوكاس اسقف اروسا ورئيس الوفد الكنيسى الأثيوبى والأب بيكاهيث مريم رئيس كاتدرائية الثالوث المقدس باديس ابابا حيث تتبع الكنيسة الأثيوبية الكنيسة القبطية فى مصر .. كما حضر الصلاة كبار رجال الاكليروس المسيحى والمطارنة والأساقفة ورؤساء الأديرة وممثلو الطوائف المسيحية فى مصر وعدد من السفراء وفى مقدمتهم عميد السلك الدبلوماسى فى القاهرة ملس هندوم سفير أثيوبيا .. كما حضر الصلاة كمال رمزى ستينو وعدد من الوزراء وانتهت الصلاة فى العاشرة والربع صباحا .

بعد ذلك اقيمت صلاة خاصة قبيل إجراء القرعة الهيكلية .

تقدم ثمانية من الأطفال إلى الهيكل وتناولوا الأسرار المقدسة ثم وقع الاختيار على طفل يسمى ايمن منير كامل غبريال ليدخل إلى الصندوق ويلتقط الورقة المكتوب عليها اسم البابا الجديد .

وللطفل الذى تقدم لسحب ورقة البابا الجديد قصة مثيرة وعجيبة فهو عمره ٦ سنوات وطالب بمدرسة التحرير بالسنة الأولى فى ذلك الوقت وكان قد منع فى الصباح من دخول الكنيسة لأن والده لم يكن معه بطاقة له .. ثم سمحوا له بالدخول ..

وكان والده قد استمر أربعة أيام يحاول فيها الحصول على هذه البطاقة ..

وشاء القدر أن يكون الطفل الذى منع فى الصباح هو الذى يقع عليه الاختيار بعد تناول الأطفال الثمانية الأسرار المقدسة .

وعلى أثر انتهاء الطفل ايمن من تناول الأسرار المقدسة فى داخل الهيكل خرج الأنبا انطونيوس محاطا بالمطارنة والأساقفة وهو يحمل الصندوق الفضى .. بينما الشمامسة كانوا يرددون الألحان الكنسية .

اشترك جميع المصلين فى ترديد صلاة قصيرة مؤلفة من ثلاث كلمات يارب ارحم .. يارب ارحم .. يارب ارحم .

ثم احضر الطفل ايمن بعد أن عصبت عيناه بمنديل أحمر وقلب الأنبا انطونيوس الصندوق الفضى ثم فتحه . ومد الطفل يده واختار احدى الورقات الثلاث . فكانت الورقة التى تحمل اسم الأنبا شنودة .

دقت أجراس الكنيسة .. وانطلقت صيحات الفرح والسرور بين الحاضرين .. وتعالت الصيحات ، انها يد الله التى تعمل وتدبر لبنى البشر .

وقد استمر الأنبا انطونيوس وسط مشاعر الفرح بين الحاضرين فى فض الورقتين الأخريتين للتأكد من سلامة عملية القرعة الهيكلية وضمانا لسلامة الإجراءات أمام جموع المصلين .

وقد سرى نبأ اختيار الأنبا شنودة خارج اسوار المقر البابوى .. وسرعان ما ترددت الهتافات بحياة البابا الجديد . وبدأ المصلون يتبادلون التهانى .. ثم خرجوا يبحثون عن الأنبا شنودة لتقديم التهنئة إليه فلم يجدوه

كان الأنبا شنودة فى ذلك الوقت بدير السريان بوادى النطرون يتعبد ربه هو وزميلاه الأنبا صموئيل اسقف الخدمات العامة والأنبا دوماديوس اسقف الجيزة ..

وفور ابلاغه بنتيجة القرعة الهيكلية واختياره بطريركا وبابا للاسكندرية قال : اشكر ابنائى واخوتى الذين اعطونى من محبتهم ومن ثقتهم فوق ما استحق .

وقال الأنبا صموئيل الذى كان قد حاز اعلى الأصوات فى انتخاب يوم الجمعه عن شعوره بعد انتخاب الأنبا شنوده بابا للأقباط : بكل فرح نشكر الله على اختياره الموفق والروح العظيمة التى يحملها الأنبا شنودة لأننا نشعر أن الكنيسة فى حاجة إلى قيادة جماعية . والأنبا شنودة يحب التعاون وله مشروعات وأفكار إصلاحية كثيرة وكلنا سنعمل معه يداً واحدة لتأدية رسالة الكنيسة فى تدعيم القيم الروحية وخدمة الوطن والمجتمع ..

وقال الأنبا دوماديوس اسقف الجيزة : ان كل واحد منا فى منتهى الفرح خاصة والأنبا شنودة معروف بتواضعه للرهبنه والأديرة عامة . فنجاحه نجاح لنا جميعا .

وقال الأنبا تاوفيلس اسقف دير السريان الذى ترهبن الأنبا شنودة على يديه : منذ وفاة البابا الراحل اتجهت الأنظار إلى البابا شنودة .. إنه لا يبغى الكرسى ولكن الناس عامة كانت ترشحه لأنها تعلم انه يعمل لصالح الكنيسة وسيكون اسم البابا الجديد هو نفس اسمه مضافا إليه كلمة الثالث فيصبح الأنبا شنودة الثالث . فقد سبقه فى تعداد البطاركة اثنان باسم شنودة احدهما البابا الـ ٥٥ والثانى البابا الـ ٦٥ .

وسرعان ما توافد على الدير مئات من المهنئين فى مظاهرة مفرحة جاءت لتهنئة البابا شنودة فى الوقت الذى ظلت أجراس كنائسه تدق طوال الوقت إعلانا بالفرح الذى عم الكنيسة لاختيار البابا الجديد .

وقد عاد الأنبا شنودة الثالث إلى القاهرة فى مساء نفس اليوم وكان فى صحبته الأنبا انطونيوس قائمقام البطريرك والأنبا صموئيل اسقف الخدمات والأنبا دوماديوس اسقف الجيزة حيث أدوا صلاة شكر بكنيسة مارجرجس بالجيزة ثم توجهوا إلى الكاتدرائية المرقسية الكبرى حيث اقاموا صلاة شكر مرة أخرى .

وفى حفل التتويج للبابا الجديد الذى أقيم يوم ١٤ / ١١ / ١٩٧١ كانت الكاتدرائية المرقسية الكبرى قد امتلأت عن آخرها قبل الساعة السادسة صباحا ..

وكان فى مقدمة الحاضرين صلاح الشاهد كبير الأمناء برئاسة الجمهورية مندوبا عن الرئيس انور السادات والدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء ونواب رئيس الوزراء والشيخ محمد أبو فاتح مندوبا عن شيخ الأزهر وحافظ بدوى رئيس مجلس الشعب وإبراهيم بغدادى محافظ القاهرة ووفود من جميع انحاء العالم يتقدمهم مندوبون عن البابا بولس السادس بابا الفاتيكان والكنائس الشرقية الارثوذكسية المتفقة فى العقيدة مع الكنيسة القبطية الارثوذكسية وهى الكنيسة السريانية برئاسة البطريرك ماراغناطيوس يعقوب الثالث والكنيسة الأثيوبية التابعة لكنيسة الاسكندرية ورأس وفدها الأنبا تاوفيلس بطريرك أثيوبيا كذلك وفد الكنيسة الرومانية والكنيسة الانجليزية والكنيسة اليونانية والقبرصية والروسية ووفد من مجلس الكنائس العالمى ومجلس الكنائس الامريكى ووفد من الأقباط الكاثوليكيين ووفود عن الطوائف الأنجيلية والأسقفية .

بدأت الصلاة فى السادسة صباحا بقراءة الأناجيل وتلاوة أعمال الرسل .

وفى التاسعة والنصف تحرك موكب الأساقفة وممثلى الكنائس إلى خارج الكاتدرائية من الباب الغربى يتقدمهم الأنبا انطونيوس قائمقام البطريرك وهم يرددون الصلوات والألحان الكنسية ، بينما الشمامسة يحملون الصلبان متجهين نحو المقر البابوى المؤقت حيث كان فى انتظارهم البابا شنودة الثالث فأستأذنه الأنبا انطونيوس فى اصطحابه معهم إلى حفل التتويج .. وعادوا جميعا ووقفوا امام الباب الغربى حيث تقدم رئيس الشمامسة وسلم المفتاح إلى البابا شنودة .

وفتح الباب الغربى وهو يردد المزمور الثامن عشر بعد المائة : « افتحوا لى ابواب البر لكى أدخل فيها وأحمد الرب . هذا هو باب للرب .. والصديقون يدخلون فيه . أحمدك يارب لأنك استجبت لى وصرت لى خلاصا . الحجر الذى رفضه البناءون قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا » .

وبين دقات الأجراس وأناشيد الشمامسة واصوات الدفوف وزغاريد النساء وتهليل الحاضرين اخذ موكب البابا يشق طريقه بصعوبة وسط الجماهير نحو الهيكل صوب الشرق .

وأمام الهيكل سجد البابا شنودة والأساقفة لله فى خشوع تام ثم قام الأساقفة بوضع الأنجيل على رأس البابا .

وفى خشوع جلس البابا شنودة الثالث على كرسى أمام الهيكل ووجه متجه نحو الشرق وعن يساره وقف الأنبا انطونيوس بملابس الخدمة الارجوانية اللون بينما كانت يداه متشابكتين .. ووقف الأنبا ميخائيل مطران اسيوط وقرأ وثيقة التزكية التى جاء فيها : « نحن المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة وكل الشعب المحب للمسيح بمدينتى الاسكندرية والقاهرة وأقاليم مصر جميعا .. عندما حلت بنا جائحة اليم ، بانتقال الطيب الذكر ومثلث الرحمات البابا كيرلس السادس إلى الأخدار السمائية ، الذى نال جميع المواعيد المقدسة ومضى إلى الله الذى أحبه ، فسمع منه تعالى إلى ذلك الصوت المملوء فرحاً القائل : نعما ايها العبد الصالح الأمين أدخل إلى فرح سيدك .. عندما تيتمنا وترملت كنيسة الله المقدسة التى كان يرعاها بتعاليمه ، تضرعنا إلى العلى أن يرشدنا إلى من هو جدير برئاسة الكهنوت العظمى ، ليرعانا فى طريق الرب ويهدينا سيناء الخلاص .. فبمنحة سماوية وفعل الروح القدس اتفقنا جميعا بطيب قلب ، فانتخبنا المتعبد لله الأنبا شنودة أسقف الكلية الأكليريكية والمعاهد الدينية من رهبان دير السريان بابا وبطريركا ورئيس أساقفة للكرسى الرسولى ، كرسى القديس مرقس الأنجيلى كاروز الديار المصرية وأثيوبيا والنوبة والسودان وخمس المدن الغربية وسائر أقاليم الكرازة فى افريقيا واسيا واوربا وامريكا واستراليا . وقد وقع اختيارنا عليه لأنه رجل متعبد لله ، محب للغرباء ، مجمل بالفهم والمعرفة .. طاهر مجد فى نشر تعاليم الأنجيل . ساهر على حفظ طقوس الكنيسة وتقاليدها وأقمناه رأس رعاة وبابا وبطريركا لكنيسة لله المقدسة ، لكى يرعانا بالرحمة

والوداعة .. بهذا سطرنا هذه التزكية ووقعنا عليها مقدمين الشكر للثالوث الأقدس الآب والأبن والروح القدس أمين » .

ثم تليت الصلاة الربانية ، وبسط البابا يديه إلى فوق ، وهو يتلو الصلاة وتناوب المطارنة والأساقفة الدعاء ، بأن يرعى البابا ابناء كنيستة باستقامة وأن يكون له نصيب مع القديسين .

وألقى الأنبا اثناسيوس اسقف بنى سويف أدعية طويلة للأنبا شنودة قال فيها : اشرق يارب بنور وجهك لكى يضىء قلبه بينبوع مجدك ، فيعرف اسرارك الالهية . امنحه روح الحكمة والفهم والمشورة والقوة والمعرفة والتقوى . املأه بالخواف ليقضى بين ابناء كنيستك بالاستقامة والعدل ويزود عن الايمان القويم .

وقد اشترك فى صلوات التتويج الأنبا صموئيل أسقف الخدمات العامة واختتمها الأنبا انطونيوس بقوله : ندعوك يا أنبا شنودة بابا للكرازة المرقسية .. بابا وبطريركا وسيد ورئيسا لأساقفة المرقسية .

ورد عليه الشعب : مستحق .

وقرر ذلك ثلاث مرات وفى المرة الثالثة غير كلمة ندعوك إلى دعوناك .

ثم بدأت المرحلة الثانية فى التنصيب . اشتملت على ارتداء البابا لملابس خدمة الهيكل . وبدأوا يلبسونه فوق الملابس السوداء . وهى تتكون من ٧ قطع هى البرنس والصدره والحزام الذى يتمنطق به والاكمام والتونيه والقلنسوة . وهذه الملابس من نسيج ابيض موشى بالخيوط الذهبية على شكل صلبان ، ومرصعة فى بعض نواحيها باحجار كريمة جميلة اللون . أما الرداء فقد صنع من قماش ثمين أبيض وطرز بالصلبان الذهبية اللون وتحليه احجار كريمة .

وفى هذه اللحظة قال الأنبا انطونيوس للبابا شنودة الثالث : تسلم تقليد رئاسة الكهنوت العليا لسنين عديدة وأزمنة مديدة ..

ثم سلمه تقليد رئاسة الكهنوت وقد غلفت باسطوانة من الورق المقوى المزخرف.

وبدا البابا شنودة فى تأثر بالغ ، وغالبته دموعه وانسابت حينما شرع الأنبا انطونيوس فى تتويجه بالتاج المصنوع من قماش ابيض ثمين من نفس قماش الرواد ، ويعلوه صليب ذهبى جميل الزركشه عند حوافيه وقد رصع بالأحجار الكريمة .

ثم بدأ رؤساء الكنائس الشرقية الأرثوذكسية صلوت خاصة بداها البطريرك ماراغناطيوس يعقوب بطريرك السريان الأرثوذكس وتلاه الأنبا تاوفيليس بطريرك اثيوبيا ثم بطريرك الأرمن الأرثوذكس .

وقد لاحت اللحظة الحاسمة حينما نهض البابا شنودة واقفا واتجه صوب الهيكل ليأخذ بنفسه عصا الرعاية والصليب من فوق الهيكل . وهناك سجد أولا ثم أمسك بعصا الرعايا فى يسراه وبالصليب فى يمناه ، بينما كان صوت الأنبا انطونيوس يردد : « تقدم إلى الأمام وتسلم عصا الرعاية من يد الله » .. وفى هذا تأكيد لرئاسته وائتمانه على العقيدة الأرثوذكسية التى تسلمها من الله وحده .

وخرج البابا شنودة من الهيكل ليرتقى الكرسى البابوى بين التهاليل والأناشيد الدينية .

وفى الحادية عشرة صباحا صاح الأنبا انطونيوس قائمقام البطريرك قائلا : بنعمة الله نجلس الأنبا شنوده رئيس الاساقفة على الكرسى الطاهر كرسى الرسول الانجيلى مارمرقس .. وكررها الأنبا انطونيوس مرة أخرى قائلا : « نجلس رئيس الأساقفة المختار من الله الأنبا شنودة بطريركا على كرسى القديس مرقس » .

وفى المرة الثالثة قال الأنبا انطونيوس : اجلسنا الأنبا شنودة .. وهنا جلس البابا وسط عاصفة من التصفيق على كرسى القديس مرقس الرسول .

وبجلوس البابا شنودة الثالث .. انتهت مهمة القائمقام البطريرك ، وأصبح الأنبا

شنودة بابا وبطريركا ورئيس اساقفة مدينة الاسكندرية العظمى ، يدين له بالطاعة جميع رجال الدين القبطى الارثوذكسى فى مصر والنوبة والسودان والحبشة والخمس المدن الغربية وفى اسيا وفى القدس والكويت وفى اوربا وامريكا واستراليا حيث اصبح للاقباط جاليات كبيرة هناك .

ثم بدأ قداسة البابا شنودة الثالث يتلقى التهانى .. تقدم إليه الأنبا انطونيوس ثم باقى المطارنة والأساقفة وعلى رأسهم نيافة الأنبا باسيليوس مطران القدس . فعانقه الجميع وقبلوه مهنئين .

وتقدم صلاح الشاهد مهنئا بالنيابة عن الرئيس انور السادات .. ثم الدكتور محمود فوزى رئيس الوزراء فقبله مهنئا والدكتور عبد القادر حاتم نائب رئيس الوزراء ووزير الإعلام .

وعندما تقدم مندوب الأمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر مهنئا عانقه البابا وقبله وسط عاصفة من التصفيق دامت ٥ دقائق .

واستمر قداسة البابا يتلقى تهانى كبار الزوار من رجال الدولة ورجال السلك العربى والأجنبى مدة ١٠ دقائق بينما كان الشمامسة يرددون الالحان الكنسية .

وعقب ذلك قرأ المزامير ثم الأصحاح العاشر من انجيل يوحنا الخاص بالرعاية فقال : « *أنا هو الراعى الصالح والراعى الصالح يبذل نفسه عن الخراف وأنا الذى هو اجير وليس راعيا الذى ليست الخراف له فيرى الذئب مقبلا ، ويترك الخراف ويهرب فيخطف الذئب الخراف ويبددها والأجير يهرب لأنه اجير ولا يبالى بالخراف . أما أنا فإنى الراعى الصالح واعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى ، كما ان الأب يعرفنى وأنا اعرف الأب وأنا اضع نفسى عن الخراف . ولى خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ، ينبغى ان آتى بتلك ايضا فتسمع صوتى ، وتكون رعية واحدة وراع واحد* » .

وبعد تلاوة الأنجيل جلس البابا على كرس مارمرقس واعلن ان مندوب جلالة الأمبراطور هيلا سلاسى (امبراطور أثيوبيا السابق) سيلقى كلمة ثم يقوم بتقليده الوشاح الأكبر لسليمان المهدى من جلالة الامبراطور .

وبدأ مندوب الامبراطور يقرأ الرسالة باللغة الأمهرية وتولى ملس هندوم سفير أثيوبيا وعميد السلك الدبلوماسي بالقاهرة ترجمة رسالة الأمبراطور التى جاء فيها : رسالة صاحب الجلالة الامبراطور هيلا سلاسى الأول امبراطور الكرازة المرقسية .. اقدم لسيادتكم تحياتنا القلبية ونطلب أن تبقى بركاتكم دائما معنا .. اقدم لسيادتكم تحياتنا القلبية ونطلب أن تبقى بركاتكم دائما معنا .. انه لمن دواعى سرؤرنا العظيم ان نقدم لقداستكم تحياتنا الحارة بهذه المناسبة السعيدة لتنصيبكم على كرسى القديس مرقس بعد أن انتخبتم البطريرك المائة والسابع عشر للكنيسة القبطية الارثوذكسية . ويسرنا ايضا ان ننتهز هذه الفرصة ونرسل لقداستكم الوشاح الأكبر لسليمان مع *دولتامرسى حسن ولد كروس* مستشار إدارة الأثار الأثيوبية الذى أوفدناه كممثلنا الشخصى فى حفل تنصيب قداستكم .. إن رغبتنا القوية إن العلاقات الطويلة الأمد القائمة بين كنيستنا الشقيقتين تستمر لتزداد قوة ايام بطريركية قداستكم .. والتعبير عن امانينا الطيبة ودوام الصحة الطيبة نضرع إلى الله القدير أن يكلل جهودكم نمو الكنيسة وسلامتها بالنجاح وأن يفيض بركاته على قيادة قداستكم كبطريرك الكنيسة القبطية الارثوذكسية .

وبعد ان انتهى مندوب الامبراطور هيلاسلاسى امبراطور اثيوبيا من إلقاء كلمته تقدم ناحية قداسة البابا شنودة الثالث وقلده اكبر وشاح فى أثيوبيا المهدى من الامبراطور .

وبعد ذلك القى البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث كلمة قدم فيها التهنئة إلى البابا شنودة ، حيث قال : « *إن الكنيسة السريانية تبتهج وتتقدم بالتهالى الصادقة بمناسبة تنصيب رئيسها قداسة البابا شنودة الثالث .. إن الله أغدق فى هذه البرهة مواهبه على الحبر الأعظم الأنبا شنودة العامل العالم* » .

وبعد ان عدد السوابق التاريخية التى اكدت وحدة العقيدة بين الكنيسة القبطية الأرثوذكسية واختها السريانية قال : ان الأنبا شنودة يفزع إليه المؤمنون وهم واثقون انه قائد مثالى فى خدمة الوطن والمجتمع ، يعمل مع قادة البلاد المخلصين فى طليعتهم الرئيس انور السادات . وانه ليسر كرسينا الرسولى الانطاكى ان تتبوأ الكرسى الاسكندرى الشقيق مثل هذه الشخصية الفذة لأن الكرسيين متحدان قلبا وقالبا .

وقد القى الانبا اثناسيوس كلمة البابا شنودة الثالث التى جاء فيها : « *فلنتأمل فى آيتين الأولى — اعرف خاصتى وخاصتى تعرفنى .. تحدد أمامنا برنامجا هو استكمال قواعد ونظم الرعاية لجميع ابنائنا ، فى تنظيم يتناسب مع روحانية وأمل ابناء الكنيسة القبطية الارثوذكسية المؤمنين الاصلاء .*

والثانية : لى خراف آخر ليست من هذه الحظيرة ينبغى ان آتى بتلك ايضا .. ان كنيسة مصر تتطلع إلى القيام بواجبها فى سائر انحاء الكرازة المرقسية المتحدة المترابطة فى اثيوبيا والسودان وافريقيا والعالم اجمع . وان علينا واجبا نحو المسيحيين من اخوتنا فى مصر بل فى ارجاء العالم . وعلينا ان نضع ايدينا فى ايدى سائر الأديان ، للتعاون فى خدمة الإنسانية ونشر الايمان والتقوى والمحبة والسلام فى عالم اليوم الملىء بالتغيرات والاحتياجات .

وقال : « *ايها الاحباء اننى اتقدم بالشكر للسيد الرئيس المحبوب انور السادات ، على كريم اهتمامه واشكر رجال الدين جميعا على حبهم البادى ومشاعرهم الكريمة .. واقدم الشكر لصاحب الجلالة الأخ الارثوذكسى الحبيب الامبراطور هيلا سلاسى الأول عاهل اثيوبيا وافراد الأسرة المالكة المحبوبة وسائر الشعب الأثيوبى . اقدم الشكر لسائر رؤساء الدول والحكومات الممثلة فى اجتماعنا الروحى هذا ، والذين كان لكريم مشاركتهم للكنيسة بشتى الوسائل اطيب الأثر . شكر جزيلا لكنائس العالم أجمع : الكاثوليكية والارثوذكسية والاسقفية والانجلية فى مصر وفى سائر*

البلاد .. شكرا للكثيرين الذين شرفونا اليوم ، سواء بحضورهم باشخاصهم ، أو مندوبين عن كنائسهم الموقرة . شكرا خالصا لرجال الأزهر الشريف ، ولأخوتنا المكرمين سائر أئمة الدين الإسلامى الكرام .. ألا وفق الله قادة الدول فى العالم لنشر السلام والعدل ونصرة الشعوب المظلومة . ألا وفق الله رجال الدين للقيام بواجبهم نحو خدمة الإنسانية وازدهارها . ألا فليعوضكم الله عن تعبكم معنا خيرًا جزيلا وان يُعيننا الله على مهمتنا بدعائكم وصلواتكم » .

ثم استؤنفت صلاة القداس ..

وعلى اثر انتهاء القداس خرج البابا فى موكب تتقدمه الشمامسة ، ويحيط به المطارنة والأساقفة وتتجه صوب الباب البحرى للكاتدرائية ، حيث نزل إلى الطابق الأرضى فزار رفات مارمرقس ، واحتضن الصندوق الذى يحتويه .. وزار مقبرة البابا كيرلس السادس وأدى صلاة الترحيم .

ثم انتقل إلى المقر البابوى ليتلقى التهانى .. ويصبح البابا شنودة الثالث .. البابا ١١٧ رسميا .

الفصل الثالث

الأقباط .. والثورة

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو لم يكن ضمن اعضاء مجلس قيادة الثورة قبطى واحد . كان هناك واحد فقط ضمن الضباط الأحرار ورغم هذا فقد رحب الأقباط بالثورة ترحيبا كبيرا بعد سنوات من فساد الحكم الملكى . وازداد هذا الترحيب والتأييد للثورة عندما اعلنت عن توجهها توجهاً قوميا عربيا واهتمت بالتعليم الدينى المسيحى فى المدارس .

يقول البابا شنودة الثالث : الأقباط قابلوا الثورة بالترحيب الكبير . كان سخط المواطنين على الحكم الملكى قد بلغ اقصاه من جميع الطوائف .

ونتذكر أن اللواء محمد نجيب كان قد زار البابا يوساب الثانى فى مقره البابوى بالكنيسة المرقسية القديمة « البطريركية القديمة » .. وكان اللقاء وديا .

وقد اهتمت الثورة بالتعليم الدينى فى المدارس .. التعليم الدينى المسيحى والتعليم الدينى الإسلامى . وبدأت تتشكل لجنة للتعليم الدينى المسيحى يرأسها اسقف قبطى وتشترك فيها الطوائف الأخرى .

وفى عام ١٩٥٥ قرر المجمع المقدس بالإجماع عزل البابا يوساب الثانى . وكان لابد من أن تصدر الدولة قرارا تؤيد فيه المجمع المقدس ليأخذ قراره صفته القانونية الشرعية فأصدر الرئيس جمال عبد الناصر قرارا جمهوريا بتنحية البابا يوساب الثانى بناء على قرار المجمع المقدس .

ويعتبر قرار المجمع المقدس تنحية كنسية قبل أن تأخذ قرارها المدنى وفى نفس القرار الجمهورى رقم ٤٤ لسنة ١٩٥٥ ألغى الرئيس عبد الناصر المحاكم الملية

المسيحية واصبحت الأحوال الشخصية من اختصاص محاكم الأحوال الشخصية المدنية وليس من اختصاص الكنائس بعد ان كانت كل كنيسة لها قوانينها قبل صدور القرار الجمهورى .

كان قرار عزل البابا يوساب الثانى بإجماع المجمع المقدس مطلبا شعبيا . والمجمع المقدس هو الذى عين ثلاثة من الآباء المطارنة ليتولوا اختصاصات البابا . القرار كان قرارا كنسيا بحتا . وكان البابا يوساب غير مؤيد من الشعب لأسباب بالنسبة للأقباط انفسهم وانتقادات عديدة من ضمنها سيطرة الحاشية البطريركية ومخالفات لقوانين الكنيسة إلى آخره ...

وظل البابا يوساب فى الدير المحرق وعندما تدهورت صحته انتقل إلى المستشفى ثم إلى البطريركية بأيام قبل وفاته وقد احتفل بجنازه كبطريرك .

ويضيف البابا شنودة نقطه أخرى لعلاقة الأقباط بالثورة فيقول : *لا ننسى ان الرئيس جمال عبد الناصر اعطى تصريحا لبناء الكاتدرائية الكبرى وحضر حفل وضع الأساس فيها ثم حضر حفل افتتاحها وألقى كلمة طيبه جدا وتبرع بمبلغ ١٠٠ ألف جنيه فى عام ١٩٦٧ ــ كان المبلغ أيامها كبيرا ــ وكلف الرئيس عبد الناصر احدى شركات القطاع العام بأن تقوم بعمليات بناء الكنيسة الكبرى* . واسرعت *الشركة فى بنائها بحيث انتهى الهيكل الخرسانى فى سنة واحدة ، على هذا الحجم الضخم والديون التى بقيت صدر قرار بالتنازل عنها فى عهد عبد الناصر وبعض منها فى عهد السادات* . وقد حضر حفل افتتاح الكاتدرائية الكبرى الامبراطور هيلا سلاسى امبراطور اثيوبيا فى ذلك الوقت وانور السادات وحسين الشافعى وبعض رؤساء الكنائس » .

ويؤكد البابا شنودة على أن الرئيس جمال عبد الناصر فى أيامه الأخيرة كانت علاقته طيبة بالبابا كيرلس السادس وكانت له لقاءات محبة سواء فى مقر الرئاسة أو فى مقر البابا .

كما يؤكد البابا قائلا : فى ايام عبد الناصر لم يكن هناك موقف معادى للأقباط .. ولا ننسى أيام عبد الناصر أنه لم يكن هناك تطرف دينى على الاطلاق . وكان الأمن مستتب .

كانت شخصية عبد الناصر قوية وعظيمة ..

وفى أيام الرئيس عبد الناصر كانت الكنيسة مساندة له من كل ناحية واتذكر من جهة الموقف من إسرائيل أنا ألقيت محاضرة فى نقابة الصحفيين عام ١٩٦٥ حضرها حوالى ١٢ ألفا احتشدوا فى النقابات المجاورة وشارع عبد الخالق ثروت .. واتذكر عندما قامت فكرة تبرئة اليهود من دم المسيح قامت مؤتمرات وطنية كثيرة جدا فى الكنيسة القبطية ووقفنا موقفا شديدا جدا ضد الكنيسة الكاثوليكية .

وموقفنا من اليهود كان واضحاً جدا .. ولا ننسى موقفنا من نكسة سنة ١٩٦٧ . مطرانا فى القدس الأنبا باسليوس كان له موقفه الوطنى فتضايق منه اليهود وكان بعد هذا مشكلة دير السلطان عام ١٩٧٠ حينما استولوا اليهود عليه وكان هذا بسبب المطران الأنبا باسليوس الوطنى .

وفى عهد انو السادات كانت العلاقة طيبه جدا بين الأقباط والثورة وموقف الأقباط من حرب أكتوبر ومشاركتهم فيها واضح جدا ولا يحتاج إلى دليل .

فقد ظل الأقباط على اخلاصهم للثورة وتأييدها فى كل المناسبات .

● ● ●

لقد كان تأييد الأقباط لثورة الجيش فى ٢٣ يوليو قويا حين اعلنت الثورة ان أول أهدافها المحافظة على الوحدة المقدسة وكان الأقباط أول من كشفوا عن الفساد الذى انتاب الحياة السياسية فعزفوا عن الاشتراك فيه وأضرب معظمهم عن الاشتراك فى الانتخابات كما عزفوا عن التقدم لعضوية الهيئة التشريعية .

يقول الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل فى « خريف الغضب »[1] : « ثم جاءت ثورة يوليو ١٩٥٢ . وفى أول الأمر هلل لها كل الشعب المصرى بمن فيهم المسلمون والأقباط . ومع انه كان هناك عدد من كبار ملاك الأراضى الاثرياء الأقباط من صفوف النظام القديم السابق على الثورة إلا أن هؤلاء كانوا اقلية ضئيلة . ولقد كان هناك مثيل لهذه الأقلية المتميزة بين المسلمين . وربما كان يحق للأقلية من الفريقين ان يقلقوا لانتهاء نفوذهم بقيام النظام الثورى الجديد — إلا أن التيار الكاسح بين الجماهير (المسلمين والأقباط) كان صلبا فى تأييده للثورة فى تلك الأيام .

ثم بدأ بعض الأقباط يلاحظون ظواهر بدت لهم فى ذلك الوقت مما يستحق الاهتمام . على سبيل المثال لم يكن هناك عضو قبطى فى مجلس قيادة الثورة الذى اصبح بعد يوليو ١٩٥٢ سلطة الحكم العليا فى البلاد ومع انه لم يكن من حق أحد ان يتصور ان حركة سرية تحت الأرض للضباط الأحرار كان عليها ان تراعى التوازنات الطائفية — إلا أن الملاحظة بدت منطقية فى الشكل . خصوصا بعد أن اصبحت قيادة الثورة سلطة عليا . ولقد كان هناك عدد لا بأس به من الضباط الأقباط بقرب صفوف حركة الضباط الأحرار ، لكن هؤلاء لم يكونوا ضمن البارزين فى الصفوف ، وكان بعض هذا منطقيا بطبائع الظروف ، فالأقليات عادة فى أى بلد — خصوصا إذا كان الوئام يسود حياتها مع الأغلبية — لا تنضم بسهولة إلى حركات سرية تحت الأرض . ومثل هذا كان يمكن تصوره فى حالة الانضمام إلى تنظيم الضباط الأحرار فى العصر الملكى .

ثم بدت ظاهرة أخرى تلك هى أن خطر نشاط الأحزاب السياسية القديمة وخصوصا حزب الوفد ، الذى كان الأقباط عنصرا بارزا فى نشاطه — أدى على

---

(١) محمد حسنين هيكل « خريف الغضب » ص ٣٣٦ — الطبعة العاشرة — الناشر شركة المطبوعات للتوزيع والنشر — بيروت .

الفور إلى اختفاء عدد كبير من القيادات السياسية القبطية من ساحة الحياة العامة فى مصر . وبالتالى فقد سرى بين الأقباط شعور بأن شيئا ما قد ضاع .

ولقد حاول النظام الثورى الجديد فى مصر مواجهة بعض هذه الحساسيات فركز اهتمامه على عدد من الوزراء الأقباط الذين اشتركوا مع الثورة فى الحكم . لكن هؤلاء الوزراء الأقباط وإن كانوا فى حدود اختصاصهم مؤهلين لما تولوه من مناصب ــ لم يكونوا أكثر من مجموعة من التكنو قراط ليس لهم تأثير عميق فى مجتمع الأقباط المصريين . كان لهم بالطبع تأثير وظائفهم ، لكن هذا التأثير لم يكن كافيا لكى يحولهم إلى قيادات أو زعامات سياسية بارزة على مسرح الحياة العامة . وبالطبع فإن بطريرك الأقباط وسلطات الكنيسة تحته حاولت استعمال هؤلاء الرجال الجدد كقناة اتصال مع الحكومة ، لكن الكل كان يعى أن الصورة الآن تختلف عن الصورة القديمة ، والسبب بسيط وهو أن الوضع الإدارى قضية تختلف تمام الاختلاف عن النفوذ السياسى خصوصا إذا كانت له قاعدة شعبية . أن التكنو قراط الجدد كانوا يختارون لمناصبهم التخصص فى أحد ميادين العمل ولم يكونوا يختارون لأن لهم تأثيراً على غيرهم أو باسهام سابق لهم فى مجال العمل السياسى العام . وفى العادة فقد كان تعيينهم فى مناصبهم هو بداية دخولهم باب الحياة العامة ولم يكن ذلك كافيا .

ثم جاءت قوانين يوليو الاشتراكية ، بما فيها التأميم وإعادة تحديد الملكية ، ولقد كانت هذه القوانين ضربة شديدة إلى البرجوازية المصرية وكانت الضربة محسوسة اكثر بين الأقباط الذين كانوا قد تقدموا بعيدا فى عدد من قطاعات الأعمال والتجارة والتوكيلات .. إلخ

وفى أثناء هذا كله كان التوجه العربى للنظام الثورى يتأكد يوماً بعد يوم ويدفع ــ بدوره ــ الحركة العامة للقومية العربية ، ويزيد من قوتها المتنامية ومع أن الأقباط فى مصر ــ شأنهم فى ذلك شأن عدد من الأقليات المسيحية فى الشرق ــ قد

شاركوا بنشاط فى مناقشة قضية العروبة ، إلا أن عدداً لا يستهان به بينهم كان يتخوف من أن العروبة تحتوى - قطعا - على تأثيرات إسلامية لا شك فيها .

وهكذا فإنه بمجمل التطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعربية فى مصر ، فإن شعورا بشىء من القلق اصبح محسوساً فى اجواء المجتمع القبطى فى مصر . وعلى أى حال فقد بدا لكثيرين ان الكنيسة هى المجال الوحيد الذى يمكن ان يضم ويحمى نشاطهم . وهكذا فإن تيار التحديث القبطى - الذى بدأ يخرج من الكنيسة مع نهاية القرن التاسع عشر بدأ يعود إليها مرة أخرى فى الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين »[٢] .

• • •

ويقول د. ميلاد حنا فى كتابه « نعم أقباط .. لكن مصريون » عن الأقباط والثورة :

« قامت ثورة ١٩٥٢ استناداً إلى تنظيم الضباط الأحرار داخل الجيش المصرى إبان حكم الملك فاروق . وقد تصادف نتيجة لسرية التنظيم ان قيادات الحركة وما سمى بعد ذلك مجلس قيادة الثورة وعددهم ١٣ لم يكن بينهم قبطى واحد ولم يعرف فيما بعد عن وجود شخصية قبطية واحدة ذات وزن فى كل حركة الجيش . ولذلك فإن فترة حكم عبد الناصر لم تمثل أى تواجد للأقباط على الساحة السياسية فى المستوى القيادى واكتفي بالبحث عن قبطى من التكنوقراط الفنيين لكى يقوم بدور تمثيل الأقباط فى الوزراة . وكان الاختيار لهذا الوزير أو ذاك مبنياً على حسن سمعته وعلى تخصصه الدقيق فى مادته التخصصية وغالبا ما كان استاذا جامعيا .

---

(٢) المصدر السابق

وظل الأقباط فى حالة ترقب من بداية الثورة عام ١٩٥٢ حتى تنفسوا الصعداء فى أواخر عام ١٩٥٤ عندما اصطدم جمال عبد الناصر مع الأخوان المسلمين فشعروا بنوع من الأمان ولكنهم استمروا فى سلبياتهم فى عالم السياسة ولذلك وجدوا صعوبة شديدة فى استئناف نشاطهم منذ أيام انتخابات الوفد .. واتضح لهم مع الممارسة أن وصول قبطى إلى مقعد هذا المجلس (النيابى) صعب وإن لم يكن مستحيلاً[٣] .

وقد إدرك عبد الناصر بحسه السياسى هذه المشكلة فاضطر إلى ابتكار اسلوب جديد حتى يضمن تواجد الأقباط وقرر إداريا قفل عشر دوائر اختيرت بدقة حيث التواجد القبطى محسوس ومؤكد .

ولكن رغم احتجاج الأقباط على هذا الأسلوب وعلى تمثيلهم بعشرة اعضاء فقط ، نلاحظ انه كثيرا ما كان عددهم يقل عن العشرة .

وكان المشاهد ان هؤلاء الأعضاء المعينين لم يكونوا ذوى فاعلية فى داخل المجلس ، فقد علمتهم الخبرة أن يكونوا مصفقين ومداحين وفى أفضل الأحوال صامتين ، لأنهم يعرفون أن مصيرهم هو الاستغناء عن خدماتهم مع انتهاء فترة هذا المجلس .

ولكن الجانب الآخر من الصورة مشرق وحميد لأن الأقباط قد سعدوا بالقرارات الاشتراكية والمناخ العام الذى أوجده عهد عبد الناصر من العدالة الاجتماعية واعطاء كل مواطن نفس الفرص بصرف النظر عن وضعه الطبقى والقواعد المستقرة فى المساواه عند دخول الجامعات وامتحانات القبول للوظائف العامة وغير ذلك من الأمور . فقد اشع الفكر الاشتراكى على كافة نواحى الحياة وبالتالى قل إحساس القبطى بالغربة وصارع بالعلم والعمل لكى يأخذ مكانه فى

---

(٣) د. ميلاد حنا « نعم أقباط .. لكن مصريون » سنة ١٩٨٠ .

المجتمع الذى كان فى طريقة لإرساء قواعد جديدة ، وقبل الأقباط عن طيب خاطر التواجد الشكلى المحدود على الساحة السياسية لأنهم ادركوا أن القيادة الحقيقية والفعالة لم تكن للمجالس النيابية بل كانت بالفعل لشخص عبد الناصر وهو موضع ثقة الجماهير العريضة أقباط ومسلمين وعلى المستوى العربى ودول العالم الثالث على كافة مواقعها .(٤)

● ● ●

استطاعت ثورة ٢٣ يوليو باجلاء الاحتلال البريطانى فى ١٨ يونية ١٩٥٦ من إزالة احدى القوى السياسية التى حاولت إذكاء روح التفرقة والفتنة الطائفية بين المسلمين والأقباط خلال فترة الاحتلال .. وبخروج الملك فاروق قضت الثورة على المؤسسة الملكية التى كانت بتكوينها الفكرى والسياسى تعوق عملية التوحد القومى لجماهير مصر بعناصرها الدينية المختلفة .

كما أن الثورة قد الغت الكثير من المدارس التبشيرية الأجنبية واخضعت كثيراً من هذه المدارس لرقابة الدولة الحازمة .

وبعد عدة سنوات من قيام الثورة انحسر موقفها لصالح القومية العربية .

وقد اعلن الرئيس جمال عبد الناصر خلال الاحتفال بوضع حجر أساس الكاتدرائية المرقسية الكبرى الجديدة بالعباسية بالقاهرة : « إن هذه الثورة قامت على المحبة ولم تقم على الكراهية والتعصب . هذه الثورة قامت من أجل مصر ومن أجل العرب جميعا .. قامت وهى تدعو للمساواة والتكافؤ للفرص والمحبة » .

ويرى طارق البشرى فى كتابه « المسلمون والأقباط » : « أن نظام ٢٣ يوليو لم يتخذ من السياسات العملية ما يحقق الاندماج القومى للأسباب الأتية :

---

(٤) المصدر نفسه .

● أولاً : نشأ تنظيم الضباط الأحرار الذى قام بثورة ٢٣ يولية فى المؤسسة العسكرية . وكان الجيش خاضعا للنفوذ التقليدى للملك . ولا يلحظ أن كان للوفد نفوذ مؤثر على المؤسسة العسكرية المصرية حتى فى فترات حكمه القليلة المتباعدة . ومن ثم بقى الجيش يحمل فى تكوينه أثراً للتفرقة بين المسلمين والأقباط وخاصة الرتب العليا .. فجاء تنظيم الضباط الأحرار على شاكلة المؤسسة التى إنبثق منها .. ولم ينجح التنظيم فى إقامة هيكل تنظيمى سياسى جامع كما كان الشأن فى حزب الوفد .

● يذكر احمد حمروش : إن لم يكن ثمة ضباط أقباط بين الضباط الأحرار سوى ضابط واحد ويرجع ذلك ــ بحق ــ إلى أن نسبة الأقباط داخل الجيش كانت محدودة . ولم يكن بالجيش فى ١٩٥١ سوى ضابط قبطى واحد برتبة لواء وأثنين برتبة أميرالاى .. كما كثر بالتنظيم فى بدايته من ينتمون إلى الأخوان المسلمين أو إلى مصر الفتاه من حيث الأصول السياسية لهم ومن ثم حملوا أثراً لتنظيم الثلاثينات .[٥]

● ثانيا : اعتمد نظام ٢٣ يولية فيما بعد على جهاز الإدارة كجهاز وحيد يستند إليه فى نشاطه السياسى ولم ينجح النظام فى تكوين حزب شعبى جماهيرى مستقل عن جهاز الإدارة وإذا كان سبق ملاحظة أن جهاز الإدارة كان أكثر مؤسسات المجتمع المصرى التى تظهر فى تكوينها أو فى مسلكها ظواهر للتفرقة بين المسلمين والأقباط لأسباب تاريخية ترجع إلى طابعه المحافظ وإلى ضعف أثر حزب الوفد فيه .. إذا كان ذلك كذلك فإن استناد نظام ٢٣ يولية على هذا الجهاز الأوحد فى النشاط السياسى . كان من شأنه الإبقاء على هذه الظواهر يضاف إلى ذلك ما روعى فى اختيار قيادات الجهاز واقسامه الهامة من أن يكونوا من « اهل الثقة » وهم فى الغالب أما أن يكونوا من الضباط الأحرار خاصة أو ممن يتصلون

---

(٥) طارق البشرى « المسلمون والأقباط » ص ٦٤٢ الطبعة الثانية .

بهم بروابط شخصية وثيقة من بين زملائهم الضباط وعلى ذلك لوحظ أن التكوين العضوى للمؤسسة الحاكمة كان تكوينا يفتقد جامعية الوفد .

● ثالثا : إن نظام ٢٣ يوليو كان بعيدا عن الاعتماد على المؤسسات الجماهيرية الديمقراطية سواء فى صورتها النيابية أو غيرها من الصور الحزبية . وكان يميل إلى تركيز السلطة على نحو فردى . كان نظاما ذا طابع استبدادى برغم ما انجز من إيجابيات سياسية واجتماعية وقد حاصر المؤسسات المنتجة وأضعف سلطتها وامتد هذا المسلك إلى المجلس الملى نفسه . المؤسسة القبطية المنتخبة والتى كانت تقف تاريخيا فى مواجهة الاكليروس وتجمع العناصر القبطية المدنية ذات النفوذ ، وفى هذا السياق جرت إجراءات التأميم للمشروعات الاقتصادية الخاصة ورغم أن هذه الإجراءات لم يدع أحد قط بأنها إتسمت بأى وجه من وجوه التفرقة بين المسلمين والأقباط فإن عدداً من هذه المشروعات سجلت نسبة ملحوظة من الأقباط بين موظفيه وكان من شأن إعادة تنظيم علاقات العمل فى هذه المشروعات سعيا لإيجاد قدر من المساواة بين العاملين بالشركات المؤمنة كان من شأن ذلك تجميد أوضاع ذوى الرواتب بالغة الارتفاع من هؤلاء العاملين لفترات مقبلة مما ترسب معه الشعور بعدم الارتياح لديهم عامة ولدى الأقباط منهم خاصة لاسيما أن وظائف الإدارة العليا كانت شبه محصورة فيمن سموا « أهل الثقة » .

● رابعا : اتخذت المعارضة المحافظة للاصلاحات التى قام بها نظام ٢٣ يولية . اتخذت طابعا دينيا إسلاميا . خاصة مع بداية حركات التأميمات الواسعة ويلحظ ذلك مثلا فى تقرير لجنة المائة الذى أعدته لجنة الرد على ميثاق العمل الوطنى فى مؤتمر القوى الشعبية عام ١٩٦٢ . واضطر النظام فى غيبة التنظيمات الجماهيرية السياسية الفعالة ان يتخذ مسلكا شديد الحذر وكانت الضربات العنيفة التى وجهها فى ١٩٥٤ و ١٩٦٥ لحركة الأخوان المسلمين مما رأى معه تغطيه لهذا المسلك أن يزكى بعض الاتجاهات الدينية ما دامت موالية له بحكم انتمائها لجهاز الدولة أو ارتباطها به بشكل ما كحركة الطرق الصوفية وبعض من كبار رجال الدين .

● خامسا : مع غياب التنظيمات الشعبية السياسية وضعف الحركة الجماهيرية المشاركة فى السياسة ومع ضعف التكوينات الديمقراطية سواء فى الحياة السياسة أو النقابية تميل حركة الجماهير إلى التقوقع والتشرذم وتخبو عوامل التوحيد وتنتعش أسباب الاختلاف والتنافس والتميزات المختلفة لا بين الطوائف الدينية فقط ولكن بين الفئات الاجتماعية المختلفة من ذوى المهن وغيرها ، وهذا الاتجاه التلقائى يؤكده الحكم الفردى بمسلك تلقائى منه أو مقصود ضماناً لعدم التجمع من جهة واستفاداً للطاقات من جهة والتماسا للأمن والمساواة فى رحاب الحاكم وحده من جهة ثالثة .

وقد كشفت انتخابات مجلس الأمة فى ١٩٦٤ عن عدم انتخاب أقباط بالمجلس رغم أن التنظيم الحاكم لم تكن تعوزه الوسيلة السياسية لدعم بعض المرشحين الأقباط والتوصية بانتخابهم وجرى ذلك ايضا فى الانتخابات الأربع التالية التى جرت فى الستينيات والسبعينيات (١٩٦٨ , ١٩٧١ , ١٩٧٦ , ١٩٧٩) وبدلا من أن يعالج هذا الأمر بالجهد السياسى الشعبى على طريقة الوفد عولج بإقرار مبدأ دستورى جديد هو منح رئيس الجمهورية سلطة تعين عشرة أعضاء فى المجلس النيابى وروعى فيما بعد أن يكون المعينون أقباطا غالبيتهم أو كلهم . الأمر الذى يوحى أن الوجود السياسى للأقباط منحة فى يد الحاكم وأن أمنهم ومساواتهم بمواطنيهم منوط بمشيئة الحاكم .

● سادسا : مع الانعطافة السياسية الكبيرة التى جرت فى السبعينيات جرت محاولات تصفية الوجود السياسى والفكرى لليسار باتجاهاته المختلفة فى مصر . جرت بلجوء الدولة إلى استخدام الدين كسلاح لوصم اليسار بكل اتجاهاته بالالحاد وألجأ هذا الأمر أجهزة الإعلام وغيرها إلى إشاعة مناخ ، أثار حذر الأقباط من إثارة النزعة الدينية كجامع سياسى يستبعدهم بما قد يؤثر مستقبلا فى حقوق المواطنين لغير المسلمين وبما يصوغ الدولة - أجهزة وتشريعات - وفق هذا الوضع » .

الفصل الرابع

البابا .. وشيخ الأزهر

بعد احداث الانتفاضة الشعبية فى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ دعا الرئيس السادات القيادات الدينية من رجال الدين الإسلامى ورجال الدين المسيحى إلى الاجتماع به فى ٨ فبراير بالقصر الجمهورى بعابدين . وقد استمر الاجتماع حوالى ساعة و ٤٥ دقيقة أعلن السادات فى بداية الاجتماع أن الإيمان يقضى على الحقد وأن صوت الحب والوحدة يردده الانجيل والقرآن وأكد على أنه لن تنجح أى محاولة للفتنة بين المسلمين والمسيحيين .

ثم تحدث الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر عن سماحة المسيحية والصورة الخالدة التى رسمها القرآن فى تكريم السيد المسيح والسيدة مريم . وقال : ان الشيوعية تغرس الحقد حتى ينفجر وأكد على أن العلم والإيمان شعار المصلحين الحقيقيين .

قال الامام الأكبر : « انى أحب بتوفيق الله سبحانه وتعالى أن اتحدث عن مبدأ واحد من المبادىء التى اعلنها السيد الرئيس وسار بها قدما .. إلى أن يتحقق الأمل المنشود إن شاء الله .. هذا المبدأ هو شعار دولة العلم والإيمان وما من شك أن هذا الشعار هو شعار المصلحين الحقيقيين . هو الشعار الإيمانى الدينى فى مظهره وفى جوهره . أما فيما يتعلق بشعار العلم فإنه لا يتأتى مطلقا أن يكون إصلاح إلا على أساس مدروس يتخذ فيه جميع الأسباب ليصبح الأمر الذى ندرسه سليما ويصبح مؤائما للمجتمع الذى نعيش فيه .. أما شعار الإيمان فإنه شعار مستفيض عميق . إنه شعب كثيرة .. سبع وسبعون شعبه .. يقول رسول الله ﷺ : « الإيمان سبع وسبعون شعبه أفضلها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن

الطريق » . والحياء شعبه من الإيمان ». من هذه الشعب أحب أن اتحدث عن شعبة واحدة فى هذا الجو الإيمانى هى شعبة الرحمة والرحمة هى المبدأ الأصيل الذى من أجله نزل الإسلام . إن الرحمة هى السبب فى نزول الإسلام أسسا وبواعث . وهى السبب فى نزول الإسلام اهداف وغايات .

● ● ●

ولقد أفاض الإسلام فى تصوير جو الرحمة . والله سبحانه وتعالى يوصف فى القرآن الكريم بأنه رحيم ودود .. ومن أجمل الصفات .. رحيم ودود .. وهو سبحانه أرحم الراحمين . ورسول الله ﷺ يتحدث عن الرحمة كثيرا ويستفيض فيها : إن الله سبحانه وتعالى يقول عنه « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » وهو يتحدث عن نفسه فيقول : « إنما أنا رحمة مهداه » .. إنه رحمة اهداها الله سبحانه وتعالى للإنسانية .

وكان رسول الله ﷺ يتحدث إلى الصحابة دائما عن الرحمة . يتحدث إليهم عن الرحمة بالقصص وبالأفعال وبالأمثال وبالأسلوب المباشر . لم يدع رسول الله ﷺ فرصة للحديث عن الرحمة إلا وانتهزها..

وفى يوم من الأيام كان يتحدث عن الرحمة فقال له احد الصحابة يا رسول الله إننا نرحم اهلنا وذوينا .. هذا التصوير المحدود للرحمة لم يرض رسول الله ﷺ لأنه تحديد لما ينبغى ألا يحدد .. فقال له رسول الله ﷺ : « ليس هذا ما أعنيه إنما اعنى الرحمة العامة .. الرحمة بالإنسان .. الرحمة بالجار .. الرحمة بالأقارب .. الرحمة بالإنسانية بأكملها .. بل ويتخطى الرحمة الإنسانية إلى الحيوانات .. الرحمة بالحيوان » .. ورسول الله ﷺ هو الذى يقول : « الشاه أن رحمتها رحمك الله » .. واحاديث الرحمة مستفيضة فى هذا الجو .. جو الرحمة .. وفى إطار الرحمة لا يوجد مكان مطلقا للحقد .

ويواصل الامام الأكبر شيخ الأزهر كلمته فيقول : ان الشيوعية تغرس الحقد .. تزرعه .. تسقيه .. تنحيه .. تؤججه حتى ينفجر .. وهذا هو أمل الشيوعية فى المجتمعات أن ينفجر فيها الحقد فى آونه .. وفى كل لحظة .

أما الإسلام فإنه رحمة وفى جو هذه الرحمة عاش المسيحيون والمسلمون فى وادى النيل فى ظلال الرحمة الوارفة . عاشوا معا متساندين متكاتفين . لم تفرق بينهم عصبية . ولم يفرق بينهم جنس ولم تقع بينهم حروب دامية .. كلا .. اننا عشنا طيلة هذه الفترة وليس هناك تفرقة عنصرية ولم تفرق العنصرية بين المسلمين والمسيحيين . ولم يفرق الجنس بل عشنا جنسا واحدا .. ولم يفرق بيننا أى عامل من العوامل فيما يتعلق بهذه التفرقة التى تنتهى إلى الحروب الدامية . هو المبدأ الإسلامى فيما يتعلق بمعاملة المسلم مع غير المسلم . إن الله سبحانه وتعالى حدده بقوله سبحانه : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا . أن الله يحب المقسطين ، إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين واخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم ومن يتولهم فإولئك هم الظالمون » (١)

● ● ●

أما فيما يتعلق بالمجتمع فإن الصورة التى رسمها رسول الله ﷺ له ورسمها القرآن الكريم إنما هى صورة المجتمع المتساند .. المتكاتف .. المتعاون الذى يرحم الكبير فيه الصغير ويتعاون فيه . هؤلاء الذين يميز المجتمع بينهم ببعض الصفات يعنى أن يتعاون فيه العالم مع الجاهل بعلمه . وأن يتعاون فيه الغنى مع الفقير فيحسن إليه .. وأن يتعاون فيه كل ذى منصب مع من لا منصب له .. بمثله رسول الله ﷺ يقول : استهموا على سفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها .. وكان الذين فى اسفلها إذا استقوا الماء يمرون على من فوقهم فقالوا لو أننا خرقنا فى نصيبنا خرقا دون

---

(١) سورة الممتحنة الآيتان ٨ ، ٩ .

أن نؤذى الآخرين يقول رسول الله ﷺ فإن تركوهم وما فعلوا هلكوا جميعا .. وأن اخذوا على ايديهم نجوا .. ونجوا جميعا ومن اجل ذلك فإنه يجب الأخذ على أيدى كل العابثين بشدة حتى ينجوا المجتمع . ان هذه هى الصورة التى بينها رسول الله ﷺ بالنسبة للمجتمع . كل إنسان فيه يتحمل مسئوليته . وكل إنسان فيه يتعاون مع الآخر .

● ● ●

سيادة الرئيس .

لقد رحبتم بنا جميعا . وإنى باسمى وباسم أخوانى أرحب باخواننا المسيحيين . ارحب باخواننا الأقباط . وأرجو الله سبحانه وتعالى أن نسير جميعا نحو رفعة هذا الوطن .. ونحو الهدف الذى ترمون إليه فى سياستكم الحكيمة .

وأحب أن اقول لاخواننا الأقباط أننا كمسلمين نؤمن بالسيد المسيح ونحترم السيدة مريم رضوان الله عليهما . وأن الصورة التى رسمها القرآن للسيد المسيح والسيدة مريم صورة خالدة .. صورة لا يتأتى مطلقا فى الأسلوب البشرى أن توجد . لأنها صورة تكريم .. « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (٢) .. هذا هو القرآن الكريم . « والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم ابعث حيا » (٣) .. وذلك على لسان السيد المسيح .. والصورة القرآنية عن السيدة مريم وعن السيد المسيح والأسلوب الذى تحدث به القرآن عنهما أسلوب لا يتأتى مطلقا أن يجارى فى الشرق ولا فى الغرب .. ولا فى القديم .. ولا فى الحديث من أجل ذلك .. ومن أجل هذه القداسة التى بينها القرآن عن السيد المسيح وعن السيدة مريم وهى فى التصوير القرآنى صديقة .. سنسير جميعا نرفع

---

(٢) سورة آل عمران ــ الآية ٤٢

(٣) سورة مريم ــ الآية ٣٣ .

علم الرحمة ونرفع علم التسامح .. ونرفع علم الإخاء ونرجو الله سبحانة تعالى أن يوفقنا إلى كل ما فيه الخير والسلام .

● ● ●

ثم تحدث قداسة البابا شنودة عن سماحة الإسلام واقتراحاته لتأكيد الوحدة الوطنية وفيما يلي نص الكلمة :

سيادة الرئيس .

أود فى مستهل كلمتى أن اشكركم كثيرا على هذه الدعوة الكريمة ، ولأنكم جمعتمونا معا فى هذا المكان ــ بيت الشعب ــ ولأول مرة فى التاريخ على هذا المستوى الواسع لجميع الشيوخ المسلمين وأساقفة الأقباط .

لا شك أنها روح طيبة نشكركم عليها وأحيى فيها أخوتى المسلمين جميعا وأرجو أن يتكرر هذا اللقاء .

أود أن اقترح كناحية من تأكيد الوحدة الوطنية أن تكون هناك لجنة دائمة مشتركة بين رؤساء القادة الدينيين فى الإسلام والمسيحية وأن تجتمع باستمرار وتناقش ما بينها من أمور لأن المثل يقول « البعد جفوة » .

أنا واثق أننا كلما التقينا زدنا ترابطا وزدنا تماسكا وكلما فهمنا بعضنا البعض بأسلوب أوسع كان لهذا الأمر تأثيره على أولادنا من المسيحيين والمسلمين .

وأود يا سيادة الرئيس أن أحيى فيكم إنسانا متدينا يحب الله ويسعى لمرضاته وينشر مبدأ العلم والإيمان وأحيى فيك أيضا الرجل الذى يؤمن باخلاقيات القرية فى نقاوتها وبساطتها وأحيى أيضا العبارات التى ذكرتموها عن الحروب الصليبية وكيف كان الأقباط ضد الصليبيين فى عدوانهم على أخوتهم المسلمين .

وفى هذه الظروف أود أن أعلن أننا جميعا نقف إلى جوارك . نحن نحسن الموقف تماما فى أعماقه ونكلمك من عمق أحساساتنا ومن عمق قلوبنا . إن المشكلة الاقتصادية يا سيادة الرئيس لا تحملها انت وحدك . نحملها نحن جميعا معك . أنت ورثت وضعا معينا مكبلا بالديون وعملت على قدر ما تستطيع وينبغى أن نعمل معك . ومشكلة الأمن ايضا لا تحملها وحدك نحن نحملها معك . ومشاكل ردود الفعل الناتجة عن الحرية لا تحملها وحدك نحن نحملها ايضا معك .

نحن لا نرضى اطلاقا أن نقف من الحكام موقف المتفرجين . نمدح أو نذم وإنما نريد باستمرار أن نضع أيدينا فى أيدى الحكام ونسير معهم المسيرة كلها .. متعاونين فى وقت الضيق وسعداء معا فى وقت الراحة واليسر . ونحن فى هذا الاجتماع نود أن نشجب ونستنكر حوادث الشغب والإيذاء والتخريب التى حدثت فى النصف الثانى من يناير . ونقول أن التخريب والإيذاء ليس إطلاقا الوسيلة المعبرة عن الرأى . هناك الوسائل الدستورية الكثيرة التى يمكن أن ينتهجها كل إنسان للتعبير عن رأيه . ونحن نشكرك كثيرا لأنك أرسيت مبادىء من الحرية سواء الحرية الشخصية أو حرية الصحافة أو حرية إبداء الرأى أو حرية تكوين الأحزاب إلى آخره . وما كنا نود إطلاقا ونكلمك ونحن فى تأثر شديد . ماكنا نود إطلاقا أن الحرية التى اعطيتها للناس تستخدم ضدك أو ضد مصر . إننى هنا أتذكر قول الشاعر الذى قال « اعلمه الرماية كل يوم .. فلما اشتد ساعده رمانى » .

نحن لا نقبل هذا . الحرية فى نظرنا هى حرية القلب من الخطيئة . حرية الفكر من الانحراف . حرية الإنسان من الحقد .. من الأنانية .. من الذاتية .. من الشر عموما . والإنسان الذى تحرر داخله يستطيع من الخارج أن يستخدم حريته حسناً . أما الذين لم يتحرروا بعد فى أرواحهم ، فهؤلاء يمكنك ان تضبطهم بالقانون وبالعقوبة ، ولا يلومك أحد .

نحن فى هذه الآونة الأخيرة نود أن نقف جميعا متساندين . نود أن نقف معك ،

ونود أن نقف مع بعضنا البعض . رجال الإسلام ورجال المسيحية ، فى وحدة وتآخٍ وفى حب وفى تعاون ، نضرب لباقى الناس المثل السليم أو المثال الطيب لحياة المحبة والتعاون .

ونحن نشكرك ياسيادة الرئيس لأنك تهتم بالتعليم الدينى . وفى الواقع ان العالم لا يصلح بالقانون بقدر ما يصلح بسلامة الضمير . ما أسهل أن يتخلص الإنسان من القانون . يرتكب خطيئة فى الخفاء . ما أسهل أن يؤول الإنسان القانون تأويلا رديئا لصالحة . ما أسهل أن يتهرب الإنسان من القانون ونحن نرى فى المحاكم أنه قد يوجد طرفان متنازعان كل منهما يتكلم بأسم القانون . وكل واحد ضد الآخر . ولكن الضمير اسمى بكثير . ان الضمير اسمى بكثير من القانون . رأينا ان القانون هو الحد الأدنى للاخلاقيات ، أما الضمير فهو الحد الأعلى . وأريد أن اقول فى هذا مسألة أخرى أن القانون له حدود ضيقة ، فالقانون يحكم على الأعمال الظاهرة ، والتى لها دليل مادى يثبتها ، أما الضمير فإنه يحكم على الفكر وعلى النية وعلى مشاعر القلب الداخلية . الأمور التى لا يمكن أن يصل إليها القانون .

كذلك حسنا ان نهتم يا سيادة الرئيس بالتعليم الدينى واقتراحى فى هذا الأمر أن التعليم الدينى ألا يكون نصوصا أو مجرد أفكار إنما نتكلم عن روح الدين أكثر من نصوصه ونتكلم عن الدين كحياه يمتصها الإنسان وليس كمعلومات يحشو بها فكره .

وقد قال السيد المسيح فى الكلام الذى أقوله لكم ، هو روح وحياة . وقيل فى الإسلام أن الدين هو المعاملة . وأريد أن يحيى الناس الدين وليس فقط يحفظونه . الدين يملأ قلوبهم ويعيش فى حياتهم ويعلمهم الحب ، ويعلمهم الإطلاع ، ويعلمهم الطاعة ويعلمهم احترام من هم أكبر منهم ، يعلمهم الفضيلة مطبقة فى الحياة اليومية وليس مجرد أفكار . وأسوأ ما يأخذه الناس عن الدين ان يظن البعض ان الدين هو التعصب . ويظن أحد أن محبته لدينه تدعوه إلى كراهية الأديان الأخرى أو

محاربتها . أريد الإنسان المتدين الذى يحب الجميع . لكل إنسان فى قلبه مكان ومكانة ، ولكل إنسان فى قلبه منزل ومنزلة . كل إنسان يأخذ من محبته ويأخذ من رحمته – كما سمعتم من فضيلة الأمام – وأيضا يأخذ من مثاليته ، وكل إنسان يعطى صورة مشرقة عن دينة . إنه ينشر السلام والحب فى معاملاته اليومية .

● ● ●

وأشكرك يا سيادة الرئيس لأنك تكلمت عن سماحة الإسلام وعن سماحة المسيحية وكان من نبلك أنك تكلمت عن السماحة فى المسيحية بالأكثر . فاسمحوا لى أتكلم ولو قليلا عن سماحة الإسلام . أريد أن أذكر الإسلام فى جوهره ، وفى روحه وفى أساسه .

الإسلام عامل غير المسلمين معاملة طيبة . نذكر منه هذا الميثاق الذى أعطى لنصارى نجران ، والميثاق الذى أعطى لقبيلة تغلب ، والوصية التى قدمها الخليفة الامام عمر بن الخطاب قبل موته ، ووصية الخليفة أبى بكر الصديق لأسامة بن زيد . والميثاق الذى أعطاه خالد بن الوليد فى دمشق والميثاق الذى أعطاه عمرو بن العاص لأقباط مصر .

واذكر ايضا العبارة الاسلامية الجميلة « *استوصوا بالقبط خيرا فإن لنا فيهم نسبا ورحما* » .

واذكر ايضا الحديث الشريف « *من أذى ذميا فليس منا . العهد لهم ولابنائهم عهد أبدى لا ينقض ، يتولاه ولى الأمر ويرعاه* .

وأذكر أيضا فى سماحة الإسلام ذلك الشرع الجميل الذى يقول : « *إن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون* » وهكذا أعطى الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين .

وأذكر ايضا فى سماحة الإسلام حفظه فى عهوده ومواثيقه للمسيحيين فى كنائسهم وصوامعهم ورهبانيتهم وأملاكهم وأرواحهم وكل شيء .

وأذكر أن عمرو بن العاص عندما أتى إلى مصر كان بطريرك مصر البابا بنيامين البطريرك الثانى والثلاثون مختفيا فى أرجاء مصر من أخوتة المسيحيين المختلفين عنه فى الإيمان ثلاثة عشر عاما لم يجلس على كرسيه فلما أتى عمرو بن العاص آمنه على نفسه وعلى كنائسه والكنائس التى أخذها منه الروم أرجعها إليه عمرو بن العاص بل ساعده ايضا فى بناء كنيسة الاسكندرية .

وأذكر أن حياة المحبة جمعت بيننا طوال ثلاثة عشر قرنا من الزمان ونحن نضرب مثالا للناس فى التعايش السلمى .

ونذكر ان المسيحيين وقفوا ضد الغزاة حتى فى الوقت الذى آتى فيه هؤلاء الغزاه يقولون اننا نحمى الأقليات . أحد بطاركتنا جاءه سفير أجنبى يطلب منه حماية الأقباط كأقليات فقال له البطريرك هل ملككم هذا الذى يحمينا يموت أم يعيش إلى الأبد .

فأجابه : يموت طبعا .

قال له : نحن فى حماية ما لا يموت . ورفض تدخل الأجانب بهذا الطريق .

بل نذكر أيضا أن الأقباط عقدوا مؤتمرا ورفضوا فيه تمثيل الأقليات وقالوا نحن مصريون ولا نود أن نبحث هذا الوضع .

وفى عهد الدولة الأخشيدية كان محمد الأخشيد يحتفل مع الأقباط بعيد الغطاس فى جزيرة النيل وحول ألف قنديل يحتفل معهم بالعيد . كان الاحتفال بعيد الغطاس احتفالا عاما للمسلمين والمسيحيين فى عهد الدولة الفاطمية .

جامع احمد بن طولون استقدم له احمد بن طولون سعيد بن كاتب الفرغانى أحد المسيحيين فبنى له الجامع لأنه أراد أن يبنى الجامع بغير عمد تحجب الأنظار .

الأقباط عاشوا فى ظل الحكام المسلمين الذين يؤمنون بسماحة الإسلام .. عاشوا حياة طيبة . الخليفة المعتصم كان هناك اخوان مسيحيان واحد اسمه سلموى والثانى اسمه إبراهيم الأول كان له فى مقام الوزير الثانى . كان حامل خاتمه وكان أمينا على خزائن الدولة . فى الدولة الفاطمية وجد الوزير القبطى إلى جوار الخليفة ولم يكن هناك غير وزير واحد . نسمع عن يعقوب بن كلس وعن عيسى بن سطورس ونسمع عن بعض الوزراء المسيحيين الذين أوتوا سلطة كبيرة .

نعرف أن الإسلام حينما يفهمه المسلمون فهما حقيقيا يدركون اعماقه فى السماحة ويحبون اخواتهم المسيحيين . ونحن نشيد بهذه السماحة التى عبر عنها التاريخ مرارا كثيرة بأمثلة عديدة . ونرجو أيضا أن تتوطد العلاقات المحبة بيننا أكثر فأكثر .. مازلت اقترح أنا شخصيا . لا مانع عندى أن اشترك مع اخوتى شيوخ المسلمين فى وضع كتب دينية مشتركة ومن الممكن أن نضع معا كتبا ضد الالحاد . فكلنا نؤمن بوجود الله . يمكننا أن نضع كتبا عن صفات الله الحسنى .. يمكننا أن نضع كتباً عن التوحيد *فنحن نؤمن بإله واحد وإن كنا نقول باسم الأب والأبن والروح القدس إنما نقول بعدها إله واحد أمين .*

يمكننا أن نؤلف كتباً معا فى الفضيلة والأخلاقيات .. يمكننا أن نؤلف كتبا معا فى الوطنية وفى قضايا بلادنا .. يمكننا أن نشترك فى هذه الأعمال .. ويرى عامة الشعب ويرى الطلبة .. ويرى ابناؤنا مسلمين ومسيحيين كيف أن اسماء قادة الدين مسلمين ومسيحيين مشتركة معا فى كتاب واحد .

يمكننا أن ندخل فى رسائل علمية كثيرة نربط بها بين المسيحى والمسلم ونحيا حياة مشتركة . وثقوا أن الحب هو أقوى من القانون .

فى المسيحية يقول الكتاب المقدس : *الله محبة فمن يثبت فى المحبة يثبت فى الله والله فيه .*

ونحن ننادى برسالة الحب باستمرار ونريد أن نعلم أولادنا فى المدارس الحب . نعلمهم حب الأبوين ونعلمهم حب المدرسين ونعلمهم حب القادة ونعلمهم حب بعضهم لبعض ، الحب النقى الطاهر الذى يرتفع فيه الإنسان على مستوى القانون .

نريد أن نعلم أولادنا حب بلادهم . يحبون كل شارع من شوارعها وكل مرفق من مرافقها وكل مؤسسة من مؤسساتها .

ونريد أن نعلم الناس احترام الغير حتى الذى يخالف الرأى . ما أسهل أن يختلف إنسان معك فى الرأى ويكلمك بأسلوب هادىء رقيق مؤدب فتحترم رأى المخالف وما أسهل أن يختلف معك إنسان فى الرأى فيقول كلاما شديدا منفراً . نريد أن نعلم الناس الأدب الحقيقى .

ونحن نشكر هذه الفرصة يا سيادة الرئيس التى جمعتنا فيها معك ونعاهدك أن نقف إلى جانبك فى قوة هى قوة الحق الذى يجمعنا جميعا ولإلهنا المجد الدائم إلى الأبد أمين .

● ● ●

بين الإسلام والمسيحية اتفاق مشترك فى كثير من الأشياء .. يقول قداسة البابا شنودة : من جهة العقيدة يوجد اتفاق فى نقاط أساسية منها الإيمان بوجود الله ووحدانيته والإيمان بأن الله أزلى أبدى .. قدوس غير محدود .. موجود فى كل مكان وقادر على كل شىء وفاحص للقلوب والأفكار والنيات .

الإسلام والمسيحية يؤمنان بالبعث وقيامة الأجساد وبالثواب والعقاب وبالحساب .

وكلاهما يؤمنان بالفضيلة وبالخير وبأهمية الضمير .

ويؤمنان بوجود الملائكة كأرواح خيرة وبوجود الشياطين كأرواح شريرة .. كانوا ملائكة وسقطوا .

ويؤمنان باسماء مشتركة من الأنبياء مثل إبراهيم وموسى وداود وإيليا وغيرهم .

ويؤمنان بأن الجنس البشرى كله يرجع أصله إلى أبوينا الأولين آدم وحواء .

ويؤمنان بقصة الطوفان ونجاة أبينا نوح فى الفلك .

ويؤمنان بالمعجزة .

ويؤمنان بأن السيد المسيح قد ولد من عذراء هى القديسة مريم .

والخلافات العقيدية بين المسيحية والإسلام لا تمنع وجود نقاط مشتركة يمكن أن تكون مجال لقاء[١] .

---

(١) حوار مع نبيل أباظة نائب رئيس تحرير أخبار اليوم نشر بجريدة مايو .

الفصل الخامس

بداية الصراع

بعد وفاة البابا كيرلس السادس .. بدأ الرئيس السادات يقلق .. ويناقش .. ويتساءل من سيكون البابا الجديد بدأ يعقد الاجتماعات فى منزلة ليناقش انتخابات البابا القادم وكأنه هو الذى سيختار أو يعين البابا الجديد القادم أو يسانده .. وقد تناسى أن هناك قوانين كنسية تجرى بها الانتخابات السرية لاختيار البابا ولا يكون لأحد من البشر فضل فى اختيار البابا الجديد .

ويروى لنا الكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل تفاصيل اجتماع السادات فى منزلة لمناقشة انتخابات البابا الجديد فيقول فى كتابه « الخريف الغضب » اتاحت لى المصادفات مرة ان احضر مناقشة فى بيت الرئيس السادات فى الجيزة حول انتخابات البابا الجديدة بعد وفاة البابا كيرلس السادس . كان الاجتماع يضم كلا من الرئيس السادات ووزير داخليته فى ذلك الوقت السيد ممدوح سالم ونائب رئيس الوزراء الدكتور محمد عبد السلام الزيات وهو قانونى متمرس إلى جانب أنه كان فى تلك الأيام من أكثر المقربين إلى الرئيس السادات « ولو أن ذلك لم يمنع الرئيس السادات فيما بعد من اعتقاله مع آخرين ضمن الاعتقالات الواسعة التى جرت فى سبتمبر ١٩٨١ » ــ ولقد رحت أتابع تفاصيل المناقشة وكان موضوعها الاحتمالات الممكنة فى انتخابات البابا الجديد الذى يجلس على الكرسى البابوى بعد البابا كيرلس . وبدا لى من سير المناقشات بين الرئيس ومعاونيه أن الأمر قد انتهى إلى منافسة بين اثنين من الرهبان . أحدهما من الجيل القديم والآخر من جيل الرهبان الشبان المتحمسين وهو الأنبا شنوده . وسألنى الرئيس عن رأيى فى المسألة . وكان واضحا أمامى من اتجاه المناقشة التى كانت معظمها دائرة بين رئيس الجمهورية ووزير داخليته ــ ان وزير الداخلية يميل إلى تأييد انتخاب الأنبا شنودة فقد كانت

بينهما معرفة وكانت الصلات بينهما صلات ود وثقة . وأبديت رأيا عاما فيما سئلت فيه وكان رأيى « أننى لا اعرف شخصيا احداً من الأثنين ولكنى بصفة عامة ــ وفيما يتعلق بكبار رجال الدين ــ أجدنى أميل إلى ترجيح كفة الأكبر سناً وذلك لعدة اعتبارات بينها اعتبار سياسى هو أنه إذا ثبت بالتجربة أن الأكبر سنا أكثر صعوبة فى التعامل معه فإن الطبيعة نفسها لن تعطيه زمانا طويلا لإثارة المصاعب فى حين أن ذلك لو حدث مع الأصغر سنا فإن الطبيعة كفيله ــ فى الظروف العادية ــ بأن تعطيه زمانا طويلا لإثارة المصاعب » وكان ممدوح سالم كان فيما يبدو ومتأكدا مما يقول وأضاف يومها أنه يستطيع أن يضمن نوايا شنوده ولا يثق أنه يستطيع أن يفعل ذلك بالنسبة للمرشح الآخر .

وانحاز الرئيس السادات إلى رأى وزير الداخلية وكان من عجائب المصادفات بعدها أنه حين تمت إجراءات الانتخابات ودخل الطفل إلى الغرفة المظلمة يسحب ورقة من الصندوق الصغير فإن الأسم الذى كان مكتوبا عليها كان هو اسم الأنبا شنوده .

● ● ●

وما ذكره الأستاذ هيكل عن هذا الاجتماع يؤكد أن السادات انحاز إلى انتخاب قداسة البابا شنودة ثم بدأت علاقات وثيقة بين البابا والسادات .. اجتمع الرئيس السادات مع البابا اكثر من مرة واجتمع مع المجمع المقدس وناقش الرئيس قضايا ومتاعب الأقباط وذهب السادات إلى الكاتدرائية بالعباسية وصلى فى مكتب البابا شنودة ووافق على بناء خمسين كنيسة للأقباط . ولكنه مع بداية احداث الفتنة الطائفية بعد احداث الخانكة تحول السادات إلى الهجوم الشديد على قداسة البابا واتهامه باتهامات كثيرة . وشن السادات حملات على البابا انتهت باعتقاله ضمن قرارات سبتمبر ١٩٨١ ولم يكن اسم البابا ضمن المتحفظين عليهم .

كيف اشتد الصراع بين نظام السادات والكنيسة ؟

كان السادات يحمل شعار الدعوة إلى الوحدة الوطنية حتى مايو ١٩٨٠ حينما تعكر الجو بينه وبين المجمع المقدس الذى أرسل شكواه الصارخة إلى السادات طالبا منه التدخل لحماية الأقباط من الجماعات الإسلامية المتطرفة .. واضطر المجمع المقدس ان يعلن عدم الاحتفال بعيد القيامة المجيد فى ١٩٨٠ واصدر امره إلى كل رجال الكنيسة بعدم تقبل التهانى بالعيد من أى مسئول رسمى تبعث به الحكومة كعادتها كل عام للتهنئة بالعيد المجيد ..

كان يجب أن تكون صرخة المجمع المقدس محل اعتبار من الرئيس السادات ليتخذ من الإجراءات وهو رئيس السلطة التنفيذية .. الإجراءات الكفيلة بحماية الأقباط من الاعتداءات المتكررة على الاقباط ابناء مصر .. الشعب الواحد .. مسلمون وأقباط .

ولكن الرئيس السادات فى خطابة أمام مجلس الشعب بمناسبة ذكرى ثورة التصحيح فى ١٤ مايو ١٩٨٠ شن هجومه العنيف على مدى ساعتين على البابا والكنيسة واتهمه باتهامات خطيرة بلا دليل أو اثبات .

كان الخطاب غير مرتب .. عباراته كلها مشحونة بالانفعال والتوتر .. والغضب .. والاثارة ..

قال الرئيس السادات فى هذا الخطاب الغاضب : .. لكن استغربت ليه الفتنة الطائفية ؟! ليه ؟! ليه ؟! بدأت يناير زى ما قلت لكم ٧٢ على ما وصلنا للصيف أنا ما أخذتش اجراءات خالص .. على ما وصلنا للصيف كانت استشرت .

غريبة ؟! وبعدين كنت اقول لممدوح اتصل بالقيادات اللى فى الكنيسة وقل لهم الكلام ده عيب . ويتصل بيهم .. بدلا ما الأمور تهدأ .. لا .. ألاقى الأمور ماشية الى تصعيد . غريبة ؟! .. جه صيف ٧٢ انا اللى بيشغلنى فى كل هذا المعركة .. لانه المعركة هى مصير مصر واللى عملناها فى ٧٣ لم نجنى ثمارها وتنتهى منها نهائيا

إلا فى سنة ٨٠ أهه . أما خلصنا كل ده وحطيناه ورانا بقه . ودلوقت بنبتدى البناء . فدى عايزه وقت .. مش المعركة بس .. ده المعركه وما بعد المعركه .. ده اللى بيعنينى .. مش اقوم لما طلعت الفتنة الطائفيه وبعدين أنا مش متعصب .. يعنى لو ان الحاكم متعصب كان يبقى فيه امكانية يكون لها رد فعل .. أبدا .. أنا غير متعصب .

أنا فى وفاة البطريرك كيرلس .. وضد كل من كانوا حولى رحت للبطريركية وعزيت لأنى أجل هذا الرجل رحمه الله .. وحأقول لكم ليه ؟ لأنه أن الأوان ان انتم وابنائى الاقباط فى مصر كلهم والشعب كله يعرف الحقيقة كاملة غير منقوصة .

أنا أجل هذا الرجل الله يرحمه .. تولى فى مستهل ولايتى على طول .. ضد كل آراء المحيطين بى أنا رحت البطريركية وعزيت .. ويذكر ابناؤنا المطارنه اللى كانوا موجودين وكانوا جميعا موجودين فى استقبالى هناك .. لما رحت عزيت .. يذكروا .. وأنا بأقولها امام الشعب والعالم كله . أنا قلت لهم أنا بأوصيكم وصية واحدة .. حافظوا على وحدتكم وعلى وحدة الكنيسة . يذكروا هذا . استغربت .. غريبة .. ايه ؟! وبعدين مصر مش بلد للفتن الطائفية . محناش لبنان .. محناش البلاد العربية . حتى سوريا فيها شيعة وسنه ومارون وكاثوليك وارثوذكس .. يعنى فيها مع ان سوريا كلها ٦ ملايين . أبدأ مصر مش بلد التفرقة الطائفية أبداً عبر تاريخها كله .. ليه ده ؟!

جه صيف ٧٢ واللى انا ملاحظة تصعيد .. يعنى أنا بأبعث ممدوح سالم وبيتصل وبيوعى ولكن هناك تصعيد متعمد . قمت قلت مش دى معركتى النهادره . معركتى اليوم . انا باحضر لمعركة المصير اللى بدونها .. اللى هى اكتوبر .. بدونها ما كنا حنقدر نستعيد ثقتنا فى نفسنا ولانبنى بناءنا ولا كان حيكون لنا وجود كشعب . فقلت خلى دى على جنب ولكن لما لقيتها استشرت .. تذكروا حضراتكم انه فى هذه القاعة وفى صيف ٧٢ تقدمت لكم بقانون اسمه قانون الوحدة الوطنية : هذا القانون لم يطبق الى اليوم . ليه ؟ . أنا كنت قاصد فيه انه باقول ليه الفتنة

الطائفية سواء المتهوسين من الاقباط أو المتهوسين من المسلمين بأقول لهم إختشوا عيب . وعملت قانون الوحدة الوطنية لانه ما كان البديل ان أنا افتح المعتقل علشان كل واحد يقف لان دى مصلحة مصر .. النهاردة مش مصلحتى .. المسألة مش كرس الحكم بالنسبة لى .. المسألة مصر .. عملت القانون لعله يردع .. ماردعش .

ويواصل السادات فى خطابه فيقول : بعد اسماعيل - (يقصد أحمد اسماعيل على وزير الحربية) ماطمنى على الموقف الدفاعى اتجهت رحت إلى الأزهر زرت مجمع البحوث الاسلامية ورحت البطريركية .. فى الازهر تكلمت مع اخواننا العلماء وان مصر فوق كل شىء . وفى البطريركية نفس الشىء .. ولما سألت فى البطريركية ما هى المشكلة ؟ .. قالوا المشكلة كنائس .. قلت لهم كام كنيسة عايزين .. قالوا ٣٠ ، ٣٥ .. قلت لهم لا .. خمسين وكل ما بنى قبل ذلك بدون تصريح مصرح بيه .. وأديت الكلام ده لوزير الداخلية ممدوح سالم وقتها .. وراح اكد هذا الكلام ونفذه .. انتهت . فنبهت أنا بقى فى البطريركية وقلت إنه عيب اياكم ان تعودوا الى هذا .. ليه .. لان المعنى اللى وراها سىء قوى . المعنى اللى وراها أن مصر فى محنه . وفرصة لبعض القيادات المسيحية الجديدة تريد ان تجعل من الكنيسة سلطة فى الدولة .. وهنا أبدا .. أسف .. الكلام كان فى القرون الوسطى ايام صراع الكنيسة مع السلطة الزمنية .. فى تاريخنا إحنا لم يحدث هذا .. هنا بأعود الى كيرلس الله يرحمه .. انتو عارفين أنا رحت عزيت وحزنت على كيرلس كما لم احزن على حد ليه ؟ .. فى الستينات وكان كيرلس هو البطريرك .. ارادت دول الغرب وهى تصارع عبد الناصر ان تستخدم الدين فى صراعها ضد عبد الناصر .. وهنا انتو سمعتونى أنا بأقول انه لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .. دى على المسلمين وعلى المسيحيين وباكرره مرة ثانية .. لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة .. ليه ؟ ارادوا يضربوا عبد الناصر فى الستينات وكيرلس بطريرك .. وقام تخطيط اشتركت فيه هيئة اجنبية وتمويل لقيام فتنة طائفية . الاقباط يقوموا ضد بلدهم .. بهدف ان تنشأ دولة للاقباط فى مصر وتكون عاصمتها اسيوط .. ينتقل الاقباط كلهم ويكونوا دولتهم جوا مصر . اساس التخطيط جه زى ما قلت عايزين يضربوا عبد الناصر واستغلال الدين فى السياسة أمر خطير له ؟ لان الدين يتعلق بمشاعرنا

كلنا وإحنا شعب متدين مسلمين أم أقباط .. متدينين كلنا .. المخطط موجود .. كيرلس يرحمه الله – سافر الحبشة وعلم بالمخطط ما قالوا لوش عليه فى الاول لانه عارفينه . كان كيرلس علم بالمخطط بالنص ساعة ما علم قال لهم رجعونى مصر بلدى مع ان الحبشة انتو عارفين .. الحبشة من ناحية الدين كان لغاية قريب جدا كان بيعين لها المطران بتاعها شأنه شأن المطارنه اللى بيتعينوا فى مصر . تعرفوا كيرلس لما عرف قال ايه ؟ .. على ما كان بيكملو له الحكاية . قال بس رجعونى بلدى مصر . رجع على مصر . راح تقابل مع عبد الناصر وما قلوش كلمه ابدا . قال لعبد الناصر احنا عايزين كنائس . عبد الناصر قال له قوى . بس ما إتكلمش لا قالها لحد ولا حكى بها لانسان لانه جه هنا ووأد الفتنة . البطريرك كيرلس الذى وأد الفتنة فى الستينات اللى كانت كان لا يمكن حتم عملية دولة داخل الدولة فى مصر . يعنى اولادى الاقباط يعرفوا ان ده كلام موش ممكن .. غير مقبول .. لا اقباط يقبلوه .. ولا مسلمين يقبلوه أبداً . ولكن كيرلس ما اتكلمش فيها مخلوق أبداً . ومعرفش أن إحنا عرفنا .. عبد الناصر وأنا بس .. هذا الكلام اللى بأحكيه لكم غير معلوم لأى انسان فى الدولة كان إلا لعبد الناصر ولى بس وبأحكيه النهارده لاول مرة .. ما حكى الراجل ولكن تصرف ووأد الفتنة .

فى ٧٢ .. لا .. العكس بيجرى .. التصعيد ماشى .. إيه ده ؟! .. فلما سألت كام كنيسة قالوا ٣٠ ، ٣٥ قلت لهم .. لا .. خمسين والقديم كان موش مشكلة للقيادات اياها دى فى الكنيسة . قلت لهم اياكم والعودة الى هذا . انا لا أقبل لان اللى وراها معنى كئيب انه مصر وقت محنتها .

قيادات دينية كنسيه تريد ان تأخذ زعامة وسلطة دنيوية وده غير مسموح بيه .. وكان عيب قبل اى حاجة .. وظننت ان المسألة إنتهت من ٧٢ .. لم تنته أبداً .. للأسف . وصلنا الى ٧٨ ورايح أنا كامب ديفيد من وقت بقى المراسل اللى نشر ثلاث مقالات فى الجارديان وثلاث فى النيويورك تايمز ان مصر انتهت .. والبعض بيتصور .. بتسمعوا من أن لآخر أنه إيه .. مؤتمر صحفى ونعلن ونتكلم . لسه عقدة الاجنبى وانه مصر يعنى ممكن تتهز من بره يعنى .. جيت ٧٨ مسافر . من ٧٢

الى ٧٨ جيت مسافر كامب ديفيد . الفتنة ماشيه وماشيه فى القيادات - نرى ما قلت - الجديدة فى الكنيسة .. بعضها .. طيب ليه ؟ .. بيجى لى تقارير .. قلت لا .. انا بعد ما كلمتهم .. لما زرت البطريركية .. لأ ما بأقبلش هذا .. لا .. الناس تعرف واجبها .. ابداً ما بأقبلش .

فى الوقت اللى اتقال مصر انتهت فيه .. حصل تصعيد فى ٧٢ ، ٧٨ الكلام كله قبل كامب ديفيد .. إنه ما فيش فايدة .. بيجين بيقول ابدا .. المستعمرات فى سيناء .. والمطارات .. وانا عملت كنت المبادرة قبلها بسنة .. وما فيش فائدة فعلية .. الكلام فى العالم كله انه خلاص ما فيش فايده .. والمبادرة خلصت وانتهت .. والسادات مادام عمل المبادرة ومافيش نتيجة .. حيخلص السادات .. كله كده .. والنظام فى مصر حيخلص .

أفاجأ وأنا جاى رايح كامب ديفيد برضه التصعيد يطلع قوى وإيه .. المرة دى بقى تصعيد غريب .. انه مظاهرات تقوم فى الامم المتحدة وأنا فى كامب ديفيد يقوم بيها اقباط من المهاجرين ويهتفوا بحقوق الانسان امام الامم المتحدة لأنى مصر لا يتمتع فيها الاقباط بحقوق الانسان . وقامت فعلا فى كل مرة . يعنى بيشك بس زى ماحكيت لكن والله .. منذ توليت الى هذه اللحظة والى ان اترك بارادتكم وبارادة هذا الشعب هذا المكان لن اقف أبداً إلا على أرض صلبه أبداً .. أبدًا لانه ان ما كنتش الارض صلبة يعنى معناها ان ما كانش شعبى ورايا .. طب حأقعد ليه ؟ .. طالما انا قاعد لوفهموا .. ومن سنه ٧٢ .. لو فهموا .. كانوا يريحوا نفسهم هم وغيرهم من السياسيين بتوعنا القدامى .. والانتهازيين .. الجماعة ايام اللى بيطلعوا فى لندن ويروحوا يشتموا فى مصر ويشتموا فى .. واللى بيكتبوا فى الصحف .. كل ده .. كلام فارغ .. ده موش هيهزنى ابدا لانه عندى من شعبى ما يجعلنى أبص للحاجات دى من فوق .. ولا حاجة ابداً .. إطلاقا .. ايه اللى بيركب دماغهم ؟ ٧٨ مصر خلاص .. ايوه .. طيب يطلعوا الاقباط بقى المهاجرين ويمشوا قدام الامم المتحدة .. يعملوا مظاهرات قدام البيت الأبيض لانه الاقباط مالهومش حقوق الانسان فى مصر .. وتلغرافات للرئيس كارتر .. ليه نعمل لمصر

كده ؟ .. ليه ؟ لمصلحة من ؟ يومها قبل ما اطلع قلت طيب هو كده الأمر بقى .. طيب خللى المظاهرات تمشى وتشوف إيه اللى حيجرى ؟ .. سكت .. تم اتفاق كامب ديفيد .. سكنت الفتنة شوية .. نزل التصعيد .. لكن موجودة الباقية منها لغاية ماسفرت أنا أخيراً السنة دى .. ودى بقى بلغت القمة بقى .. التصعيد ماشى لفوق .. واقرر امامكم وامام ابنائى وبناتى من الشعب القبطى وابنائى وبناتى من المسلمين ان المسئولين عن فتنة ٧٢ وما بعدها الى هذه اللحظة مستمرين فى عملهم وهم قيادات فى الكنيسة للاسف .

قبل ما امشى بقى اطلع اسافر الدور ده .. وأنا رايح أقابل كارتر فى ابريل ده .. انتم عارفين انه تحدد ليوم سفرى يوم الاثنين اللى كان شم النسيم .. وانتم عارفين ان الأحد اللى قبل شم النسيم عيد اللى هو عيد الفصح .. المرة دى التخطيط .. التصعيد كان غريبا .. ويظن بقى بيستعجلوا .. حبوا يستعجلوا العملية .. ايام ٧٢ قالوا حريق كنيسة الخانكة .. ايامها بعت .. قلت لهم روحوا شوفوا .. وكلفت هنا المجلس . بعت لمجلس الشعب .. يا مجلس الشعب شكل لجنة تقصى حقائق . فشكل المجلس لجنة كان فيها مسلمين واقباط وقلت لهم روحوا الخانكة اذا كان فيها كنيسة انحرقت سأبنيها على حساب الدولة . اذا ما كانش انحرقت قولوا لى . وأنا عارف ايه اللى فيها . لكن حيث انه لازم تقصى حقائق .. وفيها اقباط .. وتيجى تقومها فى مجلس الشعب ويسمعها الشعب .. يقوم الناس يرتدعوا شوية .. وجت اللجنة وقالت أبدا مافيش كنيسة .. دا فيه ارض تملكها المطرانية وعليها شوية دكك .. وده كان اسلوب بيتبعوه زمان علشان يتحاملو على بناء الكنائس .. انه يحطوا دكك ويصلوا مرة وأتنين .. دى بقت كنيسة .. طيب . يالله يروحوا قايمين بالجدران علشان هدم الكنيسة دى حكاية يعنى خطره جدا . فيروحوا قايمين بالجدران وخلاص ويعملوها من تحت ذقن الحكومة .. طيب انتم موش محتاجين من تحت ذقن الحكومة حاجة معاى ليه ؟ لانه لما بيقولوا لى ٣٠ ، ٣٥ قلت لهم .. لأ .. خمسين .

ما اتعمل سرا خلاص له تصريح خلاص انتهى .. كنيسة الخانكة .. تلغرافات

تجيني من كندا .. من امريكا .. من استراليا .. كلها طعن فى مصر . وطعن فى مين فى شعب مصر علشان الاقباط . ايه الكلام ده ؟! العيب ده ؟! .. كنيسة الخانكة ماكنش فيه كنيسة فى الخانكة .. قبل ما اطلع الدور ده ابريل الشهر اللى قبل اللى فات .. شىء غريب .. الخانكة دى خلصنا منها ٧٢ .. وفيه لجنة تقصى حقائق . الشعب سمعها ومجلسكم هنا ناقشها واعلنت .. إيه اللى رجعها تانى كنيسة الخانكة .. تلغرافات من كندا .. تلغرافات من امريكا .. تلغرافات من استراليا .. اضطهاد الاقباط فى مصر .. وبعدين زى ما قلت لكم حسافر يوم الاثنين .. الحد عيد وعيد كبير .. عيد الفصح .. ارتفاع المسيح .. امعانا بقى فى المخطط قرار بعدم الصلاة فى العيد وبعدم استقبال مندوبين الحكومة .. ليه ؟!

لانه فيه اضطهاد للاقباط فى مصر .. التصعيد ماشى ومعمول ذروته يوم ما اكون فى الولايات المتحدة تتوزع منشورات وتطلع مظاهرات امام البيت الابيض .. امام الامم المتحدة وأنا فى امريكا نرى ٧٨ بتاع كامب ديفيد .. ليه ؟ شوفوا بقى القرار بتاع الصلاة كان حيثياته ايه ؟ .. حيثيات القرار بتاع منع الاحتفال بالعيد وده أمر عندهم خطير .. احنا عندنا كمسلمين ما يستطعش زعيم دينى ان يلغى احتفال عيد لكن عندهم الاحتفال ده خطير لما يلغى . ده شىء رهيب أتارى المطلوب ان العالم يحصل فيه رجه .

وقال السادات . قبل ما اسافر بتلات ايام لقيت ان راديو لندن وراديو امريكا حكى القصة والقرار . وقلت لرئيس الوزراء مصطفى خليل قلت له لا استنى أقف .. استنى لما يكمل المخطط كله .. وقف اى كلام .. كان بياخذ ويدى دكتور مصطفى .. قلت له لا .. لا أقف .. ليه ؟ لان حيثيات القرار .. القرار اللى مش ها أوصفه إلا بعد ما نسمع حيثياته علشان نحكم جميعا ويسمعوه أولادى وبناتى من الشعب القبطى .. الحملة ذى ما قلت . كان مرسوم لها أن نصل الى امريكا وهى فى القمة .. المنشورات بتوزع .. قدام البلير هاوس والمظاهرة فى الشارع قدام بيت الضيافة اللى أنا نازل فيه ومظاهرة امام البيت الابيض ومظاهرة امام الامم المتحدة وتتوزع المنشورات .. وقد كان يتحجز نصف صفحة فى الواشنطن بوست وقد

كان .. كل ده عرفته قبل ما أسافر من هنا وعلشان كده قلت لرئيس الوزراء : لا استنى لان الموضوع بعيد والموضوع مخطط كبير . تعالى اما نوصل مادام راديو امريكا ولندن قالوه كده واللى بلغوه لهم .. أنا عارف مين اللى بلغه لهم هذا الكلام .. علشان يخوفونا وعلشان نجرى وأجرى عن كارتر واقول له أبدا والله وأدافع عن نفسى .

حيثيات القرار اللى صدر واللى قالتها القيادة اليى اصدرت هذا القرار للاقباط كتبوها فى المنشور ده اللى اتوزع يوم وصولى . قبل ما نسافر كان عندنا خبر بيه والدكتور مصطفى خليل رئيس الوزراء اعلنهم بهذا .. عندنا خبر بيه .. المنشور بيقول الكلام اللى وضعه المسئولون اللى اتخذوا القرار بعدم الصلاة علشان بناء حكاية فى العالم ضد مصر وضد انور السادات وضد الاسلام مفروض ان ده كله يصل الى القمة وأنا هناك .

● ● ●

ويواصل السادات خطابه قائلا : المنشور فيه ايه .. المسلمون المتعصبون يضطهدون الاقباط فى مصر .. سبع بنود اقباط مصر يقتلوا وتحرق كنائسهم وتضرب بالقنابل ده البند الأول وده البند الأول من حيثيات اللى اتخذوا قرار الصلاة والتصعيد ومحاولة الضغط براديو امريكا وراديو لندن وكارتر ومنشورات والكلام ده كله .. الكلام ده صادر أمتى .. فى ابريل .. فى مجلسكم الموقر هنا تذكروا فى يناير لما جيت وقلت أنا باسمكم أنا بأحيى وزير الداخلية لانه فى عيد الاقباط فى ٧ يناير فرضت الدولة حراسة كاملة على جميع كنائس الاقباط .. من غير ما نقول لا للقيادة الجديدة ولا لأى انسان لان دى مسئولية الدولة .. الكلام ده قلت لكم فى يناير ٧٨ بعدها بشهرين علشان يداروا القرار اللى اتعمل والفضيحة .. الحيثيات ايه ؟ ويقولوا لاقباط مصر ايه ؟ .. ويقولوا للعالم ولمسيحيى العالم ايه ؟ .. اللى عايزين يهيجوه يقولوا لهم انه الاقباط فى مصر بيقتلوا وبينضرب كنائسهم وما قالوش انه فى يناير على مسمع من اقباط مصر كلهم ولاولادى رجاله

وستات سمعونى باشكر وزير الداخلية امامكم وامام شعب مصر علشان قيامه بواجبه من غير ما يقول لحد .

ويواصل السادات : النقطه الثانية .. الفتيات المسيحيات يخطفوا ويعتدى عليهم ويجبروا على تغيير ديانتهم الى الاسلام بطرق بربرية .. النقطة دى برضة بيقولوها لتبرير قرار منع الصلاة .. وزير الداخلية جه عندكم فى المجلس هنا وحكى القصة .. هوه كل ولد مايحب بت ويعملوا لهم بتاعة ويهربوا مع بعض تبقى الاسلام والمسيحية .. ماهية الحكاية طلعت كده .. ولد بيحب بت وبعدين قالوا لا ده خطفها وجه وزير الداخلية جابهم وجاب واحد من اخواننا النواب هنا الاقباط سمع يقوا بيخطفوا ويعتدى عليهم ويتحولوا .. الكلام ده لمين ؟ لمسيحيى العالم وللرئيس كارتر وللامم المتحدة ثلاثة .. القسس والطلب والعمال يعذبوا ويقتلوا .. انتم عارفين حكاية اسكندرية وفى اسيوط والمنيا .. حوادث جرت وبتجرى وهاتجرى لانها حوادث فردية وكله بيتحل والدولة قائمة بدليل انه ما طلبش حد منها تحرس كنائس المسيحيين يوم ٧ يناير فحمتها من غير ما حد يدرى .. الاقباط يتعرضون للاتهامات والشتائم والاتهام بالكفر والهجوم على طول البلاد وعرضها .. كان عندى .. الكلام اللى بأحكيه ده انا حكيته لاولادى النواب الاقباط الموجودين معانا سامعينه بس أنا باحكيه تانى علشان الشعب القبطى شعبى أنا يسمعه كل ويعرف الحقيقة .

ويضرب السادات فى خطابه مثلا يبرر فيه عدم وجود اضطهاد للاقباط وحتى لا يفسر البعض عملية بناء مدينة ميت ابو الكوم الجديدة خطأ فيقول السادات : اللى مضطهدين فى طول البلاد وعرضها . كان عندى رجل فاضل من ابنائى الاقباط فى ميت أبو الكوم بيسألنى على بناء ميت أبو الكوم الجديدة .. ميت أبو الكوم الجديدة انتم عارفين أنا بأبنيها دلوقت يعنى ربنا رزقه واسع وبعت لى مليون دولار حاعمل بيها ايه ... فكرت الأول اشترى الأرض اللى فى زمام ميت أبو الكوم واملكها للناس . انا عايز اعمل لبلدى حاجة .. رجعت لقيت الحته اللى اتولدت فيها اسمها درب الجامع يمكن سمعتونى بأقول دى تحت خط الشمس وتحت خط

الحياة .. قلت لا أنا لا أعمل لكل واحد بيت أحسن وكمان حكاية الارض دى هاتتفهم غلط .. لانه بالمليون دولار كنت اقدر اشترى مساحات مش هاقدر اشترى كل الارض لكن هاتتفهم غلط تعرفوا ليه ؟ .. لان اغلب زمام ميت أبو الكوم ملك للاقباط . ده اللى فى طول البلاد وعرضها ودى بلد رئيس الجمهورية اللى بأقول هذا .. قمت رحت قلت بدل ماتتفهم .. لا .. وفعلا سعدت أنى باعمل لكل واحد فيلا احسن مما يبنيها اى حد النهارده فى أى مدينة .. كل واحد بياخد فيلا وطاقة شمسية وميه سخنة وبارده وشيء ملكه هناك فى ميت أبو الكوم .. الحمد لله .

أنا باسمع اولادى الاقباط هذا لانه كان عندى الرجل الفاضل زى ما بأقول لكم وبيقولى يعنى انت موش تخليهم يشتركوا فى البنا علشان يبقى لهم . قلت له يشتركوا ايه .. ده لا يملكوا شيء .. قلت له لعلمك اغلبية الأطيان هنا ملك الاقباط ودول بيشتغلوا هناك وأمر عادى ما حدش قال فيه حاجة .. لأه امام العالم نقول انه الاقباط بيتعرضوا للاهانات وكذا وكذا على طول البلاد وعرضها !

الخامسة فى كل هذه الحوادث إن الحكومة المصرية لم تأخذ اى اجراء ضد هؤلاء القتله والمهاجمين .. فى كل هذا ما خدتش الحكومة اى اجراء ولاجه وزير الداخلية عندكم وحكى والنيابة راحت حققت .. حكى القصة إيه والكلام ايه وكله والنيابة راحت وكل شيء ماشى .

البند اللى بعده عند نتادى الضمير العالمى لكى يساعد فى وقف المذابح لثمان من الملايين من المسيحيين فى مصر .. مصر أرضهم .. بينادوا ضمير العالم كله يلحق الأخيرة بس دى يظهر لقوا ان الكذبة كبرت ومش هاتتصدق يقوم يناقضوا نفسهم - هية بيقولوا الحكومة ما خدتش اجراء ابدا يقوم البند الأخير يقول الاجراءات اللى اتخذتها الحكومة غير كافية . طيب ما انتم قلتم فى الأول ان الحكومة ساية .. اللى قبلها واللى قبل اللى قبلها اللى هيه سته ان الحكومة المصرية لم تتخذ فقط اجراء قط .. ده فى نمرة ستة .. فى عزة تمانية يقولوا لا الاجراءات بتاعة

الحكومة غير كافيه وبعدين الختام عند نطلب معونتك الاخلاقية بأن تكتب الى عضو السناتور وعضو الكونجرس لاتخاذ اجراء .. عضو السناتور وعضو الكونجرس فى امريكا هايتخذوا اجراء فى مصر !! وطبعا للرئيس كاتر وطبعا أنا بأودع هذا الكلام .. أنا بأودعه مكتب المجلس .. فى مصر بأوامر القيادة فى مصر ولدينا صورة منه وقبل ان اسافر الى امريكا وعلشان اقطع الشك باليقين استنيت لما وصلت ولقيتها اتوزعت وانا عندى صورة منها .

هذا الكلام أنا بأودعه مكتب المجلس كوثيقة .. لان فيه وثائق اخرى هأودعها : أنا بأوصف اللى جرى ده ايه .. ليه لما حد يكون له أى شكوى يصعد الأمور وبعدين يهجم على بلده .. ويستجدى مساعدة الأجانب على بلده ويستعدى ايه . بيستعدى المسيحيين على المسلمين فى مصر .. ليه ؟ .. ما انتم عارفين .. والله مسيحيو العالم كلهم ما يقدروا يغيروا حاجة فى مصر .. لأن الأمر أمر الشعب المصرى .. أنا بأوصف هذا بكلمة واحدة اسمها الابتزاز .

بقية المخطط اللى ماشى أحب اعرضه عليكم . الجماعة دول عقدوا اجتماع لدراسة دعوة المجمع المقدس الى اجتماع سريع للاحتجاج على اصدار مجلس الشعب للمادة الثانية من الدستور ودعوة الناخبين الاقباط الى عدم التصويب بنعم على تعديل الدستور وبعدين امام معارضة البعض من ابنائ الاقباط تقرر الانتظار الى ما بعد خطاب الرئيس فى ١٤ مايو ..

يجرى الأن العمل على صياغة قرار يقول انه تلقى المجلس المقدس تساؤلات كثيرة من الأقباط فى انحاء الجمهورية حول موقفهم من التغييرات الجديدة للدستور التى أقرها مجلس الشعب وبخاصة التى تمس النواحى الدينية والنص صراحة على ان الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى للتشريع .. ده صياغة بتعد .. قد تكون دى .. قد تكون صياغة غيرها .. إنما هوه دى المعنى الاساسى وأنا بأقولها وأنا مطمئن .. ليه .. لأنه موش بس احنا كان عندنا اللى جيعمل فى امريكا ومن قبلها وقلنا . لا .. حصل انه فى الفترة الماضية ابنائ الاقباط هنا دخلتهم فى العملية وبابا .

واشتركتهم فى علاج هذه الأمور بأن بقيت أوافيهم أول بأول بالمعلومات اللى تيجى للحزب .. وبعت لأبنائى الاقباط النواب اللى هنا لهم تعميمين حزبيين صادرين من الحزب الوطنى الديمقراطى ووزعوا على اعضاء المكتب السياسى للحزب والنواب الأقباط فقط .. ليه .. علشان . يتداركوا الأمور قبل ما تسوء .. وفعلا ابنائى النواب هنا كان لهم دور مشكور .. فى انه بادروا الى اجلاء نقط كثيرة من هذا الموضوع . وكان لهم دور كبير جدا ولو انه زى ماحنشوف فى المخطط محطوط فى المخطط انهم يتهموا بانهم عملاء الحكومة امام الاقباط . بأودع مجلسكم التعميمين السريين جدا . اللى راحوا للنواب الاقباط مع المكتب السياسى فقط علشان مانوسعش الأمور ونلم فعلا . وفعلا كان لهم أثر لانه فعلا قاموا بواجبهم . بقت العملية ايه .. التركيز على المادة الثانية من الدستور وإنه ده يتعارض مع مبادىء حقوق الانسان العالمية . ورفض أى كلام آللى جه فيه المذكره الايضاحية .. اعضاء مجلس الشعب من الأقباط لا يمثلون الاقباط اذا خرجوا على قرارات المجمع المقدس .. هو كده بالأمر .. ويخرجوا على قرارات المجمع المقدس يبقوا ما بيمثلوش الأقباط .. وتبقى الحكومة معيناهم .. ومزورا لهم الانتخابات .. ده هنا الكلام .

ويواصل السادات شن هجومه على المغتربين الأقباط فيقول : تانى المغتربين الإقباط يصعدوا نشاطهم فى مسيرات احتجاج فى المدن الدينية فى دول الاغتراب وخاصة نيويورك امام الامم المتحدة وواشنطن أمام البيت الابيض . ارسال برقيات شديدة اللهجة للرئيس الامريكى كارتر على هذه التعديلات التى تؤكد الاحداث الأخيرة للفتنة الطائفية . كأن الفتنة الطائفية ده اللى كان سببها موش التصعيد وموش السلطة الزمنية اللى عايزاها الكنيسة فى مصر جنب السلطة الدينية . نشر حملة شخصية ضد الرئيس السادات بأنه تزعم فى مصر الجماعات الاسلامية . ويعمل على تحطيم الاقباط لكسب الشارع الاسلامى .. لحسن أنا فقدته بعد صلحه مع اسرائيل واستضافته لشاه ايران . انا يعنى طبعا فى ظروف صعبة ومهزوز . أنا فقدت شعبيتى فيه . لانه عملت الصلح مع اسرائيل اللى حداشر مليون قالوا نعم وخمسة بس قالوا لا .. عشرة قالوا لا عشرة آلاف أقصد من ضمن الكلام وان أنا باتزعم الجماعات الدينية فى مصر . كشف الحكومة المصرية امام الرأى العام الامريكى

وهى انها تتبنى الدفاع عن حقوق عرب فلسطين ضد اراداتهم بينما تتجاهل عن عمد وسوء قصد آلام اقباط مصر نفسها . اتصال بالهيئات الكنسية الدولية (الفاتيكان) . مجلس الكنائس العالمى . مجلس الكنائس الأمريكى .. القيادات الدينية المسيحية وشرح القضية القبطية لهم بعد اكراه الاقباط على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للتشريع المصرى .. تشكيل لجنة من المغتربين وبعض الكنائس المسيحية الاجنبية والعربية لمتابعة ظروف اقباط مصر فى ظل موجة التعصب الاسلامى .

ده بمناسبة الكنائس العربية دى .. حدث فى يوم ان زعيم المقاومة الفلسطينية - يقصد ياسر عرفات - سنة ٧٢ . فى بيروت راجل مهم قوى كان عندى قال لى احنا وانتم عارفين ان منظمة التحرير اول ما وقعت مع الكتائب اللى هم المسيحيين المارونيين فى لبنان والكتائب بيجهزوا جيش كانوا ومتطوعين اللى بيحاربوا بيه دلوقت وخدوا السلاح من اسرائيل .. وبيحاربوا بيه .. جانى الزعيم الفلسطينى سنه ٧٢ وقال لى الحق . قلت له ايه ؟! قال لى إحنا مسكنا من الكتائب خمسة امبارح وجبتهم استجوبهم فى مقر المنظمة طلع منهم ثلاثة مسيحيين مصريين بيشتغلوا مع الكتائب ضد المقاومة الفلسطينية أنا بأقول الكلام ده لانه حكاية الكنائس العربية موش بس مجلس الكنائس العالمى والفاتيكان .. و .. ولامع بعض الكنائس العربية اللى هى الكنيسة المارونية . قلت له انت متأكد . قال لى طبعا متأكد وابعتهملك كمان وممدوح سالم كان وزير الداخلية قلت له قل لقيادات الكنيسة قول لهم بيقول لكم اقباط مصريين بيحاربوا جنب المارونيين هناك فى لبنان .. ايه اللى بيجرى .. ده عيب !! .. العمل على عقد مؤتمر عالمى للمغتربين الاقباط فى اسرع وقت يحاط باعلام منسق فى كافة وسائل الاعلام الكنسية والعالمية لبحث أوضاع الأقباط فى مصر فى ضوء تعديل الدستور والنص على الشريعة الاسلامية كمصدر وحيد للقوانين ولجنة الاعداد لهذا المؤتمر بالاسم عندى اهى قدامى .

كما يواصل السادات هجومه على الاقباط وقيادات الكنيسة فيقول : اللى نلاحظه من ده ايه . المخطط ده ماشى لغاية النهادرة وانا واقف قدامكم .. وفاهمين انه سرى . بس هوه مش محتاج الى نباهة كتير علشان الانسان يقدر يستنتجه .. التركيز

كله على المادة الثانية من الدستور وان دى فرصة يلموا المسيحيين من غير الارثوذكس فى مصر .. احنا عندنا الاتنين يعنى كاثوليك وبروتستانت يلموا الطوائف الأخرى مع الاقباط باسم المسيحية بقي كلها . ويبعتوا للفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى لتشويه سمعة مصر .. ان مصر قالت المادة الثانية من الدستور الشريعة الاسلامية المصدر الرئيسى للتشريع يبقوا همه خلاص . وده تعصب من مصر .. وده .. وده التصعيد اللى ماشى الى اليوم .

آخر حاجة بعتها لاولادى النواب الاقباط .. مندوب من هنا قام راح الفاتيكان ومعاه صور متخذه فى اسيوط .. لمظاهرة طلعت علشان يقولوا اتفضلوا آدى اللى بيجرا ضد الاقباط فى مصر .. برضه لمحاولة ضرب سمعة مصر .. طبعا التركيز على المادة الثانية فى الدستور أساس .. المادة الثانية بتقول الشريعة الاسلامية هى المصدر الرئيسى .. وانتم جيتوا فى مذكرتكم قلتم انه المصدر الرئيسى .. وقد تكون فيه مصادر أخرى .. وجه وزير العدل فيما اعلم قال انه قانون الاحوال الشخصية لغير المسلمين يتفضلوا يبعتوه علشان نصدره لهم بشريعتهم .. محدش بيفرض الاسلام على حد .. أبداً .. كل واحد حر فى اختيار العقيدة اللى هو عايزها .

لكن ليه الكلام ده ؟ .. ليه اثر الكلام ده ؟ .. هل مجلس الكنائس والفاتيكان وكارتر ومجلس الكنائس الامريكى .. وكارتر والفاتيكان والامم المتحدة أقرب لاقباط مصر من اخوانهم مسلمى مصر ؟ .. ماهو ده المطلوب النهارده .. وانه التهديد بالمسيحية والتهديد بالمسيحية وتشويه صورة الاسلام .

طيب اذا كانت المادة الثانية هى سبب كل هذا فأنا أقول لأبنائى الاقباط .. بيسمعونى الآن .. اقول لكم ولشعبنا اننى يوم ان توليت الحكم فى مصر أحكم كرئيس مسلم . أنا قلت يجب ان نسمى الاشياء بمسمياتها مصر دولة اسلامية . ومش دولة اسلامية عادية .. لأ .. ده لها مركز قيادى فى عالمها الاسلامى ومركز ريادة حيث حافظ الأزهر على الاسلام طوال الف سنة بشهادة مسلمى العالم وكان يجب ان يعلم مثيروا الفتنة ان الضمانه الحقيقية للمسيحية فى مصر هو الاسلام .

لما أقول رئيس مسلم لدولة اسلامية .. ليس معنى هذا أبدا اننى لا أؤدى حق المسيحى قبل المسلم ولكن هذه دولة اسلامية من عهد البطريرك بنيامين وقت ان ارسل جميع المسيحيين لكى يعارفوا الجيوش العربية جيوش عمرو بن العاص . ارسل اقباط مصر الأب بنيامين لمعاونه عمرو بن العاص لكى ينهى الاضطهاد الدينى البيزنطى لاقباط مصر . وأنا اقول انى رئيس مسلم لدولة اسلامية اعرف مسئوليتى .. الاقباط واليهود المصريين مسئوليتى كالمسلمين تماما بنص القرآن .

ويقول السادات : من اجل هذا حين اصدرت أوامرى لمدينة العاشر من رمضان ان ينى فيها كنيسة بجوار المسجد فى تصميمى ان المسافة بين المسجد والكنيسة وضعها لنا عمر ٢٠ مترا .. طلبت كما تبنى الدولة المسجد تبنى الكنيسة فى مدينة العاشر من رمضان وكنت اريد بهذا القرار أقول لمثيرى الفتنة ان هذا وقت انتهى .. وقت عقدة الاضطهاد .. وقت محاولة الاستعانة بالاجنبى على بلدك انتهى . وان الدولة لا تفرق بين سواطن ومواطن وان الدستور فى مادته ٤٦ يقر حرية العقيدة .. حين أصدرت أمرى ببناء الكنيسة بجوار المسجد فى ١٠ رمضان كنت أقصد هذا المعنى وكنت أريد أن أقول ان المسألة ليس اضطهاد وإنما امر عادى تقوم الدولة فى المدن الجديدة ببناء مسجد فتبنى جنبه كنيسة . وقد لا يكون هناك عدد كثير من المسيحيين فى هذا المكان أو قد لا يكون اطلاقا ولكن الرمز والمعنى أردت أن أمحو الماضى . أمحو الماضى بكل ما فيه من عقد .. يوم ان صليت جاءت صلاة الظهر وأنا فى البطريركية وصليت الظهر فى البطريركية .. كنت اقول بهذا التصرف كما كان فى ١٠ رمضان تمام ان انتهى عهد العقد وإن مصر ارضها واحدة .. سماؤها واحدة .. شعبها واحد .. لكل منا ان يعبد ربه وفق عقيدته واننى كولى أمر مسلم لدولة اسلامية يسكنها مسيحيون أصلى فى بطريركية المسيحيين الظهر ولا أجد حرجاً فى ذلك .. ولكن يظهر ان هذه الأمور فهمت منى على انها موقف ضعف من أجل هذا ظن ان الابتزاز والتلغرافات لواشنطن واستراليا وكندا ومظاهرات ومنشورات يمكن ان تؤثر .. لا .. فلنترك سياسة الابتزاز ولنتجه الى فهم جديد .

كما قلت لكم الفتنة الطائفية قائمة للأسف لم تنته .. القرار الذى سمعتم حيثياته

وطبعوها .. طبعا حيثيات القرار ولا يستطيع احد أن ينكر ان هذا الكلام المطبوع واللى وزع فى امريكا لم يصدر عن المسئولين هنا فى الكنيسة .. لا دا ده حيثيات القرار اللى اصدروه بعدم الصلاة .. ده اللى بيقولوه .. بس كل اللى عملوه ترجموه انجليزى وبعتوه .. لكن بيقولوه لاولادى الاقباط فى مصر ... لا الحقيقة غير ذلك . واتقال لاولادى الاقباط ايضا حقائق مغلوطة عمداً .. مثلا قيل لهم انه طلب اننى وعدت ببناء كنيسة الخانكة ولم أوف بوعدى .. ويهمنى أن يسمع ابنائى الاقباط وشعب مصر ومسيحيو العالم اننى لم اعد بل على العكس لأنها .. كنيسة الخانكة كانت التحرش والتصعيد حينما طلبت منى فى البطريركية ان أصرح بها قلت : إلا دى .. لن أسمح بها فى الخمسين اللى حيتبنوا واى عدد حيتبنى تانى وثالث لن أسمح فى الخانكة .. ليه ؟! لأنها اتخذت مادة للتشهير عمداً فى سوء قصد وليس لها اساس . ابنائى الاقباط بيسمعونى انا لم أعد ببناء كنيسة الخانكة . ولو ان فى الخانكة كنيسة وحرقت لبنيتها وافتتحها بنفسى كما فعل عمر بن الخطاب حين هدم المسجد الذى قام مكانه كنيسة لكى يعاد اقامة الكنيسة التى هدمت من أجل بناء المسجد .

قيل لابنائى الاقباط ايضا انه طلب مقابلتى فرفضت ، معنا هنا فى هذا المجلس عضو من اعضاء المجلس من اخوتكم الاقباط وكان زميلا لى – يقصد حنا ناروز المحامى – قبل طبع هذه الحيثيات والتشهير بأسبوع واحد وقبل سفرى بعشرة ايام فقط قيل للاقباط انه بيطلب مقابلتى من سنه ماباقبلش .. طيب .. طيب .. إيه الرأى . ان عشرة ايام قبل سفرى مباشرة زميلكم النائب هذا موجود .. مرّ على وكانت هناك مشكلة كتب لى عنها .. ترك الخطاب ولم يقابلنى .. ترك الخطاب مغلق لى .. فأرسل لى .. الكلام ده كان فى المساء .. هناك كان مشكلة خاصة بدير الفتيات فى وادى النطرون أو فى الصحراء الغربية .. لا أدرى .. كانت المشكلة خاصة بهذا .. لما النائب زميلكم كتب لى هذا وأنا قلت لكم انه كان زميلى فى الدراسة وهو أمين سر القيادة الجديدة فى الكنيسة انا اعلم هذا وهو صديقى .. لما فات وترك لى رسالة انه دى مشكلة امام القيادة الجديدة . قبل ما اسافر بعشرة ايام فقط .. فى نفس الليلة يتصل النائب بوزير الداخلية فيتصل وزير الداخلية فى

نفس الليلة وينهى .. الكلام ده كله بالليل .. وصلنى الجواب بالليل على ما جه نص الليل كان كل شيء انتهى بأمر وزير الداخلية اللى اتصل شخصيا ففات علّى النائب صديقى وكتب لى جواب شكر انه فى نفس الليلة ماشكا منه تم .. وان ده كان بطلب القيادة الجديدة فى الكنيسة .

ابنائى الاقباط لازم يعرفوا الحقائق .. مشكلة بتصلنى تمانية مساء .. قبل اتناشر مساء بتكون محلولة . على يد شاهد موجود .. نائب وسطكم من زملائكم .. الفتنة مازالت مستمرة ولكن انا باطلب منكم تشكيل لجنة برلمانية كما اعلنت من عضوين من المسلمين وعضوين من اخوانكم الاقباط وبرئاسة أحد وكلاء المجلس ..

● ● ●

ويواصل السادات هجومه على قيادة الكنيسة فيقول : والله كان قرار كبير وكان لازم أخده وإنما موش حتصدقوا من الذى منعنى من اتخاذ هذا القرار وأرجأت الى أن أأتى اليكم واتحدث ان اعطى فرصة أخيرة . الذى منعنى خطاب وصلنى من فتاة فى كلية الطب وأنا فى ثورة انفعالى لهذه الفتنة الطائفية لانه وحدة مصر .. وحدة مصر والله لما تكون امريكا وروسيا والعالم كله وما سبق لم تستطع لا أمريكا ولاروسيا ولا أى قوة أن تملى علينا شيء أبدا .. كنت بسبيل الى اخذ هذا القرار الكبير واعددته لولا خطاب وصلنى من بنت من أولادى الاقباط فى كلية الطب .. تعرفوا هزتنى بأيه البنت دى انها بنت من ولادى من شعب مصر بكلية الطب مش يعنى هتكتب اللى مبتعتقدوش وبتقول لى ارجوك يعنى انت ابونا وانت اذا كان هناك اخطاء عليك انك تعالجها وفى نهاية الخطاب بتقول أنا معنديش حاجة اقدر اعملها لك إلا شيء واحد بس أنى ادعو الله سبحانه وتعالى ان يأخد من عمرى يديك فى عمرك . طفت الثورة كلها اللى فى نفسى بالتأكيد . وقلت دول ابنائى الاقباط فعلا .. حاسين باللى اعمله وحاسين بما أنا فيه وحاسين بالبنعمل كلنا من أجله لو اقتضى الأمر ان عشانها هي وحدها .. طيب أنا جدى فرصة جديدة بدل القرار ..

انتهت الهجمة الشرسة الأولى للسادات على البابا وعلى الكنيسة القبطية وعلى الاقباط المغتربين على مدى ساعتين ولو كان المسلمون صدقوا السادات لاعتدوا على بابا الاقباط وقيادات الكنيسة .. ولكنهم لم يصدقوه .

ثم بدأت الايام التالية لهذا الخطاب تنذر بالخطر القادم بعد استخدام السادات لاجهزته ضد البابا والكنيسة ..

فى يونية ١٩٨٠ وقعت احداث الزاوية الحمراء .. تحول حادث مشاجرة بسيط الى مواجهة مسلحة بين المسلمين والاقباط راح ضحيته عدد كبير من القتلى والجرحى من الطرفين وهكذا تهددت الوحدة الوطنية نتيجة عداء نظام السادات للبابا والكنيسة .

وبعد اجراءات ٥ سبتمبر ١٩٨١ العنيفة ومحاصرة البابا بقوات عسكرية حول دير وادى النطرون .. وقف السادات فى خطابه الغاضب .. العنيف .. يهاجم البابا شنودة .. يهاجم الاخوان المسلمين .. يهاجم القيادات السياسية وقيادات المعارضة .. يتهم البابا والكنيسة باتهامات بلا دليل .. فماذا قال السادات ؟!

قال السادات : لما رأس الكنيسة الأنباء شنودة طلب كنائس .. لما سألته عايز إيه .. قال عايز أعبد ربى .. وعايز كنائس . قلت له : يعنى انت مش عاوز تعمل زعيم ؟ .. لأ .. لك حق فى طلب الكنائس .. كام فى فكرك كده ؟ قال لى ٣٠ - ٣٥ قلت له لأ خليهم ٥٠

ويضيف السادات : المسألة مش مسألة أبدا التحكم أو محاولة املاء ارادة من المسلمين على المسيحيين .. أو .. أو وخاصة ان بناء الكنائس كان دائما فيه مشاكل .. أنا بقول له .. وقلت له فعلا لما قلت له لأ خليهم ٥٠ قلت له أصل أنا مش حأ ستأذن حد علشان اقول له والنبى أدى الأنباء شنوده كام .. لأ .. انا صاحب القرار فى هذا البلد وأثق ان شعبى من المسلمين حيدركوا تماما زى اخواتهم الأقباط ما أعنيه وهو انه احنا ناضجين وعدينا مرحلة الطائفية . والفتن الطائفية ودس الاستعمار اللى وقع بين المسلمين والمسيحيين طول ما هو قاعد .. وهو اللى ساب هذه البذور كلها للأسف .

وقال السادات : وبدأت الأحداث الى أن كانت سنة ٨٠ السنة الماضية .. بوصول الأحداث لقمتها باللى جرى فى سنة ٨٠ ورويت القصة كلها إلا ان هذا الاستمرار .. وهذا الفعل من جانب رئيس الكنيسة واللى معاه وله رد فعل مضاعف مئات المرات عند الجماعات الاسلامية والاخوان المسلمين .

فى ٢٩ / ٥ / ٨١ مخطط من الكنيسة لاثارة المسلمين عقب حادث مقتل احد المسلمين على يد مسيحى بمنطقة محرم بك .

أنا استغربت طيب انا افهم ان شنوده يغلط لانه عاوز يعمل زعيم للأقباط . زعيم سياسى وعايز يحقق اهداف خاصة عنده وشاعر بأن الأقباط مضطهدين فعاوز يعمل حاجة .. افهم ليه ؟

يواصل السادات هجومه على البابا والكنيسة قائلا فى الخطاب : اعضاء مجلس الشعب ومجلس الشورى كانوا عندى فى ابريل اللى فات علشان الاحتفال بالعيد .. ووافقت .. بس قلت لهم انه رئيس الكنيسة أضر أبلغ ضرر بأبنائى أقباط مصر .. وضربت مثل . وأهم موجودين جميعا قاعدين معاكم ..

أنا فى تشكيل الحكومة عينت البرت برسوم سلامه وزير دولة .. وبعدين نتيجة تصرفاته قالولى حايقول انا اللى جبت لكم الوزير الثالث .. ماهى أصل الحسبه عنده كم عدد .. تعدادكم كام .. المناصب اللى انتم فيها كام .. وزيرين لا انا جبت لكم .. أنا خفت لا تبقى القاعدة انه السلوك اللى يضاهى سلوك الانبا شنوده هى اللى يجب تنحيته .. لا .. انا لما كنت بعين البرت فكرت كام وزير قبطى ولا كام وزير مسلم .. ابداً .. بطبعى ٢ ؛ ٣ ؛ ٤ ؛ ٥ يبقوا محافظين ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ يبقوا .. دنا بعت إشارة اخطر .. هذه الاشارة كانت يوم ماقلت فى عشرة رمضان المدينة الجديدة ولاول مرة فى تاريخ اقباط مصر تقوم الحكومة ببناء الكنيسة على حساب الدولة بدون طلب الاقباط ليّه ؟ لأن احنا دخلنا مرحلة جديدة .. ورسالة بقول فيها حكاية بناء الكنائس بقت كلام فارغ انتهينا منها وعديناها ما تضيعوش وقتنا فى الكلام ده . يا ازهر اشترك فى وضع حجر الاساس . واشترك الازهر ..

اضطريتهم وكنت عنيف عليهم . وفعلا وضع حجر الاساس للمسجد والكنيسة .. الازهرى والمسيحى .. والاشارة ماتفهمتش .. بعدها قلت انا رئيس دولة مسلم لدولة اسلامية يعيش فيها المسلمون الى جانب المسيحيين والشعب واحد ايضا رسالتى دى ما تفهمتش بالذات للمسلمين .. الرسالة الاولى بتاعة كنيسة عشرة رمضان كان موجهة فى المقام الأول لرئيس الكنيسة انه ما تضيعش وقت الدولة ووقتك فى كنيسة وكلام . أدى الدولة بتبنى من غير ما انت لا تطلب ولا تدفع كمان . وأهى بتبنى ما تضيعش وقتنا .

● ● ●

ولم يكتف السادات بهذا الهجوم العنيف على الكنيسة والبابا والاقباط بل اتخذ اجراءات عنيفة فى ٣ سبتمبر ١٩٨١ .. فى هذا اليوم والأيام التالية قامت اجهزة الأمن بتعليمات من السادات بالقبض على ١٥٣٦ شخصا من مختلف التيارات والمذاهب السياسية والدينية منهم ثمانية اساقفة واربعة وعشرين قسيسا وعدد من كبار الشعب وقادته وكان من ابرز المعتقلين السادة فؤاد سراج الدين رئيس حزب الوفد وعبد الفتاح حسن وهو وزير سابق قبل الثورة ونائب وفدى فى مجلس الشعب .. والدكتور حلمى مراد وزير فى عهد عبد الناصر ونائب رئيس حزب العمل والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل ووزير سابق فى عهد عبد الناصر واستقال فى بداية عهد السادات واحمد الخواجه نقيب المحامين والدكتور ميلاد حنا عضو مجلس الشعب وفتحى رضوان وزير سابق فى عهد عبد الناصر وعبد العظيم أبو العطا وزير الزراعة فى عهد السادات ومات فى المعتقل ود . محمد عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء وصديق السادات ومستشارة السياسى وعبد الفتاح الشوربجى نقيب المحامين السابق وغيرهم من ابناء مصر الابرار .. كما تم القبض على كبار ائمة المسلمين وفى مقدمتهم المرحوم عمر التلمسانى المرشد العام للاخوان المسلمين والشيخ كشك والشيخ المحلاوى وصالح عشماوى وحلمى الجزار وصقر

ومئات من شباب الجماعات الاسلامية .. كما تم القبض على بعض قيادات المعارضة وكافة الاتجاهات كالوفديين والناصريين والأخوان المسلمين والجماعات الاسلامية والتجمع والعمل والشيوعيين وكل هؤلاء اعتقلهم السادات تحت عباءة « الدين » والدين من هذه القضية براء .

كما اصدر السادات قرارات بحل ١٣ جمعية دينية اسلامية ومسيحية ومنها جمعية الكرمة القبطية التى كانت تتمتع بثقة جيهان السادات بهذه الجمعية وحتى جعلتها تقبل الرئاسة الفخرية لهذه الجمعية وتزورها أكثر من مرة بشبرا وتشيد بمجلس ادلة الجمعية .

وفى خطابه الغاضب فى ٥ سبتمبر ١٩٨١ أعلن السادات قراره بالغاء قرار رئيس الجمهورية عام ١٩٧١ بتعيين الانبا شنوده بابا للاقباط وتشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية وتم التحفظ على البابا بوحدات عسكرية فى دير الانبا بيشوى بوادى النطرون .

● ● ●

كان السادات قد اصدر قراره رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بالغاء قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بشأن تعيين الأنبا شنوده بابا للاسكندرية وبطريركا للكرازة المرقسية صدر القرار فى يوم ٢ سبتمبر ١٩٨١ وجاء فى مادته الثانية للقرار الجمهورى رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بتشكيل لجنة للقيام بالمهام البابوية من الاساقفة الآتى بيانهم :

- الأنبا مكسيموس اسقف القليوبية .
- الأنبا صموئيل اسقف الخدمات العامة وكنائس المهجر .
- الأنبا اغريغوريوس اسقف البحث العلمى والدراسات القبطية العليا ومدير المعهد العالى للدراسات القبطية .
- الأنبا اثناسيوس اسقف بنى سويف والبهنسا

● الأنبا يؤانس اسقف الغربية وسكرتير المجمع المقدس .

وكان السادات قد هدد قبل ذلك بالغاء قراره الجمهورى بتعيين البابا يقول موسى صبرى فى كتابه « السادات الحقيقة والاسطورة » اتصل بى الرئيس السادات وطلب منى ان اتدخل لدى البابا شنوده .. واعتذرت للرئيس السادات عن عدم التدخل لان وجهة نظر البابا انى لا أخلص النصيحة وأنى فقط ادافع عن موقف السادات . ولكن الرئيس السادات قال لى : ابلغه بأى طريق تشاء .. انه اذا لم يعدل عن مثل هذه التصرفات فاننى سأصدر قرارا من سطرين بالغاء القرار الجمهورى بتعيينه .. وكان ذلك فى الاسبوع الأول من سبتمبر ١٩٧٧ .

● ● ●

وقد اجتمع الرئيس السادات باعضاء اللجنة البابوية بالقصر الجمهورى بعابدين يوم الثلاثاء ١٥ سبتمبر ١٩٨١ فور عودة الانبا غريغوريوس من أمريكا . حضر اللقاء حسنى مبارك نائب رئيس الجمهورية ومنصور حسن وزير الدولة لرئاسة الجمهورية والثقافة والاعلام .

فى بداية الاجتماع رحب الرئيس السادات باعضاء اللجنة الخماسية وعانقهم جميعا وسألهم عن احوالهم ثم توجه بالحديث الى الانبا غريغوريوس وسأله عن رحلته الى الخارج حيث كان فى زيارة للولايات المتحدة فقال الانبا غريغوريوس انه وصل ليلة امس فقط ولذا فقد حضرت اللجنة فورا لكى تجتمع مع الرئيس بعد اكتمال عددها . واعلنت اللجنة البابوية بعد لقاء الرئيس على لسان الانبا اثناسيوس اننا كلنا ملتزمون بخط مصر القومى وان هدفنا الآن هو تدعيم وحدة الشعب المصرى كله ودعم الاستقرار الكامل .

وقال : اننا سوف نبدأ على الفور بعد لقاء الرئيس السادات والذى تم فى العمل على تأكيد روح الشركة الواحدة والتعاون الكامل مع اخواننا المشايخ والأئمة

المسلمون فى تأكيد روح المحبة والأخوة بين افراد الشعب كله . واعلن ان اللجنة الخماسية سوف تجتمع خلال الايام القادمة مع اعضاء المجلس الملى واعضاء المجمع المقدس من أجل تنفيذ ونشر توجيهات الرئيس السادات بتدعيم الوحدة الوطنية والتأكيد على روح الجماعة الواحدة لشعب مصر كله .

وقال ان اللجنة ستقوم خلال اجتماعاتها القادمة مع القسس ورجال الدين المسيحى على التأكيد على نشر التوعية اللازمة فى الكنائس وتوضيح الالتزام الكامل بتعاليم المحبة والاخاء التى تدعم الوحدة الوطنية وخاصة للشباب .

واعلن الأنبا اثناسيوس ان الرئيس السادات تحدث مع اللجنة عن ضرورة توضيح التطورات الأخيرة للمصريين الموجودين فى الخارج ، كما ركز الرئيس على ان المهمة الرئيسية الآن هى تدعيم الوحدة الوطنية . وقال : لقد وجهنا الشكر للرئيس السادات على اختيارنا وتكليفنا وتشريفنا بهذه المهمة والواجب الوطنى والقومى تجاه مصر كلها . وقال اننا قد قدمنا انفسنا للرئيس ووضعنا انفسنا فى خدمة مصر وأعلنا التزامنا الكامل بتوجيهات الرئيس السادات .

وردا على سؤال حول لماذا كان الاجتماع .. أجاب الأنبا اثناسيوس انه بعد قرار الرئيس السادات بتكليفنا كان لابد ان نتشرف بلقائه ولكن كان بعضنا مسافرا الى الخارج وعندما اكتمل العدد حضرنا لمقابلة الرئيس بعد عودة الأنبا غريغوريوس من امريكا الذى عاد مساء امس فقط .

ورداً على سؤال حول هل مهمة اللجنة الخماسية مهمة انتقالية قال الانبا اثناسيوس هذا غير مطروح ونحن علينا تكليف قومى وهو ان نخدم مصر والكنيسة وننفذ تعليمات الرئيس السادات الواضحة بدعم الوحدة الوطنية وهذا ما سنفعله بكل دقة .

كانت هذه تصريحات الانبا اثناسيوس عضو اللجنة البابوية بعد اجتماعها مع الرئيس السادات واعتقد ان هذه التصريحات اتفق عليها مع السادات قبل اذاعتها .. واعتقد ان جميع الاقباط فى مصر والخارج كانت قلوبهم مع البابا شنوده طوال فترة

التحفظ عليه فى الدير .. ولم تكن هذه اللجنة تحظى لا برضاء الشعب ولا برضاء المجمع المقدس .

● ● ●

احدث قرار السادات بالغاء تعيين الانباء شنوده بابا للاسكندرية وبطريركا للاقباط لدى الدولة ونظام السادات ضجة عالمية كبرى ...

اصبح القرار المشئوم حديث العالم كله .. شرقه وغربه .. شماله وجنوبه واهتمت وسائل الاعلام ووكالات الأنباء والصحافة العالمية بتطورات الصراع بين الكنيسة ونظام السادات الذى وصل الى حدة الصدام العنيف واستخدام السادات للاجراءات الاستثنائية ضد البابا واعتقاله فى دير وادى النطرون ومحاصرة الدير بقوات عسكرية لمنع الاتصال بالبابا أو مقابلة للاقباط .

فى يوم الاربعاء ٩ سبتمبر ١٩٨١ عقد الرئيس السادات مؤتمرا صحفيا عالميا فى قرية ميت أبو الكوم لتبرير اجراءاته ضد البابا . كانت معظم الأسئلة من مراسلى الصحف والوكالات العالمية حول البابا شنوده .

سؤال : سيدى الرئيس هل تستبعد امكانية انه فى وقت ما فيما بعد يمكنكم استخدام اسلوب التسامح وتسمحون لبطريرك الكنيسة القبطية بالتحرك إلى القاهرة والاسكندرية بل وتسمحون له بالعودة الى مكتبه ؟

الرئيس : حسنا .. فيما يتعلق بالبطريرك .. هناك نقطتان بشأن تعيينه .. الأولى هى انه قس وهذه مسئولية الكنيسة وشعبى القبطى لقد انتخبوه وفقا لتقاليد وقوانين الكنيسة . انهم انتخبوه كبابا . واصدرت الدولة فى الحال ماتسمونه المرسوم الجمهورى له لكى يمارس وظائفه .. هذه نقطة جوهرية بالنسبة لأى بابا لكى يعمل .

حسنا .. ان ماحدث هو ما يلى : لا أحد يمكن ان يكون له دخل فى القوانين

الكنسية وتقاليد كنيستنا فهذه مسئولية كل قبطي ولكن ما أنهيته بالفعل أو الغيتة هو النقطة الثانية التي لي سلطة الغائها .. اى اعلانه امام الدولة والعالم بأسره باعتباره رأس الكنيسة وهكذا فإنني تصرفت في حدود مسئوليتي ولكن اذا سألتني عن فكرتي فأنني افضل ان يبقى الرجل في ديره كما كان يفعل من قبل ودعونا نقول ان ما أفسده فيما يتعلق بالاقباط هنا يجب ان ينتهي . مثل مقابلة شخص ما أو تحريض واثارة الاقباط في اوربا وامريكا واظن انه قد حان الوقت لكي يبقى في ديره وكما تعلمون فإننا لم نقبض عليه على الاطلاق وانه في ديره . واللجنة التي تم تعيينها .. تم تعيينها وفقا لقوانين الكنيسة .

واجاب الرئيس على سؤال خاص بقرار ابعاد البابا فقال : ان في موضوع البابا جانبين . الجانب الاول .. ديني وهو تقاليد الكنيسة التي تقضي بأن ينتخب البابا من الأقباط .

والجانب الثاني .. وهو جانب الدولة وهو صدور قرار جمهوري للبابا بعد انتخابه لكي يزاول عمله والدولة لا تتدخل في الجانب الديني .. ولا في التقاليد الكنيسة التي تقضي بأن يظل البابا يحمل اللقب الى أن يموت . هذه مسئولية أبنائي المسيحيين ولكن الدولة تدخلت بحقها الدستوري في الجانب الثاني وهو مزاولة العمل وتقضي التعاليم الكنيسة بأن يقوم بعمله اسقف واحد أو من ثلاثة اساقفة أو لجنة من خمسة وقد اخترنا ان تكون اللجنة البابوية من خمسة اساقفة وانني افضل ان يبقى في الدير لعبادته كما اعتاد وأن نقول أن كل ما سببه من اضرار سوف يصل الى نهايته .. وليس صحيحا ان البابا تحت التحفظ .

سؤال : هل يمكنكم ان توضحوا لنا عما اذا كان ذلك قرارا نهائيا أم ان هناك احتمالا في ان تقوموا باعادة النظر في اعادة تعيينه بموجب قرار جمهوري ؟

الرئيس : يؤسفني ان اعلن انه لم يضر أحد بالمواطنين الاقباط مثلما فعل ذلك الرجل وسوف يسجل عليه التاريخ بأنه قد أضر بمصر لأن الاقباط هم جزء من مصر . جزء من البلد .. جزء من التاريخ .. وهم شركاء في كل شيء .

فى ذلك المكان الذى تجلسون فيه وعلى بعد كيلومتر تقع قرية طوخ ويمتلك نصف أراضيها اقباط منذ مئات السنين التى مضت وعلى مدى السنوات القادمة وتعمل عائلتى واهالى قريتى عمالاً فى تلك الاراضي ويقومون فى نهاية كل موسم بتسليم النقود للاقباط ولم يقع اى شىء مطلقا من الجانبين .. فلم يسمح احد لاثارة وتحريض الجانبين بحيث نسمع من جانب المسلمين انه ينبغى ألا نتعامل مع المسيحيين ونسمع من جانب الكنيسة ومن رئيسها مايثير ويحرض ذلك الشعب للقيام بالمظاهرات .

ان الاضطرابات تعطي صورة كأنما هناك تهديد للاقباط على انهم مواطنون من الدرجة الثانية . نعم لقد قاموا باعطاء تلك الصورة هل يمكنكم ان تخبرونى كيف سيكون الحال هنا فى ميت أبو الكوم اذا ماواجه كلا الجانبين المتعصبين بعضهما البعض . وانها نموذج صغير للغاية فالمسلمون والمسيحيون يعيشون معا فى سائر انحاء البلاد كجيران .. وشركاء فى العمل . انهم يملكون الارض ويتركونها بين ايدى المسلمين .

لقد أضر الرجل بمصر ذلك لانه كما سبق أن اخبرتكم فإن الاقباط جزء من شعبى واننى مسئول عنهم تماما مثل مسئوليتى عن المسلمين كلاهما تضمه أمة واحدة .

وفى حديث للرئيس السادات للتليفزيون الامريكى نشرته الصحف المصرية يوم ٢٣ / ٩ / ١٩٨١ .. كان هناك سؤال هام للغاية :

سؤال : هل هناك اى شىء حول العثور على اسلحة فى بعض المساجد والكنائس قبل عمليات القبض التى تمت ؟

السادات : كلا على الاطلاق .. كلا على الاطلاق .. لقد كانت هناك اجتماعات فقط ولكن لا وجود لاسلحة .

وقال السادات لصحيفة « الفيجارو » الفرنسية : لقد قلت ايضا ان مصر شعب واحد وأن الرئيس مسئول عن كل مواطن فيها مسلما كان ام قبطيا غير ان قيادة

الكنيسة القبطية استمرت فى تصرفاتها الرامية الى تحريض المسيحيين ورغم وجود احصاء رسمى اشترك فى وضعه موظفان من الاقباط اثبت ان عدد الاقباط فى مصر ثلاثة ملايين استمرت القيادة فى الادعاء بأنهم ثمانية ملايين ومازالت تزعم ذلك حتى يومنا هذا .

وقبل سفرى مباشرة الى الولايات المتحدة فى ابريل ۱۹۸۰ حاولت قيادة الكنيسة القبطية احراجى امام صديقى الرئيس كارتر علما منها بأنه شديد التدين وقررت عدم الاحتفال بعيد الصعود بدعوى ان الكنائس المسيحية تحرق وان الاقباط يذبحون وكانت لبعض المنشورات مغزاها العميق فكانت موجهة للمواطنين الامريكيين وكانت تقول : بلغوا نوابكم فى الكونجرس ليعلموا مع من يتعاملون وقامت ضدى مظاهرات بمدينة واشنطن وخاصة امام البيت الابيض وبعدها عمدت قيادة الكنيسة الى تصعيد نشاطها فى القاهرة .

● ● ●

ولم يسلم البابا شنوده ليس فقط من الهجوم العنيف على قداسته من الرئيس السادات بلا دليل ولا اثبات بل تعرض ايضا لهجوم من السيدة جيهان السادات دفاعا عن زوجها وتبريرا لاخطائه فى حق مصر والمسلمين والاقباط وخاصة البابا شنودة .. تروى حرم الرئيس السادات فى كتاب لها « سيدة من مصر » اسرارا جديدة حول احداث الفتنة الطائفية وخلاف البابا مع السادات فتقول : لاكثر من عام استمعت الى شائعات عن تحرش اعضاء الجماعات الاسلامية المتطرفة فى المنيا واسيوط وهما الاقليمان اللذان يوجد بهما اكبر نسبة من السكان الاقباط .. وفى يناير عام ۱۹۸۰ قامت جماعة من المتطرفين تطلق على نفسها اسم « الجهاد » بتفجير كنيستين فى الاسكندرية ولم يقتل احد من الأقباط والقى القبض على اعضاء الجماعة . واخذت تقارير اعمال العنف ضد المسيحيين تنتشر داخل القاهرة وخلال نفس الاسبوع وبينما كانت اسيوط تشهد مظاهرات اصيب العديد من الطلاب عندما

وقعت اشتباكات اخرى بين الطلاب الاقباط والمسلمين فى بيت الطلبة فى الاسكندرية .

وفى ٣٠ مارس احتج الانبا شنودة بطريرك الاقباط على الحادث بالغاء كافة احتفالات عيد القيامة ومن بينها تبادل التهانى بينه وبين زوجى .

وفى الثالث من ابريل نظم خمسة آلاف من الطلبة المسلمين مظاهرات مناهضة للشاه والأقباط معا وفى ٨ ابريل لقي اثنان مصرعهما واصيب ٣٥ آخرون .

وفى مايو بدأت الشائعات تزداد بقوة . واخبرتنى احدى الصديقات القبطيات : « ان المتعصبين الدينيين يختطفون الفتيات المسيحيات ويجبرنهن على الزواج من مسلمين » وقال آخر « ان الكنائس تحترق فى انحاء البلد » . وأدعت منشورات الجماعات المتشددة ان القوات الحكومية فتحت النيران على المسلمين خلال حادث المنيا - وهو مالم يكن صحيحا على الاطلاق . وكان المتشددون المسيحيون يبالغون فى ترديد الشائعات فى محاولة لإجبار الحكومة على قرار قوانين جديدة تحمى المسيحيين وكان المتشددون المسلمون يبالغون فى ترديد الشائعات لحمل الناس على معاداة الحكومة ولم يكن أحد يعرف من يصدق .

وتضيف جيهان السادات : وخلال شهر اقترح انور حلا سياسيا لمشكلة العنف الدينى وعين لجنة من المسلمين والأقباط فى البرلمان للتحقيق فى التقارير الخاصة بالتوتر الدينى . وبعد ان درس نتائج تحقيقات اللجنة اتخذ انور موقفا عادلا من مشكلة الطائفية ومن اجل اعادة الثقة لستة ملايين مسيحى فى مصر أمر باتخاذ اجراءات فعالة ضد كافة المنظمات التى تشيع التعصب الدينى ومن ضمنها الجماعات المتطرفة فى الجامعات وكنوع من التنازل للمتشددين المسلمين اقترح انور تغيير بعض نصوص الدستور المصرى فبعد ان كان الدستور ينص على ان « الشريعة الاسلامية » هى « مصدر » رئيسى للتشريع فى مصر اقترح انور ان تكون الشريعة هى « المصدر » الرئيسى للتشريع فى مصر . وقد عارض اكثر الاقباط تشدد هذا الاجراء إلا ان ٩٨ فى المائة من الناخبين المصريين وافقوا عليه فى استفتاء عام اجرى فى مايو عام ١٩٨٠ .

.. بعد موقف انور الجديد إزاء المتعصبين المسلمين شعر البابا شنوده بالرضى فرفع هو ورفاقه الحظر على احتفالات الاقباط حتى اعضاء الجماعات الاسلامية (الاصوليون) انفسهم الذين كانوا دائمى الشكوى لم يستطيعوا اخفاء رضاهم عن التعديل الجديد الذى أدخل على الدستور ...

وتضيف السيدة جيهان السادات : فقد شهدت بداية شهر يونيو اسوأ اشتباكات بين المسلمين والأقباط فى تاريخ مصر . اعلن المسلمون حقهم فى قطعة ارض اعتزم بعض الاقباط اقامة كنيسة عليها وتحول شجار عادى بين الجيران الى معركة مسلحة وأصيب سكان الزاوية الحمراء - الضاحية التى وقعت بها تلك الاحداث - بالتوتر والاستقطاب الخطر وجعلتنى هذه الاخبار أنا الأخرى متوترة فهذه المرة لم تكن الاضطرابات فى اسيوط ، هذه المرة كانت الاضطرابات فى القاهرة .

وبعد خمسة ايام من هذا الحادث اشتبك المسلمون والمسيحيون فى الزاوية الحمراء مرة أخرى وارتفع عدد الضحايا الى عشرة قتلى وخمسة واربعين مصابا وكانت الاشتباكات هذه المرة بسبب ترك اسرة قبطية لماء قذر يسقط على شرفة اسرة مسلمة تعيش تحتها وتشاجرت الاسرتان فى البداية بالكلمات ثم بالحجارة ثم بالمدافع الرشاشة وانضم الى الاسرتين المارة الذين ينتمون الى الطرفين وكان ذلك يبدو أمرا غير عادى ولا يمكن تصديقه ولقد كان المتطرفون الدينيون من كلا الطرفين أسوأ من الأطفال فقد تركوا اكثر من ألف عام من التاريخ المشترك وحسن الجوار ينهار بسبب بعض نقاط من الماء القذر .

وغضب انور بشدة بسبب هذه الأحداث كما غضبت أنا ايضا . فنحن نعيش مع الأقباط فى القاهرة خلال حياتنا ولم يكن الدين مطلقا سببا للعنف أو حتى لعدم الاتفاق فالاقباط جيراننا واصدقاؤنا ونحن نشاركهم اعيادهم الدينية مثل شم النسيم وخلال اجازات الاعياد ..

أما الأن فإن التصرفات اللامسئولة من جانب المتطرفين أخذت تهدد عهود الثقة القديمة وتساءل انور غاضباً : « لماذا يضيع الناس جهودهم فى محاربة بعضهم فى

مثل هذه التفاهات ؟ فما الفرق بين الاقباط والمسلمين ، اننا جميعا مصريون علينا ان نحتفل معا بعودة سيناء ولدينا اشياء اكثر اهمية يجب ان تشغل بالنا أكثر من الاهتمام بالتفرقة بين القبطى والمسلم .

ولكن التوتر لم يتلاش وانتشرت الشرطة امام بوابات كل كنيسة قبطية والقى القبض على ١١٣ شخصا لتورطهم فى احداث العنف . وفى قرية واحدة فى صعيد مصر تمكن البوليس السرى من اكتشاف اكثر من ثلاثة آلاف قطعة سلاح من بينها مدافع مضادة للطائرات فى مراكز لخلية اسلامية وقد انتقلت « عدوى » الحمى الدينية من قلة قليلة لتنتشر بين الكثيرين .

وبدأ المسلمون يضعون القرآن فوق المساند الخلفية والأمامية لسياراتهم وعلى زجاج السيارات كتبوا « لا إله إلا الله محمد رسول الله » وشمر الأقباط عن اذرعهم ليظهروا الصلبان التى طبعها بعضهم عليها وعلى زجاج سياراتهم ألصقوا صور البابا شنودة بابا الاقباط .

حتى البابا شنودة نفسه كان قد ابتعد كثيرا عن دوره كزعيم دينى ليدلى برأيه فى الأمور السياسية وبعض رجال الدين الأقباط وضح أنهم ايضا يعملون على زيادة الصراع بدلا من تهدئته وكانوا يخاطبونهم قائلين : « انكم فى خطر وعليكم ان تنجبوا اكبر عدد من الأطفال بقدر استطاعتكم » وهو ما أدى الى زيادة التوتر بين الاقباط وكان انور شديد الغضب ازاء المتطرفين الاقباط كما كانوا هم شديدى الغضب إزاءه ..

وجاءتنى رسالة من احدى صديقاتى العزيزات القبطيات تقول : « من فضلك يا جيهان ابذلى كل جهدك لمصالحة البابا وزوجك فالموقف اصبح اكثر خطورة » .. وحاولت ان اقنع انور بالجلوس مع شنودة والتحدث معه بهدوء إلا أنه رفض . وفى نفس الوقت كان موسى صبرى رئيس تحرير الاخبار وهو قبطى وكان وثيق الصلة بأنور يحاول اقناع شنوده بأن يسعى الى السلام مع زوجى ولكن المساعى باءت بالفشل « فلم يكن شنوده على استعداد لأن يكون مرنا ... »

ومع حرارة الصيف تصاعد غضب الناس . ففى شهر اغسطس وقبيل ذهابى أنا وانور الى امريكا فى اول لقاء لنا مع الرئيس ريجان وزوجته نانسى تزايدت حدة التوتر الى درجة الغليان . فقد قتلت قنبلة بعض الضيبوف وأصابت آخرين خلال حفل زفاف قبطى فى شبرا وهى ضاحية فى القاهرة تسكنها اغلبية من المسيحيين وروعت مرة اخرى بهذه الاعمال الارهابية التى تفتقد الاحساس بالمسئولية كما أصيب انور بلطمة قوية وأعلن عزمه على معاقبة جميع المتورطين فى هذه الأعمال بمجرد عودته ..

وفى نفس الوقت عاقبنا الاقباط فلم أستطع ان اصدق عينى عندما فتحت صحيفة « واشنطن بوست » فى اليوم الثانى من زيارتنا للولايات المتحدة حيث اعلانا منشورا على نصف صفحة كتب فيه : « الرجال الأقباط يحرقون احياء » ثم كتب رسالة الى الرئيس السادات يقول فيها : ان الاطفال يقذف بهم من الشرفات وان المسيحيين أجبروا على التخلى عن ديانة اسلافهم . ان الديانة المسيحية تهاجم واصبحت محل سخرية فى وسائل الاعلام الحكومية .

وكان اعلان الشكاوى موقعا فى نهايته من قبل اتحادات الاقباط فى كندا وامريكا . ومضى يقول : « سيدى الرئيس انك دائما كنت تدين التطرف الذى ترعاه الدولة كما يجسده القذافى والخمينى فلماذا لا تضع حدا لمثل هذا الجنون فى مصر » .

واذا كان الاقباط قد استهدفوا كسب التعاطف مع مبالغتهم فإنهم نجحوا فقط فى جعل أنور أكثر غضباً . فبعد قراءته للاعلان صاح أنور بشدة « كفاية » واكفهر وجهه غضباً . ومع ذلك فى نهاية اليوم عاد الى هدوئه من جديد وكان بشوشا خلال تبادل الحديث مع الرئيس ريجان فى حفل عشاء اقيم بالبيت الابيض كما قضيت أنا ايضا مساء طيبا بحديثى مع نانسى الذى دار حول ابنائنا ومشروعاتنا ، فى هذه الليلة نمت قليلا واصابنى الأرق بسبب صداع كان سيئا لدرجة لم اعرفها من قبل ..

ماذا سيحدث فى مصر . وماذا نحن فاعلون ؟ لقد تزايدت مخاوفى عندما اتصل

المستشار النمساوى كرايسكى بأنور فى واشنطن ونصحه بألا يتوقف فى فيينا فى طريق عودته الى بلاده كما كان يخطط من قبل وقال كرايسكى : ان اثنين من الفلسطينيين قد اعتقلا فى المطار وبحوزتهما اسلحة أتوماتيكية وقنابل يدوية وان الحكومة النمساوية تقترح ان تتوجه مباشرة الى مصر حفاظا على سلامتك الخاصة .

لقد كان اعداؤنا فى كل مكان ، ولكن هل كان ذلك حقا غير مألوف وقلت لنفسى سوف نكون على مايرام متذكرة عدد المرات التى واجهنا فيها تهديدات فى الماضى . وبعد ان عدنا بسلامة الله الى مصر كان أنور يبدو أكثر هدوءاً وثقة عما قبل .

وخلال الايام التالية اجرى مشاورات مع مستشاريه فحصل على آخر المعلومات المتعلقة بأوضاع المسلمين والاقباط وقضى مزيدا من الوقت فى المنزل وجلس بمفرده فى شرفته وسار فى الحديقة . ولقد كنت ادرك حالته ولم أشأ ان اسبب له اى ازعاج وكان أنور يستمع بعناية الى نصيحة الأخرين وحينئذ فإنه يتخذ قراره الخاص ..

وفى الخامس من سبتمبر وبالضبط بعد اسبوع واحد من عودتنا من امريكا تحرك أنور بجرأة لاستعادة النظام فى مصر فأمر البوليس بأن يعتقل فى ليلة كل اولئك الذين يعتقد ان لهم ارتباطا بالعنف الدينى الأخير وتم اعتقال ١٥٠٠ شخص فى سجون الدولة من بينهم عدد كبير من الشيوخ المتشددين وعدد من رجال الدين الأقباط المعروفين بأرائهم المتطرفة ومئات من هؤلاء كانوا ينتمون الى الجماعات الاسلامية المتطرفة واحتجزوا لاستجوابهم وتم حظر اصدار مجلتهم كما تم حظر اصدار صحيفتين للاقباط والبابا شنودة ذاته منع من الادلاء بأية بيانات سياسية من شأنها ان تزيد حدة التوتر وسحب منه سلطاته وتم تعيين مجلس من خمسة اشخاص ليقوموا بمهامه فى حين ابعد أنور البابا الى دير وادى النطرون فى الصحراء الغربية .

كانت الصحف الاوروبية والامريكية تنتقد زوجى بعنف لاحتجازه عدد كبير من المخربين السياسيين ووصفته بأنه ديكتاتور بدلا من مساندة الديمقراطية وتألم أنور بشدة بسبب هجماتهم تلك ..

ولم يكتف السادات بالهجوم العنيف على البابا شنودة بل لجأ الى المؤسسات الدستورية ليضفى على هجومه الشرعية ولتبرير اجراءاته الاستثنائية بمساندة هذه المؤسسات الدستورية له ...

فى مجلس الشورى برئاسة الدكتور صبحى عبد الحكيم اشار تقرير اللجنة الخاصة بالمجلس الذى تم مناقشة فى يوم ١٢/٩/١٩٨١ الى القرار الجمهورى رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين الانبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية قالت اللجنة فى تقريرها : ان السن الشرعى والقانونى فى اعتبار البابا شنوده بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية هو هذا القرار الجمهورى .. ولما كان من المسلمات القانونية ان القانون لا يلغى إلا بقانون من درجته على الأقل .. ولما كان القرار الجمهورى رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ صورة من صور القانون فإنه من الممكن ان يلغى بقرار جمهورى وهو من ذات درجته لاحق عليه .

ومن ثم فإذا ما اصدر رئيس الجمهورية قرارا جمهوريا بالغاء قرار سابق - وهذا حقه الدستورى فإنه يترتب على ذلك سقوط كافة الاثار التى ترتبت على القرار الملغى لانه صادر ممن يملكه .

وفى مجلس الشعب .. ناقش المجلس برئاسة الدكتور صوفى أبو طالب فى سبتمبر ١٩٨١ التقرير الذى أعدته لجنة فرعية عن اللجنة العامة بالمجلس برئاسة محمد رشوان وكيل المجلس وعضوية حافظ بدوى والدكتور محمد محجوب وكمال هنرى أبادير والدكتور كامل ليلة والبرت برسوم ومختار هانى واعضاء اللجنة العامة وعن الاحزاب السياسية كمال الشاذلى ممثلا للحزب الوطنى والمهندس ابراهيم شكرى لحزب العمل والفت كامل لحزب الاحرار والدكتور ابراهيم عواره عن المستقلين .. والملاحظ من صياغة التقرير وهو النص الكامل لعلاج الفتنة الطائفية كأنما السادات هو الذى قام بصياغته أو مراجعته بحيث يشيد بسياسته واجراءاته والدفاع عما اتخذه من اجراءات فى ٥ سبتمبر ١٩٨١ تحدث التقرير عن الجانب المسلم والمسيحى وفيما يلى نص التقرير بالنسبة للجانب المسيحى :

فقد تأكد للجنة ان بعض المتطرفين من القيادات المسيحية وبعض المتعصبين من رجال الكنيسة قد حاولوا تضخيم بعض الاحداث الفردية وتصويرها فى صورة صراع دينى وتصويرها على خلاف الحقيقة على انها اضطهاد للاقباط من جانب المسلمين واكراه البعض للدخول فى الاسلام بل وصل الأمر الى حد افتعال بعض الاحداث والصاق التهمة بالمسلمين بهدف اذكاء نار الفتنة واتهام سلطات الدولة بالتقاعس عن التدخل لحماية المسيحيين واتخذ بعض القسس من مثل هذه الاحداث مادة للموعظة التى يلقونها فى الكنيسة فتحولت بعض الكنائس الى منابر لنشر الشائعات الكاذبة وبث روح التفرقة بين المسلمين والمسيحيين ولم يكلفوا انفسهم عناء التريث والتثبت من صحة ما يصل الى علمهم من شائعات بل صموا آذانهم فى وجه الفضلاء والعقلاء من القيادات المسيحية ورجال الكنيسة وهم الكثرة الغالبة كما ان بعض أولئك المتطرفين قد اتخذوا من مدارس الأحد منبراً لإذاعة مثل تلك الشائعات الكاذبة .

وتسجل اللجنة أسفها مما لديها من قرائن ودلائل على ان بعض القيادات الكنسية ومنها رأس الكنيسة دأبوا على التشكيك فى كل تصرف يصدر عن العقلاء من القيادات المسيحية الدينية والمدنية يهدف الى تهدئة الخواطر واطفاء نار الفتنة بل انهم تمادوا فى مسلكهم واوعزوا بطبع منشورات وتسجيلات عن الاحداث دون ما تمحيص واوعزوا بنشرها فى المجلات القبطية التى تصدر داخل البلاد واقاموا صلات مع بعض جهات أجنبية ومع بعض المغتربين المصريين فى الولايات المتحدة وزودوا المجلات والصحف القبطية التى تصدر بالخارج بمعلومات مضللة وغير صحيحة فضلاً عن الشائعات الكاذبة ومنها على سبيل المثال المنشور الذى أودعه الرئيس امامه فى ١٤ / ٥ / ١٩٨٠ والذى وزع ونشر فى الولايات المتحدة الامريكية متضمناً بيانات كاذبة عن حرق الكنائس وهدمها وسحل الاقباط واضطهادهم واغتصاب فتياتهم وهى كلها معلومات كاذبة أو وقائع مبالغ فيها فلم يحدث اضطهاد للمسيحيين ولا حرق متعمد لكنائسهم ولم تقصر الدولة فى حماية أرواحهم مثلهم فى ذلك مثل المسلمين كما لم يحدث اكراه لأى شخص للدخول فى

دين الاسلام كما انهم يعلمون علم اليقين ان عدد الكنائس قد زاد منذ بدء ولاية الرئيس السادات وتدل الاحصائيات على ان نسبة ما يخص الفرد المسيحى من دور العبادة يكاد يماثل ما يخص الفرد المسلم كما تشير الاحصائيات الرسمية للدولة عام ١٩٧٦ .

بل ان الدولة ترعى أماكن العبادة للمسيحيين مثلما ترعاها للمسلمين وأية ذلك ما اعلنه السيد الرئيس من أنه اصدر توجيهاته ببناء كنيسة بجوار المسجد فى المدن الجديدة على نفقة الدولة وقد نفذ ذلك بالفعل فى مدينة العاشر من رمضان وغيرها . كما أعلن السيد الرئيس مراراً انه كرئيس مسلم لدولة اسلامية يرعى جميع المواطنين نزولاً على حكم الاسلام وذلك حينما طلب منه البطريرك سنة ١٩٧٧ التصريح بانشاء ٣٥ كنيسة وافق سيادته على انشاء خمسين كنيسة .

وبمراجعة الاحصائيات الرسمية عن تعداد السكان منذ ١٩٠٧ حتى الآن اى على مدى ما يزيد على سبعين عاما تدل على ان نسبة السكان المسيحيين المقيمين بمصر الى العدد الاجمالى للسكان المقيمين بمصر يتراوح دائما أبداً ما بين ٦٪ و ٨٪ .

● ● ●

وقد صور الطموح السياسى للقيادة العليا للكنيسة ان تقيم الكنيسة من نفسها دولة داخل الدولة تستأثر بأمور المسيحيين الدنيوية فخرجوا بالكنيسة عن دورها السامى الذى حدده السيد المسيح عليه السلام بقوله : « ردوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » ومن امثلة ذلك المذكرة التى قدمها السيد المستشار القانونى للبطريركية فى ابريل ١٩٨٠ الى السيد رئيس مجلس الوزراء . وقد أحتوت المذكرة على الفاظ تخرج عن اللياقة وبها تجريح لأجهزة الشرطة والنيابة العامة ووقائع غير صحيحة إلا أن السيد رئيس مجلس الوزراء أمر بفحص الشكاوى التى وردت فيها كما ان لجنة تقصى الحقائق التى شكلت فى يونيو ١٩٨٠ وأسهم فيها نشأت كامل برسوم

والسيد المرحوم وجيه لورانس المحامي عضوى مجلس الشعب قد ثبت لها ان الوقائع الواردة فى المذكرةبعيدة عن الصحة وما هي إلا ترديد للاشاعات التى يروجها بعض المتطرفين من قيادات الكنيسة . كما اتضح ان بعض ما ورد فى هذه المذكرة نشر فى مجلة الاقباط التى تطبع فى الولايات المتحدة باسم الجمعية القبطية الامريكية والتى تنشر الاتهامات والسباب لمصر ، قياداتها وشعبها وتوزع هذه المجلة فى الدول الاوربية والولايات المتحدة وترسل لبعض الكنائس المصرية والاقباط فى مصر .

● ● ●

لقد تبين للجنة من استعراض مراحل تطور الفتنة الطائفية منذ عام ١٩٧٢ حتى الأن وتورط قيادات المتطرفين من الجانبين الاسلامى والمسيحى من الجماعات والجمعيات والافراد وبعض قيادات احزاب المعارضة فى اذكاء واشعال نار الفتنة الطائفية واستغلال دور العبادة للاثارة الطائفية بعيدا عن روح وسماحة الأديان السماوية ومشاركة بعض صحف المعارضة والمجلات الدينية فى تصعيد الأمور كل ذلك خلق مناخا من التوتر والقلق والاضطراب فى نفوس المسلمين والمسيحيين وكان من نتيجة ذلك ان تتحول الاحداث الفردية التى تحدث فى المجتمع بين افراده نتيجة للمعايشة اليومية الى صراعات طائفية . فبتاريخ ١١ / ٦ / ١٩٨١ ادعى احد المواطنين المسيحيين ملكية قطعة ارض سبق تخصيصها من محافظة القاهرة لاقامة مصنع للعلف ومسجد لابناء المنطقة وبدأت تنتشر الشائعات بأن الشخص المذكور اغتصب الأرض ليقيم عليها كنيسة واصدر الحزب الوطنى بالشرابية بيانا الى المواطنين بتكذيب هذه الشائعة ووقع عليه امين الدائرة واعضاء مجلس الشعب ورئيس المجلس المحلى الشعبى وكان لهذا البيان الأثر الطيب فى نفوس الجميع .

وفى ١٧ / ٦ / ١٩٨١ حدث شجار بين اسرة مسلمة وأخرى مسيحية فى شياخة الزاوية الحمراء وهو مايحدث كل يوم كأمر طبيعى لظروف السكن إلا ان الأمر تطور وخرج عن اطاره فانضم المسيحيون الى الجانب المسيحى والمسلمون الى الجانب الاسلامى ونشبت معركة استخدمت فيها الاسلحة النارية واستطاعت قوات الأمن المحلية السيطرة الكاملة على الموقف إلا ان مثيرى الفتنة خططوا فى اليوم التالى لتصعيد هذا الموضوع وانضم اليهم الخارجون على القانون من اللصوص ومحترفى الاجرام وقاموا باعمال السلب والنهب ، وقد قامت اجهزة الشرطة بالسيطرة على الموقف بحكمة مما كان له الاثر الطيب فى تقليل عدد الاصابات وتلافى المزيد من اتلاف الممتلكات وقامت الشرطة بضبط الاسلحة المستخدمة سواء المرخص منها وغير المرخص والقبض على جميع المتهمين والمشتبه فيهم كما قامت الشرطة بالسيطرة الكاملة على دور العبادة فى القاهرة الكبرى لحصر الفتنة وعدم امتدادها الى مناطق اخرى وقد اتخذت النيابة الاجراءات السريعة فور اخطارها مما كان له الأثر الحاسم لوضع الأمور فى نصابها . كما قام المخلصون والشرفاء من ابناء القاهرة من السياسيين ورجال الدعوة الدينية الاسلامية والمسيحية بواجبهم لتوعية المواطنين ومواساة الجرحى والمصابين .

وكان من نتيجة هذا الحادث ١٧ قتيلا .. سبعة من المسلمين وتسعة من المسيحيين وآخر مجهول الشخصية و ١١٢ مصابا واتلاف ٩٥ من الاماكن العامة ، أصيب اغلبها باضرار طفيفة للغاية كما نهبت محتويات بعض الشقق والمحلات .

• • •

ويحاول الدكتور صوفى أبو طالب رئيس مجلس الشعب فى ذلك الوقت ان يدافع عن اجراءات السادات فى ٥ سبتمبر بأنه استعمل صلاحياته المقررة له فى الدستور باستخدامه المادة ٧٤ من الدستور فى حديثه مع عبد الفتاح الديب نائب رئيس تحرير صحيفة « اخبار اليوم » فى يوم ١٢ / ٩ / ١٩٨٠ .

يقول رئيس مجلس الشعب : وكان الرئيس بالخيار بين امرين نص عليهما الدستور : الاسلوب الاول استعمال اختصاصه المقرر فى المادة ١٤٨ من الدستور بصفته رئيسا للسلطة التنفيذية التى تعطى له حق اعلان حالة الطوارىء وتوجب عليه عرض هذا الاعلان على مجلس الشعب وهذا الاسلوب يعطى لرئيس الجمهورية الحق فى اتخاذ كافة الاجراءات الاستثنائية خلال المدة المحددة فى حالة الطوارىء دون تعقيب على قراراته ومايتخذ من اجراءات وهذا الاسلوب يعود بنا الى ما قاسيناه منه من قبل عام ١٩٧١ حينما كان يلقى القبض على الاشخاص ولا يعرف ذووهم اين ذهبوا ومتى يفرج عنهم كما كان يجرى التحفظ على الأموال بل ومصادرتها دون ما حدود .. أما الاسلوب الثانى فهو استعمال الصلاحيات المقررة فى المادة ٧٤ من الدستور باتخاذ اجراءات سريعة لمواجهة الخطر وطرح الأمر على الاستفتاء العام . ولما كانت الديمقراطية والحرية من ابرز سمات ثورة مايو فقد آثر الرئيس ان يستعمل صلاحياته المقررة فى المادة ٧٤ ثقة منه فى تأييد شعبه له فى اتخاذ مثل هذه الاجراءات وقد اكد الاستفتاء هذا المعنى ..

ويضيف رئيس مجلس الشعب الدكتور صوفى أبو طالب : ومن المعروف ان الاجراءات التى تتخذ طبقا للمادة ٧٤ من الدستور أيا كان كنهها وأيا كانت طبيعتها تصبح من اعمال السيادة التى تخرج عن رقابة مجلس الشعب كما تخرج عن رقابة القضاء ولا يجوز الطعن فيها . فإباحة التظلم فى مثل هذه القرارات يعطى ضمانه اكيدة للمواطنين بعدم المساس بحرياتهم .

ويتحدث الدكتور صوفى أبو طالب عن الأقباط فيقول : أما الأقباط منهم فإنهم يطرحون سؤالا ساذجا : فبعد مضى ١٤ قرنا من التعايش بين المسلمين والمسيحيين وبعد أن صهر الإسلام كل سكان مصر فى بوتقه حضارية ساهم فى بنائها المسيحيون واليهود جنباً إلى جنب مع المسلمين تقوم على التسامح والمساواه فى الحقوق والواجبات واحترام كافة الأديان السماوية يطرحون بعد ١٤ قرنا : أرض مصر لمن ؟! متجاهلين انها لكل المصريين أيا كان دينهم الذى يعتقونه وهؤلاء خرجوا بالكنيسة عن دورها إذ أن الكنيسة تقوم على قول المسيح عليه السلام :

« دعوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » بمعنى أن دور الكنيسة ينحصر فى الهداية الروحية والأخلاقية أما تنظيم الدولة السياسى والاجتماعى والاقتصادى فلا دخل للكنيسة به وما حل فى أوربا من مآس فى العصور الوسطى كان من أسبابه تدخل الكنيسة فى أعمال الدولة على خلاف ما تقضى به تعاليم المسيحية الحقة .

وذوو الطموح من بعض القيادات المسيحية فى مصر أرادوا اقحام الكنيسة فى الأمور السياسية للدولة فأسهموا بذلك بنصيب وافر فى خلق الفتنة الطائفية واذكاء نارها وهؤلاء يريدونها طائفية على غرار لبنان ولم يتعظوا بما يجرى فى لبنان !!

● ● ●

والسؤال المطروح الآن نصدق من ؟!!

السادات ينفى على الاطلاق العثور على أسلحة فى بعض المساجد والكنائس قبل عمليات القبض التى تمت . وزوجته السيدة جيهان السادات تقول فى كتابها « سيدة من مصر » : فى قرية واحدة فى صعيد مصر تمكن البوليس السرى من اكتشاف ثلاثة آلاف قطعة سلاح من بينها مدافع مضادة للطائرات فى مراكز لخلية إسلامية .. والمعروف أن السيدة جيهان السادات كانت تعرف كل صغيرة وكبيرة بل وتشارك فى إتخاذ القرارات وتوجيه التوصيات عن طريق مكتبها إلى الوزراء وكبار المسئولين .. بل حاول السادات تعيينها نائبا لرئيس الجمهورية ولكن لم يظهر القرار !!

يقول السادات أن عدد الأقباط فى مصر ثلاثة ملايين وفقا للاحصائيات الرسمية واستمرت القيادة فى الادعاء بانهم ثمانية ملايين .

بينما تقول السيدة جيهان السادات : اتخذ أنور موقفا عادلا من مشكلة الفتنة الطائفية ومن أجل اعادة الثقة لستة ملايين مسيحى .

كما أن تقرير مجلس الشعب عن احداث الفتنة الطائفية فى الزاوية الحمراء يؤكد

أن نتيجة الحادث ١٧ قتيلا منهم سبعة من المسلمين وتسعة من الأقباط وآخر مجهول الشخصية و١١٢ مصابا واتلاف ٩٥ من الأماكن العامة .
بينما تؤكد جيهان السادات أن عدد الضحايا ارتفع إلى عشرة قتلى و٤٥ مصابا .

فمن نصدق ؟!!

السادات يهاجم البابا والكنيسة القبطية .. ويتحفظ على البابا شنودة بمحاصرته بقوات عسكرية حول دير وادى النطرون .

السادات يتهم البابا بلا دليل أو اثبات .

ورجال السادات يدافعون عن إجراءاته الاستثنائية .

والبابا صامت فى الدير .

وبعد هذا الصمت تكلم البابا شنودة وكشف الأسرار عن أكبر ازمة بين نظام السادات والكنيسة . وبين السادات والبابا .

الفصل السادس

أسرار الصـــدام

بعد صمت طويل تكلم قداسة البابا شنودة .

فى البداية طلبت تحديد ميعاد لمقابلة مع البابا شنودة ليتحدث معى على أسباب هجوم السادات العنيف على قداسته والهجوم المتكرر عليه من خلال احاديث السادات وخطبه وتصريحاته للصحف والمجلات ووسائل الإعلام المحلية والعالمية .

وحرصت ــ وأنا مسلم ــ على لقاء البابا لمعرفة متاعب الأقباط والأسباب الحقيقية التى اثارت الفتنة الطائفية ومن وراء ازكائها .. وما الأصبع الخفية التى تسكب البنزين على النار .. ؟!

تقابلنا فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون الذى حدد السادات فيه إقامة البابا شنودة فى يوم الجمعة ٢٢ من شهر يونيه ١٩٨٨ .. واستمر الحديث مع قداسته أكثر من أربع ساعات متواصلة .. ثم تكرر اللقاء فى الكاتدرائية بالعباسية بالقاهرة .

وبدأ قداستة البابا شنودة حديثة قائلاً : نحن قد عشنا مع اخواننا المسلمين بكل حب وبكل تعاون وبروح الأخوة وان الأحداث التى عاشتها مصر فى السنوات الأخيرة كانت غريبة عن جو مصر .

ما هى ؟ .. وما دور السادات فيها ؟

فى الحقيقة ان جوا غريبا قد انتقل إلى مصر فى بعض الأوقات وهو لا يتفق مع جو مصر .

بدأت الأحداث فى الواقع ببعض المنشورات التى صدرت فى الاسكندرية منها

منشور وجه ضد القمص بيشوى كامل ومنشور آخر وجه ضدى . المنشورات كانت مثيرة وكان عنوانها المنشور السرى للبابا شنودة !!

وماذا جاء فى هذه المنشورات ؟

تضمن المنشور أن البابا عقد اجتماعا فى مارس ١٩٧٢ بالاسكندرية بدأ الاجتماع بالتراتيل والألحان وبعد ان انتهى من مقدمات الاحتفال صرف عامة الشعب وأبقى القادة وقال لهم الآتى ــ حسب ما جاء فى المنشور وهو كلام خيالى حتى أن عقلية الطفل لا يمكن ان يقبله ــ قيل :

إن البابا يقول انه سيرجع مصر مسيحية كما كانت (طبعا كلام خيالى) .. وانه اصدر إجراءات فى هذا الصدد منها تقليل عدد الوفيات عند المسيحيين وزيادة المولودين والعكس زيادة عدد الوفيات عند المسلمين وتقليل النسل . ولا ادرى بأى طريقة يمكن لإنسان ان يتحكم فى هذا .. ثم قيل ان مما يساعد على هذا الأمر ان ٦٠٪ من الأطباء من أولادنا المسيحيين فهل يعقل للطبيب الذى عليه واجب إنسانى ان يقتل شخصاً جاء إليه للعلاج . اعتقد لو أن طبيبا مصريا جاء له يهودى من أكثر اليهود عداوة لمصر فسيعالجه بنفس العمل الإنسانى للطبيب ويترك السياسة للسياسيين .

والسؤال هل يستطيع البابا ان يقول للاطباء اقتلوا الناس ؟! .. وهل يقبلون منه هذا الكلام ؟ .. وهل يحترمون شخصا قال هذا الكلام ؟ وهل يمكن تنفيذ هذا الأمر ؟ ..

مستحيل .. !!

لقد أوجدت هذه المنشورات جوا غير معقول وجاء فى آخرها طلبات قدمها البابا للحكومة منها حصول الأقباط على « ربع » القيادات فى الجيش وفى مجلس الشعب ومجلس الوزراء والمناصب القيادية فى الحكومة .

لو كان البابا قد تقدم بهذه الطلبات لامكن للسادات أن يعلنها وهذا لم يحدث حتى فى أشد فترات السادات عداوة للكنيسة ولى شخصيا . ولم يكن هناك شيء من هذا .. ولكنه كلام خيالى !!

وجاء أيضا فى آخر المنشور أن ما جاء فيه هو طبعا للتسجيلات الصوتية . إذا كان لها وجود فلماذا لم تذع أو تنشر حتى فى الأوقات التى قدمت فيها قضايا ضدى .

كان من الممكن إذاعة هذه التسجيلات فى الاذاعة أو التليفزيون وصوتى معروف ولكن لم يكن لها وجود .

هذا المنشور احدث ضجة كبرى . بعض الوعاظ تحدثوا عنه فى المساجد .. والبعض طبع منه نسخا لتوزيعها فى المدارس .. والبعض الآخر طالب بموقف ضد الأقباط .

وعندما وصلتنى نسخة من هذا المنشور ارسلت نسخة منه إلى السادات ونسخة إلى ممدوح سالم رئيس الوزراء ونسخة للدكتور عبد القادر حاتم اكدوا لى جميعا انهم يعرفون مصدر هذه المنشورات وقالوا لى انهم شيوعيون .

ولكن الذى حدث انه لم يتم اتخاذ أى إجراء لايقاف هذا المنشور واستمر الأمر حوالى من خمسة إلى ستة اشهر بدأت بعد ذلك الأمور تتصاعد وتتزايد إلى ان صدق كثير من المثقفين واساتذة الجامعات هذا المنشور .. واستغربت !!

ثم جاءت احداث حريق كنيسة الخانكة .

كانت هناك مناسبة عيد الفطر . ذهبت إلى الدكتور محمد الفحام شيخ الأزهر لزيارته فى بيته ولتقديم التهنئة بالعيد ولم اضع فى ذهنى ان هناك كنيسة محروقة !!

ثم كان عيد جلوسى الأول فى ١٤ نوفمبر ١٩٧٢ وتكلمت فى الحفل الكبير الذى اقيم لهذه المناسبة فقلت ان الذين يحرقون الكنائس ليسوا مسلمين حقيقيين فالمسلم هو الذى يجادل أهل الكتاب بالتى هى أحسن .

وفرضت على نفسى صوما ألا تبصرنى الشمس آكلا إلى أن ترجع العلاقات الطيبه بين المسلمين والمسيحيين واستمر صومى شهورا عديدة .

فى تلك الفترة زارنى الرئيس السادات .

اتذكر قبل هذه المقابلة مع الرئيس السادات . كان السادات قد كلف الدكتور جمال العطيفى وكيل مجلس الشعب برئاسة لجنة برلمانية لتقصى الحقائق حول احداث الفتنة الطائفية واحداث حريق كنيسة الخانكة .

قابلنى الدكتور العطيفى وهو رجل أحبه واقدره مع أعضاء اللجنة وشرحت لهم هذه الأحداث واظهرت لهم بالدليل والبرهان من هو المتهم الحقيقى وراء هذه المنشورات .. فالمنشور الأول الذى صدر أو اخترع ضدى لم يكن مكتوبا عليه مصدره ولكن من يقرأ المنشورين يجد الكلام هو نفس الكلام والأسلوب هو نفس الأسلوب بل ان بعض الجمل هى بالنص منقولة مما يدل على ان مصدر المنشورين جهة واحدة .

بعد ان انتهت اللجنة من تقصى الحقائق اصدرت بيانا جاء فيه ان هذا المنشور واضح الاصطناع إلا إنه على الرغم من هذا فقد كان المنشور يتداول فى بعض الكليات بجامعة الأزهر . وأصدر الشيخ محمد الغزالى كتابا اسمه « قذائف الحق » فأورد صورة من هذا المنشور فيه على اعتبار انه حقيقة . وقال فى تعليقه على بيان لجنة تقصى الحقائق : انه معروف ان رئيس اللجنة شيوعى !!

واللجنة كانت مكونه من ١٢ عضوا فهل كانوا جميعا شيوعيين .

كان هناك اتجاه كبير بالنسبة لحادث حرق الكنيسة إلى عدم اعتبارها كنيسة لانها جمعية تحولت إلى كنيسة .

فى هذه المناسبة سألت الدكتور العطيفى قائلا : امام الله هل المكان الذى زرته كان كنيسة أم لم يكن كذلك ؟

الدكتور جمال العطيفى احرج من الأجابة على السؤال فى البداية . فلو قال انه ليس كنيسة فهو كنيسة بالفعل . وإن قال انه كنيسة فهو من الناحية القانونية لم يصدر قرار جمهورى فتعتبر رسميا ليست كنيسة .

صمت الدكتور العطيفى قليلا ثم قال اجابة فى ذكاء : هو مكان تقام فيه الشعائر الدينية .

قلت له : أنا يكفينى هذا الأمر .

احدثت هذه المسألة ضجيجا وبعد ذلك كلف الرئيس السادات مجلس الشعب بإصدار قانون الوحدة الوطنية وللأسف لم ينفذ هذا القانون على الاطلاق إلى يومنا هذا . تضمن هذا القانون : إذا شاعت أو حرضت طائفة ما أو شخص ما على كراهية الناس لطائفة أخرى ما يسىء إلى سمعتها يعاقب بكذا .. وكذا .

وكم صدرت « إذاءات » من هذا النوع ولم يطبق القانون !!

بسبب هذه الأحداث أمرت بإغلاق الكنائس لمدة ثلاثة اسابيع وكذلك الغيت اجتماعى لمدة اسبوع أو اسبوعين فى هذه الفترة إلى أن هدأت الأمور وأمكن الصلاة فى الكنائس وبموافقة الأمن لدرجة ان بعض الوزراء قالوا لى إن القرار الذى اتخذته ترك تأثيراً كبيراً عند القيادة السياسية ولم يكن هناك أى تحد من الأقباط للسلطة .

أما من جهة الصلاة فى الاحتفال بعيد القيامة عام ١٩٨٠ .. انعقد المجمع المقدس فى ٢٦ مارس ١٩٨٠ بسبب احداث الاعتداءات على الأقباط وقرر عدم تلقى التهانى بالعيد من المسئولين بالدولة لأننا كنا فى ظروف ضاغطة وحزن وألم شديد نتيجة للاعتداءات المتكررة على الأقباط ولم تفعل الدولة شيئا لحمايتهم ولم يتخذ السادات أى إجراء ضد المتطرفين .

أدينا الصلاة ولكن كل ما فى الأمر رفضنا قبول التهانى ..

أنا والمطارنه ذهبنا إلى الدير .. صلوا معى فى الدير ولم يكن هناك مجال لتلقى التهانى لا فى القاهرة ولا فى الاسكندرية ولا فى المحافظات لأن الجميع صلوا فى الدير وقضوا العيد فى الدير .

. من ناحية الصلاة .. الصلوات تمت لأننا لا نستطيع ان نمنع الصلاة فى العيد ولكن منعنا الاحتفالات وقبول التهانى لاننا كنا متعبين من اعتداءات كثيرة والرئيس السادات لم يفعل شيئا تجاهها غير انه يصلح الموقف وبدأ السادات يتضايق من هذا الموقف .

وقد اشتركت معنا الطوائف المسيحية الأخرى والتزمت بقرارنا فى بادىء الأمر ثم بعد ذلك عندما اخذ السادات موقفا شديداً بدأ البعض يبحث عن مستقبله ووضعه . وأنا لا أريد ان ادخل فى خلاف جديد لكن السادات حاول أن يستميل البعض على حساب الكنيسة القبطية .

كانت هناك اعتداءات على الأقباط من المتطرفين ولا يوجد قرار حازم لمنع هذه الاعتداءات .

وربما لم يكن يريد السادات أن يبدأ الصدام مع الجماعات المتطرفة فترك الأقباط يتحملون كل هذه المتاعب دون أن ينقذهم منها . واخيرا وجدنا انه لابد من أن يمنع الاحتفالات بالعيد فضايق السادات !!

لم يأخذ السادات أى إجراء ضد المتطرفين حتى فى اعتداءاتهم على بعض الأساتذة المسلمين فى الجامعات . منها حكاية الدكتور شلبى عميد كلية علوم الاسكندرية . كان الطلبة يشعرون بقوتهم وبأنهم مهما عملوا فلن يقف أو يفعل أحد ضدهم شيئا وبعض اساتذة الجامعة بعد مقتل السادات بدأوا يكشفون عما كان يفعله هؤلاء المتطرفون فى الجامعات . وقالوا لو ان الدولة قد اتخذت معهم إجراء وتداركت الأمر منذ ثلاث سنوات ما كان قد وصل الأمر إلى هذه الخطورة وقتل رئيس الجمهورية !!

كان الرئيس السادات قد زارني فى ٢٣ ديسمبر ١٩٧٢ وعقدنا اجتماعا منفردا استغرق ساعة ونصف الساعة ثم اجتمع الرئيس بالمجمع المقدس لمدة ٢٠ دقيقة .

فى الاجتماع المنفرد شرح لى الرئيس السادات كثيرا من الأوضاع السياسية والعسكرية . وقال انه بدأ فى عملية الاستعداد الجاد للحرب واعتبرت ما قاله لى سراً لا أبوح به إلا انه بعد انتصار أكتوبر ٧٣ اذاع هذا الكلام للجميع !!

قال لى السادات فى هذا الاجتماع : ان الأقباط يقيمون كنائس غير شرعية تسيىء للمسلمين فلنتفق على خطة سنوية للكنائس التى تحتاجها ونصدر بها قرارات جمهورية والأمور تمشي صحيحة طبقا للقانون . وأنا أعدك بأن أوافق على طلبك وأزيد عليه عشر كنائس من عندى .

ثم سألنى السادات عن العدد المطلوب ؟!

فوجئت بهذا السؤال الذى لم أكن أفكر فيه من قبل وقلت بينى وبين نفسى . لو قلت له عدداً كبيراً يقى باستغل نبل الرجل ولو قلت له عدد قليل فقد اضعت حقوق الأقباط واحتياجاتهم .

صمت افكر . فقال السادات لى : لماذا لا تتكلم ؟

قلت له : فى الحقيقة يا سيادة الرئيس انا أفكر فى احتياجاتنا من الكنائس بحيث لو تم تنفيذها لا تقع فى حرج أو اشكال مع اخواننا المسلمين .

رد السادات : احنا الأمور الداخلية كويسة .. بس المهم نكون متعاونين فى الخارج , اللى انت عاوزه انا اعدك به وأضيف عليه عشر كنائس من عندى .

قلت : يا سيادة الرئيس عندنا فى مصر اكثر من عشرين محافظة فإذا كان فى كل محافظة بمدنها ومراكزها وقراها نحتاج إلى كنيستين يصبح العدد المطلوب أربعين كنيسة .

وافق السادات على طلبى واضاف الكنائس العشرة التى وعد بها ليصبح العدد خمسين كنيسة وهذا الذى تحدث عنه السادات كثيرا فى كل مناسبة وفى كل خطبة واحاديثه .

قلت : يا سيادة الرئيس بالنسبة للكنائس القديمة هل تتطلب تصريحا لعمليات إعادة البناء أو الترميم لها . لأن هذه الكنائس لو تطلبت تراخيص جديدة لأدرجت فى عدد الخمسين كنيسة وأصبحنا بلا شىء جديد .

قال السادات : لك وعد على بأن كل الكنائس القديمة تعتبر قائمة فى رسالتها ولا تحتاج إلى تراخيص جديدة .

قلت له : اخشى ان يجرى وراءنا رجال المباحث ويطلبون منا تصريحا .

قال السادات : لا ، انت بتكلم رئيس الجمهورية وأنا وعدتك .

قدمت الشكر للرئيس السادات وطلبت منه إبلاغ المسئولين بما اتفقنا عليه .

وبدأت اتقدم بالطلبات إلى وزارة الداخلية فكانت توافق على بعض الطلبات ولا توافق على البعض الآخر .

● ● ●

كانت الأجواء قد بدأت تتكهرب من جديد بعد وقوع حوادث جديدة فى جامعات اسيوط والمنيا والاسكندرية وبدأت الاتهامات المتبادلة بين شباب الجامعات الإسلامية وشباب الأقباط فى الجامعات واشتكى رجال الدين المسيحى من تباطؤ النبوى اسماعيل وزير الداخلية فى تنفيذ تعليمات الرئيس السادات ببناء ٥٠ كنيسة .

اضطر السادات إلى عقد اجتماعين فى استراحته بالقناطر الخيرية مع رجال الدين الإسلامى ثم مع المجمع المقدس واستغرق اجتماع السادات مع فضيلة الامام الأكبر عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وعلماء المسلمين ٩٠ دقيقة بينما استغرق اجتماعه مع البابا شنودة وأعضاء المجمع المقدس ٤ ساعات متواصلة وهذا دليل على أهمية الاجتماع واهمية القضايا التى اثيرت فيه .

يقول البابا شنودة عما دار فى هذا الاجتماع : عقد السادات اجتماعا مطولا معنا فى استراحته بالقناطر الخيرية فى سبتمبر ١٩٧٧ ، وقد حضر الاجتماع اعضاء المجمع المقدس واثنان فقط من المدنيين هما ممدوح سالم رئيس الوزراء وموسى صبرى رئيس تحرير الأخبار . وبرر السادات مسألة وجود موسى صبرى بأن قال : ان موسى صبرى صديقى واحنا الاثنين كنا معا فى معتقل الزيتون . والعجيب أن موسى صبرى ألف كتابا عن السادات « السادات الحقيقة والاسطورة » ولم يذكر فيه عن هذا اللقاء سوى ان السادات اجتمع مع البابا والمجمع المقدس واستمر الاجتماع أكثر من ٤ ساعات . كما لم يذكر شيئا عما دار فى الاجتماع اطلاقا بينما تحدث عن مسائل التموين صفحات طويلة .. ألم تكن هذه القضايا العامة والهامة تستحق بعض ما استحقته مسائل الخبز والخضر ؟!!

ثم فى هذا الاجتماع التاريخى والهام عرض موضوع الخمسين كنيسة وقال السادات ان البابا طلب منى ٤٠ وأنا اعطيته ٥٠ كنيسة فأنا تعليقا على هذا الأمر لأن السادات كرره مرارا .. قلت له : « يا سيادة الرئيس ان اتفاقك معى فى موضوع الكنائس كان اتفاقا نبيلا وكريما وترك أثرا كبيرا فى نفوس الأقباط وقابلوه بالشكر والعرفان بالجميل وأنا اعترف أنك اعطيتنا فوق ما نطلب » .

الرجل .. استراح .

واستطرد البابا قائلا : المهم هل الاتفاق الذى بينى وبينك قد نفذ أم لا ؟

أولاً : فى عام ١٩٧٣ اخذنا ٣٢ قرارا جمهوريا وفى عام ١٩٧٤ حوالى ١٧ قراراً جمهوريا وفى عامى ٧٥ و ٧٦ عندما اصبح سيد فهمى وزيرا للداخلية اخذنا ٥ قرارات وفى سنة ١٩٧٧ اخذنا ٤ قرارات فقط ليصبح عدد القرارات الجمهورية التى وافق عليها طوال السنوات الخمس الماضية ٥٨ قرارا أما الاتفاق الذى تم بينى وبينك لم ينفذ .

ثانياً : هناك بعض الكنائس حصلنا لها على قرارات جمهورية لم نستطع تنفيذها إلى يومنا هذا .

السادات مستفسرا : زى ايه ؟

قلت : زى كنيسة مارجرجس فى رأس البر وكنيسة التحرير فى امبابة وكنيسة العياط (وقد تم بناؤها الأن)

ما هو أكثر شيء يمكن ان احصل عليه من السلطة التنفيذية فى البلد ؟ قرار جمهورى .

إذا صدر قرار جمهورى ولم استطع ان انفذه فماذا يكون موقفى ؟ ولم اقل له فماذا يكون موقفك ؟

السادات : إيه اللى بيحصل لكم بالضبط ؟

قلت : سأضرب لكم مثلا بكنيسة العياط لأن رئيس الوزراء يعرف تفاصيل التفاصيل عنها . احنا قدمنا طلب بخصوص هذه الكنيسة وقدمنا كل الأوراق المطلوبة منها عقد الملكية وخريطه المساحة وقد قامت وزارة الداخلية بكل إجراءاتها بمعرفة رجال الأمن ووجدت ان كل شيء مضبوط فطلبت استصدار قرار جمهورى وصدر هذا القرار فى عام ١٩٧٣ ذهبنا لعمل الأساسات هاجمنا البعض بالعصى والبنادق ووقعت اعتداءات كثيرة وتم منع القيام باعمال الحفر وجاء المحافظ ورجال البوليس والنيابة والهيئات السياسية .

السادات مستفسرا : ليه .. ليه ؟!! علشان إيه كل ده ؟!

البابا شنودة : افتعلوا اشكالا قانونية فى ملكية الأرض .. المحافظ قال إذا كان هناك نزاع واشكال قانونية حول ملكية الأرض يؤجل الموضوع إلى أن ينظر القضاء فى هذا النزاع . وانتظرت طبعا .. القضاء سيحكم فى صالحنا لأننا نملك عقد ملكية الأرض ولكن إلى أن يحكم القضاء يكون قد مر ثلاثة أو أربعة أو خمسة شهور .

فى هذه الأثناء قد يتم بناء جامع فى هذه المنطقة ويقال هل نهدم الجامع من أجل بناء كنيسة ؟ .. طبعا غير ممكن .. ابحثوا عن أرض أخرى وممكن القصة تتكرر .. وتكرر فى أى مكان آخر . وقد مر على صدور القرار الجمهورى ٤ سنوات ولم تبن الكنيسة إلى يومنا هذا ..

تصور شكوى لا تقدم بالبريد أو عن الطريق الروتينى إنما يقدمها البابا إلى رئيس الجمهورية مباشرة فى حضور رئيس الوزراء الذى كان وزير للداخلية . وطبعا لم يتم حاجة فى هذا الموضوع إلى الآن !!

ويستطرد البابا : يا سيادة الرئيس ليس فقط ان الاتفاق الذى بينى وبينك لم ينفذ وليست فقط ان القرارات الجمهورية التى حصلنا عليها لم نستطع تنفيذها إنما ايضا ان أى بناء نبنيه نطالب بقرار جمهورى من أجلة بمعنى عندما نريد بناء حجرة للرهبان يطالبوننا بقرار جمهورى .. (الأنبا ميخائيل مطران اسيوط قال للرئيس السادات عايز اعمل مظلة أمام الكنيسة طالبونا بقرار جمهورى) .. عندما نريد بناء دورة مياه مطلوب قرار جمهورى .. هل معقول أن اتقدم إلى رئيس الجمهورية اطلب منه بناء دورة مياه .. هل هذا معقول ؟!!

انفعل الرئيس السادات جدا .. ونظر إلى ممدوح سالم رئيس الوزراء وقال له : إيه ده يا ممدوح .. إيه ده يا ممدوح !!

وقلت للسادات : يا سيادة الرئيس ليس فقط ان الاتفاق الذى بينى وبينك لم ينفذ وليس فقط ان القرارات الجمهورية التى حصلنا عليها لم نستطع تنفيذها وليس فقط ان أى بناء نريده يطالبوننا بقرار جمهورى . ده حتى الكنائس الموجودة فعلا حدث عليها اعتداء .

السادات : زى إيه ؟

قلت : زى كنيسة العذراء فى البيطاخ

السادات : فين البيطاخ دى ؟

قلت : نواحى الأقصر . هاجموا الكنيسة .. كسروا الأبواب والشبابيك والدكك واخذوا الأوانى المقدسة والملابس الكهنوتية وصعدوا أعلى الكنيسة ليؤذنوا .. كذلك كنيسة المحمدة .

السادات : فين المحمدة ؟

قلت : فى محافظة سوهاج ومطرانها موجود . قاعد قصادك فات علينا فى الاسكندرية فى منتصف الليل ومعه القسيس رأسه مفتوح .. كذلك كنيسة العوايسة .

السادات : فين العوايسة ؟

قلت : فى مركز سمالوط . الأسقف ذهب لزيارة الكنيسة والأقباط عملوا له لافتات ترحيب .. مزقوا هذه اللافتات ودخلوا الكنيسة واعتدوا على الأقباط بالضرب .. واحد أصيب فى عينه وآخر أصيب بارتجاج فى المخ .. وهذا اسقف الكنيسة .

كنت اتكلم على المقدمة ، وكان اسقف كل كنيسة يقف امام الرئيس السادات ويتحدث عن الاعتداءات التى حدثت لهم بالتفصيل لدرجة ان السادات قال لنا انه لن يقبل للأقباط هذا الوضع وانه لأول مرة توضع أمامه صورة كاملة عن حالة الأقباط واحنا نبتدى من جديد .

قلت للرئيس السادات : يا سيادة الرئيس اننى أريد أن اسأل سؤالا لا بصفتك رئيس جمهورية إنما كإنسان .. هل يصح أن ناس عايزين يعبدون ربهم بطريقتهم الخاصة يقعدوا أربع سنين لا يجدون فرصة للعبادة .

قال السادات مين دول ؟!

قلت له : بتوع الخانكة

قال السادات : هى كنيسة الخانكة لسه ما تبناتش لحد دلوقتى ؟!
قلت : لا
قال السادات : معنديش مانع
وبعدين فوجئت فى خطبة الرئيس السادات فى ١٤ مايو ١٩٨٠ انه قال لى : دى مش ممكن تتبنى .. كنيسة الخانكة كانت للتحرش وهى ليست من الخمسين اللى وافقت عليهم
انا استغربت من الاجابة !! .
كان لقاؤه معنا فى القناطر طيبا جدا ولكنه كان يستمع ولا ينفذ شيئاً .
انا افترض ان هذا البناء لا يريده السادات .. ليكن !!
هل صرح السادات بناء كنيسة فى الخانكة فى مكان آخر ؟!
أم يظل اقباط هذه المنطقة بلا مكان يصلون فيه ؟!
فإذا تعبوا نقول دى فتنة .. وإذا أرادوا الصلاة ولم يجدوا مكانا تقول دول بيشنعوا .. ويقولون مفيش حقوق إنسان ؟!!
حل لهم مشكلتهم . لكن استخدام السلطة بلا حل مشكلة لا يمنع ان هناك مشاعر تعبانه !!

● ● ●

كان اللقاء مع الرئيس طيباً للغاية لدرجة أننى فى هذه الأوضاع تحدثت معه عن مطلب الأقباط بالنسبة لأوقافهم قلت له مسألتين :
الأولى : مسألة قانونية لم تؤثر فيه .
الثانية : مسألة نفسية اثرت فيه كثيرا .
من ناحية المسألة القانونية قلت له : يا سيادة الرئيس أباؤنا كانوا يعملون وفقا

على دير أو كنيسة ليصرف منه على الدير أو الكنيسة وإذا بقى فائض يكون للفقراء ولأنهم ذكروا الفقراء ولم يحددوا فيصبح للمسلم الفقير فيها نصيب وحيث انه لا ولاية لغير المسلم على المسلم فيصبح بذلك أوقافا إسلامية .

هذه الحكاية لم تؤثر فيه كثيراً .

ولكن عندما تحدثت من الناحية السياسية فقلت له : سيادة الرئيس هذه الأوقاف منتشرة فى القاهرة والاسكندرية وفى وجه بحرى ووجه قبلى .. فى كل مكان احنا نخسر الوحدة الوطنية ويبقى فيه حالة تذمر فى كل مكان علشان شوية أوقاف .. يطلعوا إيه أوقاف الأقباط .. ؟!

ويواصل البابا شنوده حديثه للرئيس السادات قائلا : يا سيادة الرئيس يطلعوا ألف فدان .. ألفين .. بالنسبة لك انت بتعمل مزرعة واحدة تبلغ مساحتها ما بين ٢٠ و ٣٠ ألف فدان .. اعتبر ان الألفين فدان دول ملكك الشخصى واعطيتهم هدية منك للأقباط .

يتوقف البابا لحظات ثم يقول للحقيقة تأثر الرئيس السادات بهذا الكلام تأثرا كبيرا وقال لرئيس الوزراء اعطيهم أوقافهم يا ممدوح .

ويستطرد البابا قائلا : زارنى ممدوح سالم رئيس الوزراء واطلع على كل الوثائق والمستندات وقال لى مضبوط وإن شاء الله سنعطيكم أوقافكم .

يعود البابا إلى حديثه عن الاجتماع بالرئيس السادات فيقول : الرجل (يقصد السادات) جلس معنا جلسه طيبه للغاية واعطى لنا وعودا عديدة لدرجة اننا خرجنا نتغنى بالرجل ونبله وبساطته .

مات السادات ومات ممدوح سالم ولم نأخذ شيئا من الأوقاف كانت المسألة وعودا .. وعودا .. ولا شيىء !!

كان السادات قد تحدث فى بداية الاجتماع لمدة ساعة كاملة عن علاقته بالروس وقال انه فى يوم واحد طرد ١٨ ألف خبير روسى ولا همه .

وواصل السادات حديثه بأنه لا يحب أن يكون تحت ضغوط .

قلت لنفسى : ماذا يقصد الرئيس ؟

ثم قال السادات : انا اعتب على البابا والمجمع ازاى أولادنا فى الخارج يتكلموا ضدنا .. ازاى يشتكونى لكارتر .. وبدأ يقرأ تقارير كثيرة وصلت إليه من بعض سفارات مصر بالخارج .

كان الرئيس السادات منفعلا جدا .. قال بيشتكونى لكارتر .. وكارتر له عندى إيه .. ده انا أوقفه عند حده .. دى شئونى الداخلية .

يستطرد البابا شنودة قائلا : أنا شعرت بانفعاله الشديد وكان هذا آخر كلامه وانه لابد من حل موضوع أولادنا فى الخارج .

قلت للسادات : يا سيادة الرئيس ممكن أكلمك عن الأقباط فى الخارج .

السادات : تكلم

قلت : أول حاجة عايز أقولها ان بعض الأقباط يمكن ان يكون عندهم عامل نفسى .. بعضهم خرجوا من مصر بعد أن شعروا انهم لم يأخذوا حقهم فى التعيين أو الوظيفه أو الترقية .. هذا عامل نفسانى لا نستطيع ان نتجاهله وهؤلاء الآن يعيشون فى مناخ سياسى معين غير المناخ الذى نعيش فيه .. يعيشون فى مناخ من الديمقراطيه .. يستطيعون فيه ان ينتقدوا رئيس الجمهورية علنا .. يستطيعون ان ينتقدوا الرئيس الأمريكى كارتر فى الاذاعة والتليفزيون والصحف دون ان يستطيع احد ان يحاسبهم ولكن نحن نعيش فى جو شرقى له تقاليده ومنها احترام الرؤساء أولى الأمر منهم . الجو الديمقراطى عندهم يختلف كثيرا عن الجو الديمقراطى فى بلدنا فإذا اردنا أن نحكم عليهم فلنحكم عليهم من حيث الجو الديمقراطى الذى يعيشون فيه .

وقلت للرئيس : اولادنا فى الخارج قاموا باعمال كبيرة جدا من أجل مصر وقدموا الكثير فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ويعلم الله مقدار الجهد الذى بذلوه لدرجة

ان وزارة الخارجية ارسلت لى خطاب شكر عن هذا المجهود الذى بذله أولادنا فى الخارج .. كان الأنبا صموئيل يذهب إلى وزير الصحة يسأله عن احتياجاته من اجهزة نقل دم من الخارج .. يبعث إلى اولادنا فيرسلون على الفور آلاف من الأجهزة المطلوبة .. ويذهب إلى وزيرة الشئون الاجتماعية يسألها عن احتياجاتنا من البطاطين فيرسل اولادنا مئات الآلاف من البطاطين ايضا . كان اولادنا خير سفراء لمصر فى الخارج فى مجالات الدعاية والإعلام عن قضايانا القومية .

قلت للرئيس : سيادة الرئيس .. الناس دول بيحبوا مصر وبيحبوك افرض انهم قلقوا من اجل مشروعات قوانين موجودة خافوا منها على أهلهم ممكن نطمئنهم وينتهى الأمر ولا تزعل منهم هذا الزعل .. نحن نحبك ونشعر انك تبذل جهدا كبيرا من اجل البلد وبنقول من وراك كلام عيب نقوله فى وشك .. استراح الرجل لهذا الكلام ..

وقلت : سيادة الرئيس انت عاتبت علينا فلتسمح لنا ان نعتب عليك ..

السادات : تفضل

قلت له : أليس الأقباط قطاعاً فى البلد أنت مسئول عنهم فلماذا لا تجلس معهم وتبحث مشاكلهم ؟ أنت بتقعد مع الصيادين والفنانين والطلبة والعمال وناس كتير بتقعد معهم . لماذا لا تقعد مع الأقباط ..؟ عندما تقعد معنا ونحكى لك مشاكلنا بتحلها واحنا بنستريح وانت بتستريح .. اما عندما لا تجلس معنا فالأمور بتكبر وبتتصاعد وبتتعقد .. إيه رأيك لو أنك قعدت معنا ولو مرة كل عام ..

السادات : ماعنديش مانع .. انا موافق وليكن فى عيد الفطر من كل عام .

وبدأ يسود الاجتماع جو من الود وروح الفكاهة والضحك .

وعلق احد اعضاء المجمع المقدس على موافقة الرئيس فقال وتجيب لنا كعك يا ريس .

ضحك السادات وقال : سأجيب لكم كعك !!

وجلسنا نضحك معا وانتهت حالة التأزم الأولى

عندما جاء عيد الفطر .. كان السادات يقوم بزيارته للقدس .. وراح الميعاد !!

وطبعا لم يجلس معنا ولا يوم من عام ١٩٧٧ حتى حادث اغتياله يوم ٦ أكتوبر ١٩٨١ .

● ● ●

نعود إلى موضوع اولادنا فى الخارج . فى الحقيقة ما مدى سيطرتنا على أولادنا فى الخارج .. هناك أقباط مرتبطون بالكنيسة نستطيع ان نؤثر فيهم .. وأقباط لا علاقة لهم بالكنيسة وهم سبب هذا الاشكال . فى وقت من الأوقات كان هناك بعض المصريين فى الخارج عاملين ازعاج ضد مصر ومصر بكل قواتها السياسية لم تفعل تجاههم شيئا فكيف يطالب البابا ان يكون مسئولا عن كل الأقباط فى الخارج ؟!!

وعلى رأى أحد السياسيين الكبار قال : ان السادات بهذا اللوم كأنه يعطى للبابا صلاحيات سياسية بالنسبة للأقباط فى الخارج فى الوقت الذى يلوم عليه التدخل فى السياسة فى الداخل .

اريد ان أوضح نقطة ان كثيراً من اخبار مصر تصل إلى الخارج ـــ احيانا ـــ قبل ان يعرفها المصريون .

صدقنى اذا قلت لك مسألة عجيبة جدا .. فى عيد الميلاد ٧ يناير ١٩٨٠ حينما القيت قنبله على كنيسة سبورتنج وانفجرت قنبلة اخرى فى صاحبها قبل ان يلقيها على كنيسة ثانية بالاسكندرية وهذه الحادثة معروفة وتحدث عنها السادات فى مجلس الشعب فى فبراير من نفس العام . الذى اريد ان اقوله هو اننى صليت عيد الميلاد ولا اعرف شيئا عن هذا الحادث وخرجت من الصلاة حوالى الساعة الثالثة أو الرابعة صباحاً وذهبت لأنام . جاءنى تليفون من أمريكا .

كل سنة وانت طيب

البابا .. وانتم طيبون

إيه حكاية الكنيستين اللتين ضربتا فى الاسكندرية بالقنابل ؟

قلت لهم هو فيه كنيستين ضربتا .. انا لا اعرف حاجة عن هذا الموضوع .

قالوا : لا تعرف حاجة إزاى ؟!!

وصلهم الخبر قبل ان نعرفه نحن فى مصر .

توجد وكالات انباء عالمية تنشر الأخبار .. اذاعات تذيع الأخبار باستمرار .

يعنى ليس وصول خبر من داخل مصر لاذاعات العالم ، ليس معناه ان الأقباط أوصلوه أو ان القيادة الدينية أوصلته لهذه الوكالات العالمية أو الاذاعات فى الخارج .

نحن نسمع اخبارا عن مصر من الخارج قبل ان نعرفها داخل مصر .

وهذا الأمر يحدث فى كثير من الأمور السياسية . ليس فقط فى الاعتداء على كنيسة . هل ننكر وجود وكالات انباء عالمية واذاعات ومراسلون لهم فى كل انحاء العالم وفى مصر . وليسوا ضرورى أقباط مصر وهذا اتهام ليس له ما يثبته !!

• • •

وما معنى الاتهام بوجود ثلاثة اقباط يحاربون مع الماوارنه فى لبنان ضد منظمة التحرير ؟!

هل نستطيع ان نضبط كل مصرى فى الخارج .. وماذا يفعل ؟!

فى وقت من الأوقات كانت هناك اذاعات يديرها مصريون فى بعض بلاد عربية ضد مصر .

هل نستطيع ان نمنع كل شخص فى الخارج ؟

هل استطعنا ان نمنع حكمت ابو زيد .. والشاذلى .. وغيرهما

هل هذا دليل على أن كنيسة مصر وأقباط مصر لديهم معرفة عن هؤلاء الثلاثة الأقباط .. إيه ثلاثة اشخاص .. وما قيمة ثلاثة اشخاص فى سياسة البلد فى الخارج .. وما شأننا بهذا .. وهل نحكم على هذا المستوى ؟!

هل يستطيع البابا أيا كانت قدرته أن يتتبع كل قبطى فى كل بلاد العالم ويعرف ماذا يفعل . ده فى مصر استحالة !!

لماذا يطلب منا ما ليس فى اختصاصنا .. أو ما ليس فى قدرتنا ولا ما ليس فى قدرة الدولة ؟!!

المهاجرون المصريون فى الخارج يمارسون حريات تهبها الدولة هناك .. يقولون ما يشاءون حتى ولو ضد الكنيسة نفسها .. فمن يستطيع ان يضبط اشخاصا فى الخارج .. ومن يستطيع أن يوجههم ويحدد خط سيرهم .. ده يقول المهاجر انا حر .. أقول اللى أنا عايزه ..

كيف يمكن للكنيسة ان تكون مسئولة عن كل فرد فى المهجر ؟!!
هذا أمر غير عملى وليس لديها سلطان بهذا الأمر .
المظاهرات فى واشنطن كل يوم تحدث .. وكل رئيس دولة يذهب إلى الزيارة هناك معارضوه فى المهجر يقومون بمظاهرات ضده !!

• • •

وعندما بدأ السادات يتحدث معنا فى اجتماع القناطر عن الرئيس كارتر قلت له : سيادة الرئيس إحنا عندنا نص فى الانجيل يقول : « ملعون كل من يعتمد على ذراع بشر » .. فنحن لا نعتمد على ذراع إنسان أيا كان هذا الإنسان .. لا كارتر .. ولا غير كارتر .

ثم عاتبنا الرئيس عن مسألة الصوم باعتباره محاولة لإثارة الناس .. كنا قد صمنا ٥ أيام فى أواخر أغسطس .

قلت للرئيس السادات : يا سيادة الرئيس .. صومنا عبادة وليس سياسة .. هو صوم موجه إلى الله وليس موجهاً إلى الناس .
فسكت !!

المهم خرجنا من هذه الجلسة بعد أن قلنا للرئيس كل حاجة عن احوالنا ومعاناتنا ولا داعى لذكر التفاصيل التى حكاها كل اسقف على حدة .. ووعدنا السادات بأمور كثيرة .. ولكنه لم ينفذ شيئاً .

كان السادات يشعر أن الأقباط تعانين من أمور ولكنه لم يكن يحل شيئا على الأطلاق .. فى نفس الوقت كانت فيه الأحداث تتصاعد والجو يتكهرب .. !!
وكان السادات بيتهمنا بأننا بنصعد الأمور .

● ● ●

يتوقف قداسة البابا شنوده لحظات يفكر فيها بعمق .. ثم يسترسل فى الحديث فيقول : اتذكر عندما زارنى اللواء حسن ابو باشا وزير الداخلية فى عهد الرئيس مبارك عندما كنت محاصراً فى الدير بوادى النطرون .. قلت له : هؤلاء الناس الذين بلغت بهم الجرأة أن يغتالوا رئيس الجمهورية علنا وأمام قواته المسلحة وأمام أجهزة الإعلام والتصوير .. هل تستكثر عليهم ان يقتلوا كاهنا أو يحرقوا كنيسة ؟!

قال ابو باشا : معلش .. دى حاجات قديمة :

قلت له : صدقنى .. شكوانا إلى الرئيس السادات كانت نوعا من جرس إنذار نقول له فيه خطر يحيط بنا لو أنه قد أخذ شكوانا محمل الجد دون أن يثور ويملأ الدنيا ضجيجا كان قد انقذ نفسه من القتل لأن زعماء عملية المنصة الذين قتلوه

هم الأشخاص الذين اشتركوا فى الأحداث السابقة بدليل واحد زى عاصم عبد عبد الماجد الذى كان زعيما للطلبة فى اسيوط .. والرئيس السادات اعترف بالاعتداءات على الطلبة فى اسيوط عندما زار الجامعة فى ١٤ و ١٥ أبريل عام ١٩٧٩ وقعد يذيع قائمة فلان اعتدى على فلان وفلان اعتدى على فلان لدرجة ان بعض المحيطين به قالوا له يا ريس انت بتتكلم على الهواء فقال السادات يجب أن اصارح الشعب وانت سامعنى يا محمد .. (يقصد محمد عثمان محافظ اسيوط) .

ولم يفعل شيئا . ذكر اعتداءات كثيره .. ولم يفعل شيئا .. ولم يقبض على أحد . وزعيم الطلبة عاصم عبد الماجد هو احد الذين تم القبض عليهم فى قضية مصرع السادات واخذوه للتحقيق مصابا على نقاله مما يدل على اشتراكه فى الاحداث .

ولكن السادات لم يفعل شيئا تجاهه فأسرع بالاشتراك فى عملية اغتياله .

كان السادات يسمع .. ولا يعمل شيئا !!

ويتذكر البابا اعتداءات اخرى وقعت ضد الأقباط فيقول : جاء الاعتداء الأخير على الطلبة فى جامعة الاسكندرية وقع اعتداء فى الثانية والنصف بعد منتصف الليل بالمدينة الجامعية الجديدة . النبوى اسماعيل وزير الداخلية قال : ان الطلبة كانوا بيسمعوا راديو ولهذا السبب وقعت الاحداث هل هناك راديو بعد الساعة الثانية والنصف بالليل فى المدينة الجامعية . طبعا « كلفتوا » الموضوع دون اخذ أى إجراء بل وقع اعتداء على الدكتور شلبى عميد كلية العلوم بالاسكندرية وافسدوا سيارته وحاصروا مكتبه وأهانوه وبعد ساعتين ثلاثة من هذا الحادث المؤسف دخل رجال البوليس وقالوا امكننا اقناع امير الجماعة بالافراج عن الدكتور العميد !! الافراج عن الدكتور العميد !! .. والأفراج من مين .. ؟!! .. من امير الجماعة !!

الأمور كانت بتتصاعد والاعتداءات تقع على الاقباط دون عقوبة أو ردع الاستهانة بالاساتذة والعمداء ثم بعد ذلك الاستهانة برئيس الجمهورية .

ويضيف البابا شنودة قائلا : ثم احداث عام ١٩٧٨ كانت احداث هذا العام صعبة للغاية اسفرت عن مقتل قسيس فى قرية التوفيقية مركز سمالوط وولدين فى مركز قويسنا ولم يأخذ السادات أى إجراء ولا قضية ولا تحقيق مع المعتدين وممكن تقييد الأحداث ضد مجهول .

الأمور كانت تتصاعد بسرعة وإذا احتج الأقباط يقال : ان احتجاجهم نوع من تصعيد الأمور ونوع من التدخل فى السياسة ونوع من تشوية سمعة البلد إلى آخر هذا الكلام .

ويقول البابا : جاء وقت علي السادات لم يكن يحتمل فيه أى معارضه حتى الذين كانوا يعارضون فى مجلس الشعب أخرجهم وطردهم من المجلس .

وبدأ يقضى على الاحزاب السياسية حتى التى صرح لها بالوجود فى البداية قضى عليها .. الناصريين ثم الشيوعيين والتجمع ثم الوفديين وبعد ذلك حزب العمل الذى اعتبره حزبا معارضا ومع ذلك لم يعطه فرصة للمعارضة وعندما وجده يعارض أخذ منه موقفا ومن كثير من زعمائه فادخلهم السجن .. والمستقلون الذين كانوا يعارضون ويحتجون كان يلغى عضويتهم ويطردهم من مجلس الشعب والمحامون عندما اخذوا منه موقفا حل مجلس النقابة وبدأ يعمل قانونا جديدا لهم ..

ولم يبق امامه إلا الأقباط – آخر جبهة – فقال اشمعنى .. !!

● ● ●

قال قداسة البابا : الأقباط طوال التاريخ .. طوال عمرهم كانوا مواطنين مصريين مخلصين لمصر وضد أى اعتداء اجنبى على مصر . نتذكر ان الأقباط وقفوا إلى جوار اخوانهم المسلمين أيام صلاح الدين الأيوبى فى الحروب الصليبية ولم يعتبروا

ان هؤلاء الصليبيين مسيحيون مثلهم وإنما اعتبروا انفسهم مواطنين مصريين فانضموا إلى اشقائهم المسلمين وهذا الأمر يتحدث عنه كل الناس ولا داعى للاستفاضة فيه .

واتذكر انني منذ عامين كان هناك احتفال بذكرى موقعة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين الأيوبى على الصليبيين واسترجاعه بيت المقدس . طُلب إلىَّ المشاركة فى الاحتفال فحضرت وألقيت كلمة عن بطولة صلاح الدين الأيوبى ووصفت الصليبيين بأنهم مستعمرون محتلون ولقب صليبيين لا يصلح ان يطلق عليهم لأنهم لا علاقة لهم بالصليب اطلاقا فهؤلاء ناس سياسيين .. مستعمرين .. أجانب .. فرنجة .. قل عليهم زى ما تقول ولكن لا يستحقون ان نطلق عليهم لقب الصليبين .. بدليل انهم هاجموا المسيحيين .. هاجموا امبراطور المجر لانهم ارادوا احتلال بلاده .. وهاجموا امبراطور الدولة الرومانية الشرقية فى القسطنطينية واستولوا عليها .. كما استولوا على بلاد وامارات منها امارة الرها وامارة طرابلس وغيرها . ولا علاقة لهذه الأراضى التى احتلوها بالاراضى المقدسة .

● ● ●

ويستطرد البابا قائلا : وأثناء الثورة العرابية كان للأقباط دور كبير بانضمامهم إلى الزعيم احمد عرابى فى حركته الثورية وتبرعهم للحركة .. وجهادهم فى سبيلها .

ايضا فى ثورة ١٩١٩ شارك الأقباط فى الثورة وانضموا إلى الزعيم سعد زغلول وقد كانت نسبة الأقباط الذين تم نفيهم كبيرة جدا وكذلك الذين اعتقلتهم سلطات الاحتلال الانجليزى .

وحاليا لا نستطيع ان نجد واحدا من الأقباط يقف ضد بلاده صعب أن نجد هذا لأننا كلنا مصريون ندافع عن وطننا مصر . ولا يوجد تفريق فى الوطنية بين قبطى ومسلم ولكن يوجد شىء واحد اسمه مصرى .. يجمع بين الأثنين معا .

وقد كانت مساهمة الأقباط فى الحياة السياسية على قدر ما يستطيعون وما يتاح لهم .. ولكن عندما لا ينجحون فى الانتخابات ولا يدخلون مجلس الشعب بالتعيين .. إلا إذا تم وضعهم فى مراكز متقدمة فى قوائم الاحزاب لتتاح لهم فرصة نجاحهم .

فى الواقع لو الأقباط قد اعطوا فرصة كاملة ليْس لغرض سياسى للاشتراك فى الحياة العامة .. فى كل مؤسسة من مؤسسات الدولة .. المسيحيون بجانب المسلمين .. هذا الأمر يوجد روحا من الود والمحبة وتعطى صورة امام العالم انه لا يوجد تجاهل للأقباط فى مصر وتعطى صورة للشعب أن الدولة لا تتجاهل الأقباط باعتبارهم مواطنين مصريين .. هذه الأشياء لغرض الوحدة الوطنية وتدعيمها وليس لغرض الحقوق السياسية بمعنى عندما يوجد فى مجلس الشعب عشرون أو ثلاثون منهم عضو أو مسيحيان هل سيغيرون فى سياسة المجلس ابدا .. ولكن سيوجد روح وتأثير فى الشعب وفى الخارج من ناحية ويوجد تأثير كبير لدى الأقباط أولا .. وثانيا بأن الدولة لم تتجاهلهم وأنهم ابناء الوطن وأنهم يشتركون فى سياسة البلد .

● ● ●

ثم وجهت سؤالا للبابا حول قرار السادات بإلغاء القرار الجمهورى بتعيين البابا عام ١٩٧١ وتحديد اقامته فى دير وادى النطرون .. هل كان لهذا القرار سابقة تاريخية ؟!

قال قداسة البابا شنودة : حدث فى بعض الأوقات خلاف داخلى بين الأقباط وبين رئاستهم الدينية كان بسببها البطريرك يذهب إلى الدير .

ولكن لم يحدث مثل ما فعل السادات لأنه حاصر البابا بقوة عسكرية كبيرة احاطت بسور الديرين .. دير الأنبا بيشوى .. ودير السوريان المتجاورين فى وادى النطرون . وألقى ببعض الأساقفة فى السجن بلا تهم معينه . هذه أمور لم تحدث

من قبل مطلقا . وفى نفس الوقت الذى كان فيه البابا فى الدير محاصراً لم يكن هناك أمر سياسى رسمى .. ولا قرار بالتحفظ .. ولا قرار بالاعتقال .. ولا قرار بتحديد الاقامة .. بل لم يكن اسم البابا شنودة ضمن قائمة الذين شملهم قرار التحفظ عليهم . إنما اخذت تلك الإجراءات كإجراءات بوليسية لا يسندها قرار على الاطلاق .

وبدأ السادات يستخدم اجهزته الداخلية فى توجيه تهم معينه لنا لم تكن قائمة وبلا دليل .. ولا اعرف لها وجوداً .

ويتوقف البابا قليلا .. يستغرق لحظات فى تفكير عميق ثم يواصل حديثه فيقول : القرار الذى ذكره السادات بأن ألغى قراره الجمهورى بتعيين البابا قرارا لم يسبق له مثيل اطلاقا لان السادات ليس هو الذى يعين البابا .. هناك لائحة لانتخاب البابا البطريرك .. قانون من قوانين البلد . فيها انتخابات .. وفيها قرعة هيكلية .. وفيها اجراءات معينة بعد ان تتم هذه الاجراءات لتحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة يصدر القرار بالتعيين . وبالنسبة لى .. القرعة الهيكلية اجريت فى ٣١ اكتوبر ١٩٧١ وصدر القرار باعتبارى بطريرك للاقباط والكرازه المرقسية فى اول نوفمبر ١٩٧١ ومع ذلك لم يعتبر الأنبا شنودة بطريركا اطلاقا لانه لابد من الرسامة الرسمية والشعائر الدينية وبدونها لا يصير بطريركا . وبالرغم من ان القرار الجمهورى كان قد صدر فى اول نوفمبر إلا ان الرسامة تمت فى ١٤ نوفمبر وبالرسامة يصبح البطريرك بطريركا والذى يجعل البطريرك بطريركا - كما قلت - هو الشعائر الدينية الرسمية التى يقوم بها المجمع المقدس لرسامة البطريرك اسمها عملية التتويج أو جلوسه على كرسى البطريرك . بغير هذا لا يصير البطريرك بطريركا ولا يعتمد على قرار حيث ان القرار الجمهورى لا يجعله بطريركا ولكنه يحدد علاقته بالدولة وفى حالة غياب البطريرك فى اجازة ينيب عنه وكيله .

قلت لقداسة البابا .. وما رأيك فى اللجنة البابوية التى شكلها السادات ؟

قال البابا : اللجنة البابوية فى حد ذاتها تسمية خاطئة لان اللجنة البابوية هى اللجنة التى يشكلها البابا ، وتنوب عنه ، وليست لجنة تشكل من غيره . فهذه

اللجنة الخماسية كانت لها شرعية مدنية من جهة الدولة ، ولم تكن لها شرعية كنسيه . وقد بذلت جهود كثيرة للحصول على هذه الشرعية وفشلت !! ولم تحظ هذه اللجنة لا برضى الاقباط ولا المجمع المقدس .

وبالرغم من صدور قرار السادات واجراءاته فى سبتمبر ٨١ ظل الاقباط يعتبرون البابا شنودة هو بطريركهم الرسمي ويصلون ويذكرون اسمه فى الكنائس وكأن شيئا لم يحدث !!

● ● ●

البعض رفع دعوى قضائية امام محكمة القيم للتظلم من الاجراءات – وطبعا البابا لم يكن بامكانه حضور المحكمة لانه محاصر فى الدير – ولم تنظر المحكمة القضية . قيل ان البابا ليس ضمن من شملهم قرار التحفظ وبالتالى غير موجود فى المحكمة .

والاجراءات التى اعلنها السادات فى ٥ سبتمبر ٨١ كان قد نفذها قبل يومين وكان يوم ٥ سبتمبر مجرد إعلان . ولم تكن ضدى فقط ولا ضد الاقباط بل شملت الجميع ، كان فيها أساتذة الجامعة والصحفيون ورجال الدين الاسلامى ورجال الدين المسيحى .. كان فيها كثير من الزعماء السياسين لاحزاب المعارضة .. كان فيها كل القيادات التى شعر السادات انها تعارضه ان لم تكن تؤيده وقذق بهم فى السجون حتى من كانوا بالامس اصدقاءه ووزراءه واجرى عليهم استفتاء . ولا شك ان الاستفتاء لم يكن يعبر عن ارادة الأمة لان كثيرا من الجماهير لم تذهب للأدلاء بأصواتها .

ولقد كان معروفا فى تلك الأوقات ان البعض كانوا يتهمون السادات باتخاذ هذه الاجراءات والبعض الآخر كانوا يتهمون وزير الداخلية السابق – النبوى اسماعيل – وفى كل قصة لاندرى من مؤلفها ومن مخرجها !!

بعض الناس اذا وجدوا الرئيس السادات متجها اتجاها معينا كانوا يحاولون بكافة الطرق ان يوصلوه الى مأربه ليثبتوا اخلاصهم له .

المسألة عند السادات كانت مسألة التوازن .. وهى من ضمن المشاكل التى سار عليها السادات حتى فى مسألة التحفظ فى سبتمبر ٨١ تحفظ على بعض شيوخ المسلمين وبعض رجال الدين المسيحى .. الغى مجلتى الدعوة والاعتصام الاسلاميتين وفى مقابلهما مجلتى وطنى والكرازة القبطيتين . اثنين .. فيه توازن . حتى فى بعض الاحيان حينما كان يقبض على بعض السلمين لابد ان يقبض على بعض الأقباط .

قرارات سبتمبر لم تكن موجهة ضد الاقباط كأقباط إنما كانت ضد كل القيادات الموجودة فى البلد بحيث ان السادات من ظنهم يعارضونه أو على الاقل لا يؤيدون سياسته وضعهم فى السجن .

ولذلك احد الكتاب اعتبرها ثورة لا تقل عن ثورات مصر السابقة وانها اخطر من قرار حرب اكتوبر على اعتبار انه - أى السادات - قد قبض على القيادات التى ظن انها لا تؤيده بل تعارضه .

فى كثير من الاحيان كان يحدث ان يقبض على الجانبين .. وكان السادات يقول : « فيه متعصبين من هنا ومتعصبين من هناك » .

وبدأ السادات ينشر هذا الفكر بلا دليل أو اثبات .

لكن المسألة كانت مسألة توازن .

كانت مشكلة السادات هى البحث عن الذات .. ذاته هو فقط !!

● ● ●

سألت البابا شنودة .. كيف استقبلت قرار السادات بتحديد اقامتك فى دير الأنبا بيشوى بوادى النطرون ؟

قال البابا : انا جئت الى الدير قبل القرارات بأسبوع .. وكان السادات قد هدد كثيرا بمثل هذه الأمور وكان أمرا متوقعا ان يعمل شيئا ضدى .. مع انه لم يحدث اى شىء منا يدعو الى هذا وفجأة بالليل تمت محاصرة الديرين بوادى النطرون بقوات عسكرية لمنع خروج البابا أو الاتصال بالشعب القبطى . ولكن انا شخصيا احب الدير وأحب البقاء فيه وعندما كان أحد يسألنى كنت اقول له انا اشعر فى الدير بأننى مثل انسان مسجون فى الجنة . كنت اعيش فى الدير .. وكنت أحب حياة الوحدة ولكننى مع ذلك كنت لا اكتفى بالوحدة فى الدير .. سكنت فى مغارة بأحد التلال القريبة من الدير على بعد ثلاثة كيلو ونصف الكيلو متر فأخذت مغارة أخرى على بعد اكثر من ١٠ كيلو وأقمت فيها وكانت تمر على اسابيع طويلة لا ارى فيها وجه انسان فى المغارة .. أجد لذتى فى الوحدة .. فى القراءة .. فى الهدوء .. فى الصلاة .. فى العبادة .

ويستطرد البابا قائلا : سألنى انسان ما الفرق بين المغارة والدير ؟! قلت له الفرق بين الدير والعالم .. كالفرق بين المغارة والدير ولكن الفرق الاساسى هو ان الانسان فى المغارة يملك الاربعة والعشرين ساعة كاملة ولكن فى الدير يقضى بعض الوقت فى استقبال الزوار والاتصال بالرهبان .. يعيش وحدة جزئيه فى مجتمع صغير .. أما فى المغارة وحدة مطلقة كنت أجد لذة فيها .

فى فترة وجودى بالدير محاصراً بقوات عسكرية انتهيت من تأليف ستة عشر كتابا جديدا .. وكانت هناك بعض كتب اخرى تحتاج الى اصدار ومحاضرات كثيرة لم تنشر .. احيانا كنت ادعو الله ان تمتد هذه الفترة بعض الوقت حتى انتهى من تأليف بعض الكتب . وطبعا الذى يؤلف كتباً جديده معناه ان نفسيته مرتاحة تماما وروحه المعنوية عالية .

● ● ●

هل كنت تتوقع عدول السادات عن هذا القرار ؟

اجاب البابا قائلا : السادات كان فى حالة نفسية سيئة .. كل اصدقائه كانوا

يشعرون انه فى العام الأخير من حياته كان فى حالة نفسية سيئة .. ربما السادات كان يتطلع الى اجراءات صعبة وليس الى حلول لمشاكلنا أو متاعبنا .

فى أكثر من مرة قيلت لى هذه العبارة .. قالها وزير الداخلية ومرة قالها لى مسئول كبير فى المباحث العامة .. كما قالها لى مدير أمن الجيزة .. العبارة هى : « صدقنى هذه الحراسة لك وليس عليك . قلت لأحد هؤلاء سأقول لك الفرق بين الحراسة التى لى والحراسة التى على .. واذا كان هناك اختلاف فى وجهات النظر فلنتناقش .. الحراسة التى لى تحرسنى حينما اذهب والحراسة التى على تمنعنى من الحركة ولو انى لااعرض نفسى لهذا الأمر .

ويستطرد البابا فى حديثه فيقول : تصور - مثلا - ما قاله عن أولادنا فى الخارج عندما ذهب الى الولايات المتحدة وزعوا منشورات ضده .. وإن هذه المنشورات طبعت فى القاهرة وطارت الى امريكا .. وللرد على هذا الاتهام ما يلى :

اولا : ان امريكا لا ينقصها آلات الطباعة الحديثة ولا الورق ولا اللغة الانجليزية السليمة .

ثانيا : لو ان هذه المنشورات قد طبعت فى القاهرة فكيف تسربت الى الخارج ولماذا يلجأون الى هذه « اللغة » الطويلة .. ومفروض ان يعرف الرئيس اصحاب المطابع التى طبعت هذه المنشورات فى مصر ويحاكمهم .. كان لا يوجد إلا شكوكه الداخلية واتهاماته التى لا ترتكز على اى اساس .

كان السادات يطلق الكلام بلا اثبات أو دليل .. مجرد تهم والعجيب الذى لا يقبله عقل ان السادات وقف فى مجلس الشعب لمدة ساعتين يوجه للكنيسة والبابا اتهامات كثيرة وبعدها يطلب من المجلس تكوين لجنة لتقصى الحقائق .

يا سيادة الرئيس تقصى الحقائق أولا ثم اعلن الخبر على الجمهور ولكن بعد ان تملأ الدنيا اتهامات تقول نعمل لجنة تقصى الحقائق .. ولعل تنتظر من لجنة تقصى الحقائق ان تقول ان كل ما قاله الرئيس خطأ .. !!

ومع ذلك لم تصدر لجنة تقصى الحقائق أى نتائج .

نقطة اخرى .. فى احدى المرات كنت اتحدث مع رجال الداخلية فقلت الذى اثار الفتنة هو السادات نفسه لأن رئيس الجمهورية وقف يتهم الكنيسة والبابا ساعتين متواصلتين على الهواء مباشرة ويقول .. عندى الأدلة بيتأمروا بقى لهم سبع سنوات وأنا ساكت « .. ده لو صدقه الناس كانوا قاموا علينا وفتكوا بنا فى الشوارع ولكن بعد ان القى البيان فى ١٤ مايو عام ١٩٨٠ لم يحدث ان مسلماً واحداً تحرك ضد الكنيسة أو ضد أحد من رجال الدين المسيحى ولم يصدقه أحد !!

● ● ●

هل كان السادات يلجأ الى تفجير الفتنة الطائفية لتغطية فشله فى سياسته الداخلية أو الخارجية ؟

أجاب قداسة البابا قائلا : انا لا اعلم ماذا كان هدفه ؟! ولكن السادات كان لا يقبل إلا المادحين .. ولا يقبل كلمة نقد واحدة .. وربما تشبع بروح انتقام شديدة .. وشعر كأنه فى خطر من كل الاتجاهات التى وقفت ضده فأراد ان يقضى عليهم قبل ان يقضوا عليه سياسيا .

لقد شعر السادات بعزلة سياسية مرت به كما ذكرها محمد حسنين هيكل فى كتابه « خريف الغضب » بانه شعر فى السنوات الأخيرة بهذه العزلة السياسية فلم يجد أحداً بجواره .. وجد نفسه فى عزلة من ناحية العرب .. وعزلة من الاحزاب السياسية التى ألغاها .. وعزلة من الاشخاص الذين أخرجهم من مجلس الشعب .. وعزلة من جهة رجال الدين .. ومن ضمن الاشياء التى اثرت فى الكثير من الشعب حينما تكلم عن الشيخ المحلاوى – وهو واعظ مشهور له محبوه – فقال : « بأنه مرمى فى السجن زى الكلب » .. فتضايق الناس من ان السادات يصف شيخا من رجال الدين الاسلامى بهذا الاسلوب .!!

كان اسلوبه فى السنوات الآخيرة يحمل الاهانة لأى شخص مهما كان كبيرا - بلا مبالاه - فأوجد نوعا من السخط العام .!!

والاقباط فى كل مرة يتحدث فيها السادات فى الاذاعة والتليفزيون كانوا متخوفين أن يمس البابا أو الكنيسة بشىء .. نفس الاسلوب اسلوب غير مقبول ولا استطيع ان اقول عليه اكثر من هذا .!!

• • •

قداسة البابا .. اننا نعلم ان السادات كان قد استقبل من الاقباط فى الولايات المتحدة استقبالا صاخبا اكثر من مرة .. هل كانت هذه الاستقبالات بايعاز منك كما ذكر ذلك السادات .. وهل كانت هذه الاستقبالات مدبرة ام كانت تلقائية ؟

قال قداسة البابا : انا لا اعرف شيئا عن هذا الأمر ولكن ينبغى ان نعلم تماما ان كل الأخبار التى تحدث فى مصر تنتقل بسرعة وفى نفس الوقت الى جميع انحاء العالم .. واحيانا نسمع اخبارنا من اذاعات العالم قبل ان نعرفها فى مصر .. فلا داعى اطلاقا أن ينسب للبابا أى حدث يقع .. هذا اول رد على هذه التهمة .

نحن لا نستطيع ان نمنع أحداً من ردود الأفعال .. هناك اشخاص فى الخارج ينفعلون بما يحدث فى مصر وخصوصا ادا كان السادات لم يأخذ اى اجراء ضد الاعتداءات التى وقعت على الاقباط .

وسائل الاعلام فى مصر وطريقتها فى تغطيه الاحداث داخل مصر لم تقنع الناس فى الخارج .. والاخبار تنتقل الى الخارج وتترك تأثيرها على المصريين فى الخارج فينفعلون بها .

ومع ذلك عندما تكلم السادات عن هذا الأمر ارسلت بيانا الى الخارج قلت فيه ان الهيئات القبطية التى اشتركت فى هذه الأمور اسلوبها غير روحى وغير دينى

ونحن لا نوافق على هذا الكلام اطلاقا . هذا البيان كان فى أول يونيو أو يوليو ٨٠ اتذكر عندما كان السادات فى زيارة لامريكا فى اغسطس ٨١ قبل قرارات سبتمبر . ارسلت الى كهنتنا فى امريكا وأمرتهم بأن يقابلوا السادات ويحتفلون به . وارسلت اثنين من الاساقفة لكى يقابلا السادات ويحتفلا به .. هما الأنبا صموئيل والانبا يؤانس .. فرح السادات بهذه اللقاءات جدا وقال ان الكهنة الاقباط قابلونى « ابلة طيبة ونشرت صورته معهم فى الصحف . وكنا نطمن ان المسائل فى دور الحل وفوجئنا مما حدث فى ٥ سبتمبر ١٩٨١ .

ماذا كان يعمل من أجله أكثر من هذا ؟!!

وطبعا لم يكن ممكنا ان الكهنة يقابلوه واثنين من الاساقفة يذهبان الى امريكا ليحتفلا به فى امريكا إلا بأمر منى !!

والاقباط يعجبون جدا من ان هذه القرارات تحدث بعد هذه الاستقبالات واللقاءات وبعد الحديث بينى وبين مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المصور الذى حضر الى فى اواخر اغسطس عام ١٩٨١ قبل قرارات السادات بأسبوعين - وكان السادات فى ذلك الوقت على ما اظن - فى امريكا .

ولكن المسألة كانت مسألة التوازن !!
القبض على المسلمين والاقباط .

اى قبل احداث اغتيال السادات بأكثر من عام .

ويفكر البابا قليلا .. ثم يذكر فيقول : اذكر عندما سافر السادات الى الولايات المتحدة فى ابريل ٧٧ قبل زيارتى لها بعشرة ايام .. من أولى الكلمات التى قالها الرئيس كارتر بعد استقباله لى : ان السادات تحدث معى عنك مشيدا بك جدا . «President Sadat spoke very highly about you» اذا كان الرجل قد تكلم عنى كلام كويس مع الرئيس كارتر فى ابريل ٧٧ وبعدها بثلاث سنوات قال عنا : « دول بيعملوا مؤمرات من سبع سنوات .. ما معنى ومغزى هذا الحديث عنى مع كارتر بهذه الاشادة وبهذا الاسلوب ؟!!

وهذا يثير تساؤلات عديدة :

أولا : الى اى مدى يكون البابا مسئولا عن تصرفات الاقباط خارج مصر .. هل هو كان رقيبا على كل انسان فى الخارج .. هل يستطيع ان يحكم الذين يذهبون الى الكنيسة والذين لا يذهبون اليها .. فى كل مكان يوجد من يؤيد .. ويوجد من يعارض .

ثانيا : هل تستطيع الكنيسة ان تكمم افواه الناس وتقييد ألسنتهم واقلامهم فى الخارج .. فى امريكا .. فى البلد الذى يستطيعون فيه انتقاد رئيس الدولة .. مش معقول ؟!!

ثالثا : نحن نستطيع ان ننصح ولكننا لا نستطيع ان نجبر أحداً .. ومع ذلك ارسلت توجيهاتى الى جميع كنائسنا فى الخارج بالالتزام وعدم التحدث فى الشئون السياسية . كل كنيسة لها مجلة تعبر من رأيها وهذه المجلات تصدر شهريا تتضمن معلومات دينية من الكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة واخبار وكلام روحى ولم يحدث فى يوم من الايام ان احدى هذه المجلات المعبرة عنا رسميا تحدثت عن السياسة فى مصر أو انتقدت أوضاعا دينية معينة .. لم يحدث هذا على الاطلاق .

وسألت قداسة البابا عن زياراته التاريخية للولايات المتحدة وماحققته من اهداف وماذا دار بينه وبين الرئيس الامريكى جيمى كارتر فى لقائهما بالبيت الابيض ؟

اجاب قداسة البابا : كانت هذه الزيارة هى اول زيارة لبابا الاسكندرية لأمريكا .. لان البابوات انتقلوا من هذا العالم قبل ان تكتشف امريكا وايضا البطاركه الذين عاصرناهم لم تكن قد تأسست فى عهودهم كنائس لنا فى امريكا .. كذلك هجرة الاقباط حديثة جدا .

كان أول هدف لزيارتى لامريكا زيارة كنائسنا هناك .. كما كان لها هدف رعوى روحى والاشراف على الكنائس .. قوبلت فى امريكا مقابلة طيبة جدا من الناحية

السياسية ودعيت لالقاء محاضرات فى كثير من الجامعات والمعاهد وكل بلد كنت اقوم بزيارتها كانت قيادتها الدينية وعمدة المدينة فى استقبالى .. كانت الزيارة طيبة جدا لدرجة ان مدينة كيليفين اعتبرت مدينة الاسكندرية مدينة شقيقة . كذلك احدى المدن اعطتنى حق المواطنة وكثير من المدن الامريكية سلمتنى مفاتيح مدنها ..

وعندما تحدد ميعاد مقابلة الرئيس الامريكى جيمى كارتر طلبوا منى ان أحدد الذين أرغب فى مرافقتهم لى اثناء لقاء الرئيس الامريكى . قلت لهم أرغب فى حضور الدكتور اشرف غربال سفيرنا فى واشنطن والانبا صموئيل .

وقبل ان اذهب للقاء الرئيس الامريكى ذهبت الى السفارة المصرية فى واشنطن واصطحبت السفير المصرى فى سيارتى ..

كان اللقاء طيبا للغاية . وظهرنا امام رجال الاعلام والمصورين لأخذ الصور التذكارية .

وكانت كلمات التحية التى قالها لى الرئيس كارتر من ان الرئيس السادات قد اشاد بى وتحدث كارتر عن تعداد الاقباط فى مصر مشيراً الى انهم قد بلغوا سبعة ملايين نسمة .

ثم سألنى الرئيس كارتر : انت كتبت عن اليهود ؟

قلت له : نعم .. وقلت فى هذا الكتاب الذى الفته .. ان اليهود ليسوا شعب الله المختار .. صحيح انهم كانوا فى العهد القديم شعباً مختاراً لان منهم ظهر الانبياء وانهم كانوا فقط الذين يعبدون الله دون سائر العالم - الذى كان فى ذلك الوقت وثنيا - وحتى لا يتأثرون بالوثنية حصرهم الله فى ارض معينة لا يتعاملون مع الشعوب الوثنية .. أما الأن وبعد ان انتشر الايمان فى كل ارجاء العالم كله .. فمن غير المعقول ان ربنا يترك آلاف الملايين الذين يعبدوه علشان يختص ثلاثة أو أربعة ملايين فقط !!

ثم قلت للرئيس كارتر ضاحكا : اذا كان اليهود حتى الأن هم شعب الله المختار

فلا أنا ولا انت من هذا الشعب المختار لاننا لسنا يهودين !!

فضحك الرئيس كارتر .

وتكلمنا عن الكنيسة القبطية وقلت ان بيت مار مرقص فى اورشليم . كان اول كنيسة فى العالم .

فقال لى الرئيس كارتر مستفهما : صحيح ؟!!

قلت له : تجدها فى سفر الاعمال الصفحة الثانية عشرة الآية الثانية عشرة عندما خرج بطرس الرسول من المسجد وذهب الى بيت مريم أم يوحنا الملقب مرقص حيث كان المؤمنون مجتمعين للصلاة .

قال الرئيس كارتر : سأراجعها بنفسى

وعندما زار كارتر مصر فى العالم الماضى قام بزيارتى ووجه لى دعوة لزيارته فى ولاية جورجيا الامريكية .

انتهزت فرصة زيارتى للولايات المتحدة فقمت بزيارة الدكتور عصمت عبد المجيد مندوب مصر فى الامم المتحدة فى ذلك الوقت وهو رجل لطيف وممتاز .. كما زرت الدكتور اشرف غربال والقنصل العام الذى اقام حفل استقبال لى تحدثت فيه عن مصر وامجادها وتاريخها وتأثيرها على العالم فى مجالات العلوم والفنون .

● ● ●

نعود الى قضية الوحدة الوطنية .. سألت قداسة البابا شنوده .. هل حدث خلل للوحدة الوطنية نتيجة لقرار السادات وهل يمكن علاجه على المدى القريب والبعيد ؟

قال قداسة البابا : لم يحدث خلل للوحدة الوطنية نتيجة لقرارات السادات ولكن

الخلل حدث نتيجة لاجراءات السادات قبل هذا القرار .. احاديثه الكثيرة ضد الكنيسة .. وتكرار هذا الكلام فى الاذاعة والتليفزيون جعل البعض يصدقون والبعض الآخر يشككون أو يستغلون هذا الكلام الى جانب عدم اتخاذه اى اجراء لوقف الاعتداءات على الاقباط .. كل هذه الأمور السابقة للقرارات .

ولكن قرارات السادات ثبتت الوحدة الوطنية ودعمتها اكثر لانه لم يهاجم الاقباط فقط بل هاجم المسلمين ايضا فكانوا يجتمعون معا فى السجن بالألفة واتذكر حينما كان الشيخ عمر التلمسانى مريضا زاره القس صموئيل ثابت وكان يعنى به فى مرضه .. الجميع شعروا بأن القرارت لم تكن سليمة فالحكم المشترك أوجد شيئا من التقارب ولذلك عندما عدت من الدير زارنى الشيخ عمر التلمسانى وبعض من اخواننا من الاخوان المسلمين .. وكانت جلسة طيبه ..

وعندما سافر الشيخ التلمسانى الى المانيا للعلاج ارسلت معه خطابا الى الاقباط فى المانيا للاهتمام به علاجه .. وقلت لهم ارجو اعتباره كشخصى .

وكان هذا تقليد جديدا فى العلاقة الطيبة بين الاقباط والمسلمين لان الاقباط عندما يتكلمون عن المرشد العام للاخوان المسلمين بهذه اللغة فهذا شىء جديد .

وعندما توفى الشيخ عمر التلمسانى ارسلت من يشترك فى تشييع الجنازة ثم زارتنى اسرته والمرشد العام الجديد فضيلة الشيخ ابو النصر ليشكروننى على التعزية .. ثم زارنى الشيخ حامد ابو النصر اكثر من مرة .. والحفلات التى اقيمها ويحضرها المستشار مأمون الهضيبى والاستاذ سيف الاسلام حسن البنا أوجدت جوا صحيا غير الجو السابق .

أما التطرف الارهابى فلا يستطيع أحد أن يتعامل معه لانه موجه ضد الجميع .

قرارات السادات كانت عنيفه .. وغير مبنيه على اساس .

عندما وجدت صراحة قداسة البابا شنودة فى كل اجاباته شجعنى هذا بل ودفعنى الى أن أوجه الى قداسته سؤالا مثيرا وقد يكون مستفزا .. قلت له اعلن السادات فى احدى خطبه العامة ان هناك مؤامرة من رجال الدين المسيحى لانشاء دولة مستقلة للاقباط فى اسيوط .. وكان يتردد فى هذا الوقت ان هناك عمليات تخزين للاسلحة والذخائر فى بعض المخازن السرية بالأديرة والكنائس .. ما هى الحقيقة فى هذه التهمة ؟

أجاب قداسة البابا بصراحة المعهودة فقال : فى الواقع ان هذا الكلام اذا أخذ على محمل الدعاية والفكاهة يكون ايضا غير معقول لهذه الاسباب الأتية :

أولا : ان السادات لم يقل ان الاقباط يريدون تكوين دولة فى اسيوط وإنما قال ان قداسة البابا كيرلس السادس الله يرحمه حينما زار الحبشة (اثيوبيا) عرضت عليه هدد الفكرة فغضب وسافر مباشرة .

عندنا جواز سفر « الباسبور » الخاص بالبابا كيرلس الذى يؤكد انه سافر وقضى فى الحبشة اربعة عشر يوما أكثر من المدة المقررة وقد استقبله امبراطور الحبشة بكل اكرام وترحيب .. واطلقت المدفعية احدى وعشرين طلقه ترحيبا بقدوم البابا كيرلس . لان الامبراطور كان يعتبره الأب الروحى ومازال يعتبرون بابوات الاسكندرية آباءهم الروحيين .

وعندما ذهبت الى هناك استقبلنى بنفس الترحيب والاكرام .

وقد اقام البابا كيرلس السادس فى القصر الخاص بأمبراطور الحبشة . وعندما منح الامبراطور ميداليات لرؤساء الكنائس الافريقيين . قال لهم ان هذه الميداليات مقدمة لكم من البابا شخصيا . وطبعا البابا لم يمنح ميداليه بهذه المناسبة لحصوله على اعظم نيشان فى اثيوبيا يوم رسامته ونفس الوضع عمله امبراطور اثيوبيا معنى ايضا ..

والحقيقة ان البابا كيرلس لم يترك اثيوبيا وسافر بسرعة ولم يعرض عليه أمورا ..

ولم يقل عن الذين عرضوا من هم ؟! وما هى الوسيلة الى آخر هذه الكلام ؟! ثم استشهد السادات بأثنين فقط توفيا هما الرئيس جمال عبد الناصر والبابا كيرلس ولهذا فالشهادة غير مقبولة !!

وأصبح هذا الكلام لمجرد الاثارة خصوصا ان اسيوط كانت مجال اعتداءات .

وهنا وجه قداسة البابا الحديث لى .. فقال اريد ان نناقش هذا الأمر معا .. هل هذا من صالح الأقباط أم ضدهم ؟!

اقول لك بصراحة كاملة لو عرض هذا الأمر علينا .. نرفضه مليون فى المائه .. لماذا ؟

أولا : ندخل فى الموضوع .. هل من المعقول ان الاقباط يتركون جميع مقادسهم فى القطر المصرى كله لكى يتقوقعوا فى اسيوط ؟! .. يتركون أديرة وادى النطرون .. يتركون أديرة البحر الأحمر أقدم أديرة فى العالم كله .. يتركون الاماكن التى زارتها العائلة المقدسة فى كل مكان .. يتركون الكاتدرائية فى الانبا رويس .. يتركون الكرسى والكاروز الأصلى فى الاسكندرية وكل اجساد آبائنا البطاركه القدامى المدفونين فى هذا المدفن .. يتركون الأعياد الضخمة التى يحتفلون بها فى بيت دمسيس وبلقاس وسمباط والرزيقات وكل مكان لكى يتقوقعوا فى اسيوط ؟!!

هلى تظن هذا ممكنا ؟!!

ثانيا : ان امن الاقباط الكامل فى اختلاطهم باخوانهم المسلمين فى كل بيت .. فى المستشفى .. فى الشارع .. فى المدرسة .. وفى المتجر نجد المسلم والمسيحى .. يختلط الاقباط مع المسلمين اختلاطا كاملا بحيث لا تستطيع وانت تسير فى الشارع ان تفرق بين من هو المسلم ومن هو المسيحى .. ولذلك فأمنهم فى هذا الاختلاط مع المسلمين .

أما اذا اخذوا أو وضعوا فى مكان فإذا أريد فى وقت من الاوقات إفناء جنس الاقباط يصبح سهلا لانهم جميعا فى مكان واحد وهذا ايضا من غير المعقول ان الاقباط يطلبون هذا الأمر .

ثالثا : هل معقول ان الاقباط لو أرادوا مكانا خاصا بهم يختارون اسيوط فإذا اريد الاعتداء عليهم يأتى شمالا من المنيا وجنوبا من سوهاج وشرقا من محافظات البحر الاحمر وغربا من الواحات .. بل لو أرادوا لاختاروا مكانا بعيدا ومتفرقا .. هذا غير معقول ايضا ؟!

رابعا : هل من المعقول ان تفقد مصر وحدتها بحيث تصبح ثلاث دول هى دولة اسيوط .. ودولة ماهو شمال اسيوط ودولة ماهو جنوب اسيوط .

خامسا : كيف يمكن تنفيذا هذه العملية لو اريد تكوين دولة للاقباط .. المسلمون لهم أطيان وعمارات ومتاجر ومساكن وجوامع ومقابر .. كيف يمكن لهم ترك كل هذا ؟!! .. وكيف يمكن اخراجهم من اسيوط ؟!!.. لا يمكن ذلك إلا اذا قامت الدولة نفسها بهذا العمل لان الاقباط لا يملكون القوة التنفيذية لها . واقول كيف يمكن اقامة دولة للاقباط فى بلد كأسيوط وهى أكثر المحافظات التى شهدت اعتداءات ضد الاقباط ؟!!

عملية مسألة الدولة خرافية !!

سادسا : هل نحن من ناحية وطنيتنا وانتماءاتنا نتنازل عن لقب مصرى الذى نفخر به لنأخذ لقب اسيوط !!.. نترك مصر كلها بل امجادها وتاريخها لنتقوقع فى مدينة هى احدى بلاد مصر .

كلام خيالى ولكن تثار به الخواطر وإن فحص الكلام من الناحية العقلية نجده ضد المنطق وضد الواقع وضد الفكر السليم ولا مصلحة للاقباط فى هذا .. لا مصلحة لهم .

● ● ●

وبالنسبة للاسلحة ؟!

بعد لحظات من التفكير قال قداسة البابا شنوده الثالث : اتذكر اننى سئلت

هذا السؤال من الاستاذ مكرم محمد احمد رئيس تحرير المصور فى اغسطس ١٩٨١ قبل قرار السادات بقليل . وكان السادات وقتها فى امريكا . قلت له مفتوحة امامك جميع الكنائس والأديرة لترى ما فيها . لن تجد فيها مسدسا واحدا .

الاقباط حينما مروا باكبر ازمة من الازمات عندما كان البابا محاصرا بقوات عسكرية نتيجة لقرارات السادات .. هل استخدموا اسلحة ؟!!

هل فى يوم من الايام تم ضبط سلاح مع قبطى ؟!

السادات كان بامكانه ان يفتش لو أراد .. وأنا قلت لهم مفتوحة امامكم جميع الكنائس والأديرة .. اذهبوا اليها وفتشوها .. !!

لا يوجد اطلاقا اى شيء فى الأديرة لان هذه الأديرة مزارات لجميع الناس ورجال الأمن يدخلونها باستمرار فهل وجدوا اسلحة فيها ؟!!

كل هذه تهم لمجرد الاثارة ولا يمكن ان يوجد عليها دليل واحد اطلاقا ولا تتفق مع الروح المسيحية التى ترفض استخدام القوة أو العنف أو السلاح .

● ● ●

قداسة البابا .. كان السادات يتهمك بالتدخل فى السياسة وانت زعيم دينى للاقباط .. ويقول كاهن نعم زعيم سياسى لا .. ما رأيك ؟!!

قال البابا شنودة : هناك مواقف سياسية كثيرة لابد للكنيسة ان تقف فيها موقفاً وطنيا ، وتؤيد هذه السياسة ، مثل موقفنا من اليهود .. ومن احتلال افغانستان والقضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الأوسط .

هناك مواقف لو ان الرئيس الدينى لم يتحدث فيها اطلاقا ، ربما يتهم بالسلبية ، وانه ليس له حماس وطنى فى قضايا وطنية ، لابد ان يبدى رأيه ، فيها سواء فى داخل مصر أو خارج مصر .

فى داخل مصر اشتراك البابا فى الاحتفالات والمناسبات القومية والوطنية .. اشتراك البابا فى اجتماعات مجلس الشعب ويحضرها بدعوة من رئيس المجلس ، كما يحضرها ايضا فضيلة شيخ الأزهر وفضيلة المفتى ، ولا يعتبر هذا تدخلا فى السياسة . أو قد يأتى بعض الصحفيين فيسألون البابا اسئلة كثيرة فى موضوعات سياسية فيجيب . هل اذا أجاب يقال أن هذا تدخل فى السياسة ؟!!.. غير معقول !! وإفرض انه رفض الاجابة ، ألا يكون هذا اتهاما للدولة بأنها تضغط على البابا ضغطا لا يستطيع فيه الكلام !!.. معناها كده !!

ثم أيضا البابا مواطن .. وكمواطن يطلب رأيه فى كثير من الأمور .. وله حق الانتخاب ، وإبداء رأيه فى كثير من القضايا السياسية .

هناك فرق كبير بين عبارة ابداء الرأى فى السياسة ، والاشتغال بالسياسة .. لا البابا ولا أى رجل من رجال الدين الأقباط ، لديه وقت للاشتغال بالسياسة .. بل لديه مسئولياته التى تشغل كل وقته ، لكنه مع ذلك كمواطن اذا سئل رأيه فى موضوعات لابد أن يبدى رأيه .. ومع ذلك حتى ابداء هذا الرأى يكون فيه كثير من الحرص ، لكى لا يفتح موضوعات جانبية تعتبر تدخلا فى اشياء معينة . كون أن البابا يبدى رأيه فى كثير من الموضوعات السياسية ، أمر لا يستطيع ان يعد عنه ، لأنه يمثل قيادة من القيادات الدينية الموجودة فى البلد .

إفرض .. ان انساناً سألنى ايه رأيك فى المشكلة الفلسطينية .. هل استطيع ان أصمت ؟!.. هل أستطيع ألا أدافع عن اخواننا الفلسطينيين وحقهم فى وطن يعيشون فيه .. واذا سكت ألا يكون هذا موقفا سلبيا ، واذا تكلمت هل يعتبر هذا كلاماً فى السياسة ؟!!

واذا تكلمت فى هذا الموضوع ، ولم أتكلم فى شىء يخص الاقباط .. ماذا يقول الاقباط ؟!!

يقولون ان البابا يهتم بالفلسطينين ، ولا يهتم بنا ! .. ويهتم بمشكلة لبنان ، ولا يهتم بمشاكل الاقباط .. كلام غير معقول !!

أما الاشتغال بالسياسة .. فما هو الدليل على اشتغال البابا بالسياسة ؟!!

هل البابا اشتغل بالسياسة ، باشتراكه فى حزب من الاحزاب ؟!

هل كون جماعة سياسية ؟! .. مفيش !!

وقد وقفنا ضد محاولة انشاء حزب قبطي ، لأننا دائما نؤمن أن أى حزب هو من أجل مصر كلها ، وليس من أجل طائفة فيها . واذا اختير احد الاقباط عضواً فى المجالس الدستورية كمجلس الشعب أو مجلس الشورى ، يعتبر نفسه نائبا عن مصر كلها ، وليس نائبا عن الاقباط . ويتحدث فى سياسة البلد كلها ، وليس فى سياسة الاقباط . فتكوين حزب من اجل طائفة معينة ، لا يعبر عن الفكرة السياسية السليمة التى تقول فيها ان الحزب السياسى هو للبلد كلها ، وله عمومية .. فى اشتراك الجميع فيه . وان كان الحزب لمجموعة معينة ، سنفتح حينئذ الباب أمام التكتلات ، ولا يكون حزباً سياسياً ، إنما تكتل سياسي يؤدى إلى الانقسام والطائفية وقل ما شئت !!

بالنسبة للسياسة نحن مصريون .. آباؤنا مصريون .

ولذلك حينما ذكر السادات الاتهام بالتدخل فى السياسة ، لم يقدم دليلاً واحداً عنه اطلاقا الى يومنا هذا – وأقصد بإلى يومنا هذا – بإنه لم يترك فى مذكراته أو أوراقه الخاصة أى دليل على تدخل البابا فى سياسته . أما كون ان البابا يشكو اليه بعض مسائل تحدث بالنسبة للاقباط أو ينقل للرئاسة بعض شكاوى الاقباط التى كانت تصل اليه فيعتبر هذا تدخلا فى سياسته الداخلية .. فأتذكر انه فى احدى المرات كان قد حدث أمر متعب للأقباط وكنت تكلمت فيه مع سيد مرعى رئيس مجلس الشعب فى ذلك الوقت – فى زيارتى له وقلت له : هل من حقى ان اقدم هذه الملاحظة أو هذه الشكوى ؟ فأجابنى بنص العبارة الآتية : « هذا ليس حقك فقط بل واجبك . إنك تنبهنا الى هذه الأمور » فاعتبر هذا الأمر واجباً وليس حقا .

ولذلك قلت : لو أن الرئيس السادات سمع لشكوانا ، واتخذ موقفا جدا ، لكان استفاد من كشف نواحى الخطر التى قد تؤذيه هو شخصيا وقد آذته !!

• • •

كان السادات يردد « لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة » .

ما رأى قداستكم فى هذ العبارة ؟!

قال قداسة البابا : المسألة هى ما معنى كلمة « السياسة » .. وما معنى كلمة « الدين » والمفهوم كيف يكون على مستوى التفكير .

من جهة لا نستطيع ان نقول أنه لا دين فى السياسة إلا تكون السياسة ملحدة بلا دين .. ورجل السياسة مفروض ان يكون رجلاً متديناً .

وليس معنى هذا ان رجال الدين يديرون أمور السياسة .. لكن رجل السياسة لابد أن يكون متدينا ولا بد ان يكون له نصيب من الدين » . لانه بنصيب من الدين يكون له ضمير ويكون له وعي ولا يتصرف تصرفات خاطئة .

ايضا رجل الدين لا يتفرغ للسياسة .. ولا يحكم البلد .. فإذا تفرغ رجل الدين للأمور السياسية لا يبقى لديه وقت للقيام بأموره الروحية التى هى شاغله الأول كقيادة الناس الى الفضيلة وإبعادهم عن الرذيلة والخطأ والشر وتقوية الروح الدينية لديهم .. وتقوية الضمير واحكامه فى الانسان .. ومعرفة الانسان بالدين الى آخره .. هذه مسائل تختص بالوعظ وبالتفسير وبغيره .. رجل الدين هذه هى مهمته الاولى فلا يستطيع أن يتركها ويشتغل بالسياسة .. لا يتركها ويتفرغ للسياسة .

نقطة أخرى . ان رجل الدين هو مواطن له رأى فى السياسة .. ولكن له رأى فى السياسة شيء وتفرغه للسياسة شيء آخر .

وايضا رجل الدين ناخب يبدى رأيه فى الانتخابات فهل نعتبر استخدامه لتذكرته الانتخابية وابداء صوته نوعاً من السياسة ام لا .. ألف فى المائة سياسة .. ولكن ليس تفرغاً للسياسة .. فكون ان يبدى رأيه مسألة واجبه ومن حقه وإلا يكون رجل الدين قد فقد حقوقه السياسية بحجة انه رجل دين بالمخالفة للدستور وهذا المخالف للدستور مخالف للعرف .. مخالف لكل حق .. مخالف لحقوقه الانسانية .

من حق رجل الدين أن يبدى رأيه بل من واجبه ايضا ان يبدى رأيه .. وكثيرا ما يطلب من رجال الدين خاصة رئاستهم كشيخ الأزهر والبابا ابداء رأيهم لتأييد مواقف سياسية .. فإذا لم يبدوا رأيا يتهمون بالسلبية واذا أبدوا رأيا لا يعتبر هذا اشتغالا بالسياسة أنما ابداء رأى فى السياسة .

هنا لا نعتبر ان رجل الدين لا يشتغل فى السياسة . ايضا رجل الدين يشارك فى كثير من أمور الوطن القومية بل فى السياسة العالمية .

وكثيرا ما يطلب من رجل الدين رأيه فى السياسة البيضاء التى تضطهد السود ولابد من أن يبدى رأيا فى الدفاع عن هؤلاء .. لان هذه مسألة انسانية قبل أن تكون مسألة سياسية .

وكثيرا ايضا ما يطلب من رجل الدين ابداء رأيه فى مسألة الحروب والاضطرابات والاعتداءات والنزاعات القائمة مثل ما يحدث فى لبنان . هنا ابداء الرأى يعتبر سياسة .. واذا لم يبد الانسان هذا الرأى يعتبر سلبيا .. فيهتم رجل الدين بالسلبية بل تهتم الدولة ايضا بضغطها على رجل الدين ومنعه من إبداء رأيه أو تخويفه من ابداء رأيه والمفروض ان رجال الدين لا يخافون .

بينما لو ان رجل الدين ابدى رأيه فهذا شىء مشرف للبلد ليساهم رجل الدين برأيه فى القضايا العامة ولا يتقوقع حول نفسه .. لكن لا يتفرغ لها ولا يشتغل بها .

كذلك لا يوجد رجل دين يكون حزبا من الاحزاب السياسية ولا يكون له منصب فى اى حزب من الاحزاب . ورجل الدين سواء كان مسلما أو مسيحيا

يعتبر رجلا عاما يشهد بالحق فى ذاته .. وممكن ان يستقبل رجال السياسة على اختلاف الوانهم واتجاهاتهم السياسية ويتفهم مع الجميع كرجل عام ويعيش مع الجميع دون ان يكون له اتجاه سياسى حزبى معين .. لانه لو اشتغل رجل الدين بالحزبية يكون قد اشتغل بالسياسة ويكون قد أخطأ .

رجل الدين ايضا يدعى لكثير من الاحتفالات السياسية الهامة ويسأل ويستمع ويختلط بالسياسيين .. هل يعتبر هذا تدخلا فى السياسة ؟!! لا .. لا يتدخل فى السياسة .

وعندما نأتى الى اتهام السادات للبابا بالاشتغال بالسياسة . عمليا ما هى النقاط التفصيلية التى تسند هذا الاتهام ؟!

« لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة » عبارة غامضة اطلقت بلا تحديد وبلا اثبات اى شىء من السياسة ؟!

● ● ●

بل اذكر اكثر من هذا انه عندما شكل السادات اللجنة المركزية وكان أمينها العام الدكتور مصطفى خليل . قال السادات يسرنا أن ينضم الى العائلة فضيلة الامام شيخ الأزهر والبابا شنودة .. وقال كلام طيب حقا فى هذين الشخصين ..

واللجنة المركزية قبل ان يعلن السادات عودة الاحزاب السياسية هى عمل سياسى .

وكان السادات يدعو رجال الدين لحضور الاجتماعات السياسية التى يحضرها ويشكلها دون ان يعتبر ذلك اشتغالا بالسياسة !!

وكانوا يرحبون بكل رأى نبديه فى المسائل السياسية العامة .

فى اوقات كثيرة اشتركت فى الدفاع عن الفلسطينيين .. واستقبلت الزعيم

الفلسطيني ياسر عرفات . هل يعتبر هذا سياسة وان كانت سياسية .. هل هي مقبولة ام لا ؟! ايضا اشتركت فى الدفاع عن حقوق السود فى جنوب افريقيا .. والدفاع عن المعتقلين والمسجونين وكان يدافع عن هذا الأمر اتحاد المحامين العرب .

ايضا وأنا اسقف فى عام ١٩٦٥ القيت محاضرة عن « اسرائيل فى رأى المسيحية » فى نقابة الصحفيين وكان النقيب صديقي الاستاذ حافظ محمود وطبعت فى كتاب .. ولم يقل أحد أن هذا اشتغال بالسياسة .. أو هذا اشتغال رجل دين بالسياسة .

وأنا بطريرك فى الشهر الأول من تولى مهام البابوية دعيت مرة أخرى لالقاء محاضرة فى نقابة الصحفيين عن نفس الموضوع وكان فى ذلك الوقت النقيب على حمدى الجمال وقوبلت بنفس ترحاب المحاضرة الأولى .. فهل يعتبر هذا سياسة ؟!!

أم أن رجل الدين اذا اردناه ان يشتغل فى فرع من السياسة ووافق لا يعتبر هذا اشتغال بالسياسة واذا لم نرده فى فرع آخر يعتبر هذا اشتغالا بالسياسية !!

هل من المعقول ان يدافع بابا الاقباط عن افغانستان ولبنان والفلسطينيين وعن السود فى جنوب افريقيا ولا يدافع أو يهتم بمشاكل الاقباط ؟!!

حينما وقعت احداث الشغب فى ١٨ و ١٩ يناير ١٩٧٧ وحدث ان الرئيس السادات دعا قادة الدين الاسلامى والدين المسيحى الى اجتماع فى فبراير بقصر عابدين . وتحدث السادات عن الشغب الداخلى وطلب من الجميع ان يقفوا معه ويتعاونوا معه وهذه مشكلة داخلية .. وألقيت فيها كلمة قلت فيها أن مسألة الأمن يا سيادة الرئيس لا تقف فيها وحدك كلنا نقف فيها معك .. هل يعتبر هذا تدخلا فى السياسة الداخلية ام دعوة منه !!

اذكر قبل عيد الميلاد سنة ١٩٨٠ بيوم واحد مرت على شخصية سياسية كبيرة وابلغنى ان السادات يريد منى ان اتكلم فى خطبة العيد كلمة عن افغانستان .. لم أتردد لحظة وانتهزت هذه المناسبة والقيت كلمة عن احتلال افغانستان ..

وايضا يصادف الاعتداء على الحرم النبوى فتكلمت عن هذا الأمر دون ان يطلب منى أحد .. مجرد شعورنا بأن اعتداء على اماكن للعبادة أمر غير لائق .

كنا فى حرب أكتوبر نذهب الى المستشفيات العسكرية .. ونذهب الى الميدان نفسه ونقابل الجنود والضباط لحثهم على معركة التحرير ونشتغل بدور كبير كلل بنصر اكتوبر .. هل يقال هذا سياسة ؟!!

وهل يعتبر رجل الدين فى هذا الأمر أخطأ من الناحية السياسية ام أصاب ؟!!

• • •

فى كل مرة من المرات نحن على قدر ما نستطيع بصفتنا أبناء هذا الوطن نعمل ما نستطيعه من اجل السلام وسلامة هذا الوطن .

وفى وقت من الأوقات كانت هناك مشكلة بسبب الملصقات الدينية التى توضع على السيارات وتدخلت فى هذا الموضوع لمنع الأقباط من استخدام هذه الملصقات . قلت لهم : اذا كان ضميركم يتعبكم فأنا مسئول عن ضميركم » . وطلبت من الأقباط ان يرفعوا هذه الملصقات لكى لا تقوم ملصقات مضادة من جهة المسلمين وتصبح مسألة الملصقات مسألة نزاع .. واسعدت الدولة بهذا التصرف من جانبى ..

هل يعتبر هذا تدخلا فى السياسة ؟!!

من كل هذه الأمور لا نستطيع ان نقول ان رجل الدين ينبغى ان يكون منعزلا تماما عن كل موضوع سياسى . لان الدولة ممكن ان تحتاج الى معاونته فى هذا الأمر واذا لم يأخذ موقفا يعتبر سلبيا غير متعاون مع الدولة .

نحن مواطنون .. لا ننسى ان رجل الدين مواطن .. وكمواطن مفروض ان يساهم من أجل سلام بلده .. فإذا ساهم تحدد له الموضوعات التى يتدخل فيها والتى لا يتدخل فيها !!

نقطة اخرى رجل الدين كثيرا ما يقابله رجال الصحافة والاعلام مصريين كانوا أو أجانب ويسألونه .. هل يقول لهم لقد ختمت على فمى ٧ خطوط فلا اتكلم ولا انطق بحرف واحد .. ولو قال هذا ماذا ستكون سمعة البلد حينما يشعرون ان رجل الدين يخاف ان ينطق بكلمة !! .. ليس من الصالح العام بل بالعكس ممكن لرجل الدين أن يتكلم ويساهم فى مصلحة بلاده .. وفى هذا الوقت يكون قد أدى خدمة وطنية للبلد .

نقطة اخرى .. تحدث مناسبات سياسية كثيرة لابد ان يشارك فيها رجل الدين .. هناك مناسبات مفرحة اذا لم يظهر فرحة ببرقيات معينة ربما يظن انه غير مخلص للاتجاه العام فى بلده مثال لهذا الأمر .. فى وقتنا الحاضر كون ان فى وقت من الاوقات حدث اتحاد بين مصر والاردن ألا يكون هذا أمر مفرح للمصريين وفى وقت من الأوقات حدث تعاون بين اربع دول عربية هى مصر والأردن والعراق واليمن ألا تكون هذا أمر مفرح للمصريين .. وفى وقت من الأوقات عادت مصر الى العرب وعاد العرب الى مصر فى قمة الدار البيضاء ألا يكون هذا أمراً مفرحاً للمصريين .. وفى وقت من الأوقات يختار رئيس مصر رئيسا لمنظمة الوحدة الافريقية .. أليس هذا أمراً مفرحاً لكل المصريين .

هل لو رجل الدين أظهر فرحة لهذا الأمر يعتبر تدخلا فى السياسة .. واذا لم يظهر فرحه يعتبر ان الكل فى فرح وهو الوحيد الذى لا يحس ببلده ولا يشترك فى افراح بلده .. وفى آلام بلده .. مش ممكن هذا الكلام .

هناك أمور لا يستطيع رجل الدين ان ينعزل عنها وإلا يعتبر ان الدين مجرد عبادة وليس فيه نصيب فى الحياة الاجتماعية كلها .. نحن نعيش فى مجتمع ينبغى ان نكون مرتبطين بهذا المجتمع من كل ناحية ومتجاوبين مع العمل الوطنى الناجح ..

هنا عبارة رجل الدين والسياسة ينبغى ان يكون لها مفهوما واسعا وليس مجرد عبارة غامضة بلا مفهوم .

ما هى السياسة ؟! .. ثم ايضا ما ارتباط كلمة السياسة بكلمة القومية او بكلمة الوطنية .. الى أى حد نفرق بين كلمة الوطنية والقومية والسياسة ؟!

مثال آخر فى ثورة ١٩١٩ ألم تكن عملا سياسيا .. رجال الدين مسلمين وأقباط اشتركوا فى تأييد ثورة ١٩١٩ وتعرضوا للقبض عليهم وكان هناك خطب فى الأزهر يحضرها رجال الدين المسيحى ويتكلمون من منبر الأزهر ... والكل كانوا سعداء لأن الكل كانوا معا فى ميدان واحد .

● ● ●

هناك مواقف سياسية كثيرة اذا لم أبد فيها رأيا يعتبر هذا موقف سلبيا منى وان الاقباط غير متجاوبين مع الشعور الوطنى واذا ابديت رأيا يكون تدخلا فى السياسة والذى يدهشنى ان كل التأييد الذى أيدت به السادات لم يكن يعتبر تدخلا فى السياسة ولكن اذا شكوت ومن حق أى هيئة من الهيئات ان تشكو ولن تشكو اكثر من شخص رئيس الجمهورية .. يعتبر هذا تدخلا فى السياسة .. بعض الصحف اعتبرت حضورى جلسات مجلس الشعب تدخلا فى السياسة بينما كان هذا الأمر بدعوة رسمية من رئيس المجلس ولم أكن وحدى . كنت اجلس بين شيخ الأزهر ومفتى الجمهورية وكان وجودنا معا رمزا للوحدة الوطنية وعلى اننا نؤيد المواقف الوطنية .

ويستطرد البابا قائلا : كانت علاقتى بالسادات طيبة للغاية ولا اتذكر اننى اسأت اليه شخصيا فى شىء ولكن السادات كان يعتبر فى كل مرة اشكو اليه تعبا للاقباط ان هذا تدخلا فى سياسته الداخلية ويعتبر الحديث عن تعب الاقباط تشويه لسمعة مصر أو تشويه له شخصيا لانه كان يعتبر نفسه مصر ومن يسىء اليه فهو يسىء الى مصر . بدأ يتضايق .. اتهمنى بالتدخل فى السياسة بينما هو نفسه كان يطلب منى فى مواقف كثيرة أن أبدى رأيا من أمور سياسية ليحظى بتأييد الأقباط .

قلت لقداسة البابا .. يشاع ان العداء بينك وبين الرئيس السادات يرجع سببه الى عدم استجابتك لتطبيع العلاقات مع اسرائيل خاصة انك اصدرت أوامرك لاقباط مصر بعدم زيارة بيت المقدس مما سبب غضب السادات منك .. هل هذا صحيح ؟

اجاب قداسة البابا قائلا : عبارة العداء بينى وبين السادات أريد أن أصححها .. اذا وجد عداء فهو من جانب واحد .. من جانب السادات . لكن انا لم اكن اعادى احدا .. ولم اكن اعادى السادات .

أما من ناحية رأيى فى مسألة ذهاب الاقباط للقدس .. فنحن فى بلد ديمقراطى .. وكل انسان يعبر عن رأيه .. ومازلنا للأن على نفس الوضع ولا يوجد سوء تفاهم بيننا وبين الرئيس حسنى مبارك فى هذه النقطة . هذا رأى وله اسبابه فقد بدأت الأحداث فى شكل دينى كنائسى ..

اولا : عندما استولى الاسرائيليون على دير السلطان بالقدس .

ثانيا : رأيى باستمرار اننا لا نستطيع ان ندخل القدس إلا مع اخواننا المسلمين .. ولا يمكن ان ينفرد الاقباط بتطبيع علاقات فى جو يقف ضده الرأى العام المصرى ..

مستحيل ان ننفرد عن وطننا وعن العالم العربى ونأخذ موقفا معينا ضد الاتجاه العام وخير لنا ألا نزور القدس من ان نفقد علاقتنا مع اخواننا المسلمين .

الاماكن المقدسة كثيرة .. وموجودة فى كل مكان .. مصر نفسها من البلاد الوحيدة التى زارها المسيح .. فالمسيح ولد فى فلسطين ولم يزر اى بلد فى العالم سوى مصر . وعندنا له اماكن مقدسة موجودة فى مصر .

ويتساءل البابا شنودة ايهما نفضل ان نخسر كل اخواننا المسلمين ولا بلاش الزيارة ؟ .. بلاش الزيارة أحسن .. هذا رأيى لم أقله أيام السادات وايام عدوانه فقط بل مازلت اقوله للآن .

اذا كان بين السادات والبابا شىء .. كان من الممكن تصفيته بأن يقابل السادات البابا مقابلة خاصة ليتفاهم معه ولكن السادات رفض هذا اللقاء .. مع اننا طلبناه !!

• • •

قلت لقداسة البابا ما هى قضية دير السلطان ؟

قال البابا شنودة دير السلطان بالقدس هو ملك للاقباط من قرون عديدة .. وبينما كان مطراننا الانبا باسيليوس مطران القدس يصلى صلاة العيد الكبير فى كنيسة القيامة يوم ٢٥ ابريل عام ١٩٧٠ اعتدى رجال الشرطة الاسرائيليون على الدير واستولوا عليه ومكنوا الرهبان الاثيوبين من الاستيلاء عليه واقاموا المتاريس ومنعوا مطراننا القبطى من دخول الدير بعد انتهائه من الصلاة .. اقمنا دعوى فى المحكمة العليا الاسرائيلية وحكمت المحكمة لصالحنا وأدانت وزير الشرطة الاسرائيلى . لكن الحكومة الاسرائيلية لم تنفذ حكم المحكمة الاسرائيلية واعتبرت قضية الدير قضية سياسية وليست قضائية ومنذ ذلك الحين ومطراننا يحاول جاهداً العودة الى الدير ولكن وعودا كثيرة تعطى ولا شىء من التنفيذ ..

استولى الاسرائيليون على الدير نتيجة لموقف المطران القبطى الوطنى من قضية الاحتلال ..

ولقد منعنا الحج الى القدس فى ظل الاحتلال للدير .. ومنذ عدة سنوات اتصل بى البعض تليفونيا لعمل لقاء مع احد المسئولين الاسرائيلين فقلت لهم انتم تعرفون رأيى فى اليهود فإذا كان لدى هذا المسئول أى جديد فليبلغه الى وزارة الخارجية المصرية التى تقوم بتبليغه الينا .

وقد صدقت رؤية البابا لهذه القضية ونظرته المستقبلية للعلاقات مع العرب .. فقد عادت مصر للعرب وعاد العرب لمصر فى قمة الدار البيضاء فى مايو ١٩٨٩ .

• • •

قلت لقداسة البابا .. ذكر السادات فى احدى خطبه ان لديه معلومات عن

المطامع السياسية للبابا شنوده فهو يريد ان يكون زعيما سياسيا للأقباط فى مصر ولا يريد ان يكتفى برئاسته الدينية لهم مما هو رأيك فيما قاله السادات ؟

قال قداسته : وضع البابا كأب للاقباط افضل ألف مرة من وضعه كزعيم .. والاقباط علاقتهم بالبابا كأب علاقة عقيدية وعلاقة ايضا شخصية .. ولا يحتاج البابا الى مزيد لكى يضاف اليه .. بمعنى اذا صار زعيما ماذا يضاف اليه ؟! .. احنا وضعنا الكنيسى أقوى مرات عديدة من أى وضع سياسى ومع ذلك فى نفس الوقت الذى كان يقول فيه السادات هذا الكلام اذا كان له مطلبا تأيد من الاقباط كان يلجأ الى البابا شنوده لكى يطلب تأييد الأقباط .

• • •

ثم سألته هل صحيح ان قداستك أوعزت الى رجال الدين المسيحى فى الكنائس بتكوين مجموعات شبابيه مسيحية وهو ما يطلق عليها مدارس الأحد لكى تكون مناهضة للجماعات الاسلامية المتطرفة ؟

اجاب قداسة البابا : مدارس الأحد موجودة فى مصر قبل ان أولد وانا شخصيا كنت تلميذا ثم مدرسا فى هذه المدارس . ومدارس الأحد هى عبارة عن شمامسه فى الكنيسة يقومون بتعليم الدين للنشء لتثبيتهم على عقيدتهم الدينية خصوصا بعدما بدأت كثير من الطوائف الدينية الأجنبية فى مصر اقامة كنائس لها وتجعل الأقباط يخرجون عن مثلهم .. فلا عمل لهذه المدارس اطلاقا سوى تعليم الدين والكتاب المقدس وتاريخ الكنيسة والعقيدة ولا يستطيع السادات أو غير السادات ان ينسب الى هذه المدارس تدخلها فى أى شىء من السياسة .

ومدارس الأحد ليست موجودة فى مصر فقط بل موجودة فى كل كنيسة من كنائس العالم .

وهل كنت تهاجم رجال السياسة فى الاجتماعات التى تعقدها ؟

قال البابا : لم يحدث فى يوم من الأيام طوال حياتى كلها ان هاجمت فى اجتماع عام احدا من رجال السياسة .. اطلاقا .

انا لا اتكلم فى اجتماعاتى إلا كلام روحى عن نقاوة القلب وعن حياة الفضيلة وعن العلاقة بالله ولا أزيد عن هذا الكلام اطلاقا .. واذا كان يوجد كلام هاجمت فيه احد يقولونه أو يذيعونه على الناس .

أما القاء الكلام على عواهنه بلا اى اثبات وبلا أى دليل فلا اتذكر اننى فى اى اجتماع من اجتماعاتى تكلمت فى السياسة . واجتماعاتى على فكرة – كلها اجتماعات مفتوحة يحضرها المسيحيون والمسلمون وربما رجال المباحث .

● ● ●

قلت لقداسة البابا شنودة .. بالنسبة لحادث الزاوية الحمراء هل كان هناك من يحاول سكب البنزين لاشعال فتنة طائفية بين المسلمين واخوانهم المسيحيين ؟

قال قداسة البابا : حادث الزاوية الحمراء بدأ على ما اذكر بأن انسانا مسيحيا استولى البعض على أرضه وحدث خلاف بينه وبينهم . والى هنا كان يمكن لرجال البوليس ان ينهوا هذه المشكلة الفردية .

لكن الذى لاحظته فى الزاوية الحمراء انه لم يكن صراعاً بين مسلمين ومسيحيين اطلاقا .

كانت العملية مدبرة .

كانت هناك مجموعة معينة من الصبية فى سن الأحداث حتى اذا ما تم القبض عليهم لا يتم اتهامهم بشيء ..

كانت هذه المجموعة تنتقل من حي الى حي .. وفى بعض الاوقات اذا مرت على كنيسة لتحرقها كان المسلمون يدافعون عن هذه الكنيسة ويحمونها .

وهذه المجموعة من الصبية تذكرنى بأيام زمان .. وقت اضرابات المدارس .. كانت مدرسة تخرج وتفوت على المدارس الأخرى لتخرجها للمشاركة فى الاضرابات .

مجموعة الصبية لجأت الى هذا الاسلوب .. يمرون من منشية الصدر على الوايلى .. احرق .. دمر .. الى آخره . بل كانوا يضعون علامات على بعض البيوت لتظهر بأن بداخلها مسيحيون فكان بعض المسلمين يستضيفون الأسر المسيحية فى شققهم لحمايتهم .

كان وراء مجموعة الصبية قيادات كبيرة تحركهم ..

وأؤكد اننا لا نستطيع ان نقول ان منطقة الزاوية الحمراء كلها كان فيها شعور عدائى بين المسلمين والمسيحيين بدليل انهم يعيشون الأن مع بعضهم البعض ولا يوجد أى خلاف .

ولكن الذى حدث ان الدولة تركتهم ثلاثة ايام إلى ان اشتعل الموقف الى أبعد الحدود وبعد ذلك قال السادات ان وزير الداخلية (النبوى اسماعيل) عالج الموقف بطريقة سياسية وليس بطريقة بوليسية .. اذن معناها انه اذا كان قد لجأ الى الطريقة البوليسية كان قد انهى الأمر .. أما من جهة الطريقة السياسية لا اعرف – وان بعض الظن اثم – ربما السادات اراد ان يترك الموقف يشتعل .. اراد ان يجد سببا يعتمد عليه فى استخدام سلطاته الاستثنائية فى الدستور .

● ● ●

سألت قداسة البابا .. هل كان هذا الاسلوب للسادات لتغطية فشل فى سياسته الداخلية والخارجية ؟

اجاب قداسة البابا قائلا : حتى انه لم ينجح فى هذا الأمر .. لم ينجح فى استثمار احداث الزاوية لتغطية مواقفه . واستخدم السادات سلطاته السياسى بعد الاحداث بأربعة شهور (قرارات ٥ سبتمبر ٨١) – بينما القرارات الاستثنائية لا يجب ان تتخذ إلا فى تعرض الوطن لخطر داهم ومفاجىء ولكن جاءت القرارات الاستثنائية بعد أن ساء الأمن والهدوء .

● ● ●

قداسة البابا .. كيف علمت بأحداث الزاوية الحمراء ؟

قال قداسته : كنت موجودا فى غرفتى الخاصة بالبطريركية .. تليفون ضرب .. الحق كنيسة المنشية احترقت .. بعدها بنصف ساعة تقريبا .. تليفون ثانى .. الحق كنيسة الزاوية الحمراء .. تليفون ثالث .. الحق كنيسة الوايلى .. اضطريت انزل الى مكتبى لمتابعة الموقف .. وكلفت الانبا صموئيل الاتصال بالمسئولين .

وأنا فى مكتبى سمعت مظاهرات تقترب فى الاماكن المحيطة بى .. تهتف لانصرانيه .. لا يهودية . اسلامية .. اسلامية .

وبدأ الصوت يقترب منى الى درجة ان بعض الموجودين معى فى المكتب بدأوا يفكرون ماذا يفعلون من أجل امنى الشخصى وسلامتى .

رفضت الذهاب الى أى مكان .

كانت سيارات الشرطة قد تدخلت لفض المظاهرات والقت القبض على بعض قيادات المظاهرات . واحاطت البطريركية بقوات لحمايتها .

كانت هذه الاحداث خطيرة .. كنا فيها فى موقف المعتدى عليها وليست المسألة اقباط ومسلمين يتشاجرون .. لا .. الاقباط يعتدى عليهم .

جاءنى بعض المسئولين وقالوا لى ماذا تطلب من الرئيس السادات فى هذه الظروف .. قلت لهم كل ما اطلبه منه ان يبعث بأحد من عنده ليرى ما حدث للاقباط .. لا اريد اكثر من هذا .

وبهذه المناسبة أحد الصحفيين نشر مقالا فى هذا الوقت قال فيه لماذا رجال الدين يأخذون موقفا سلبياً من الاحداث ... لماذا لا يذهب شيخ الأزهر والبابا الى الزاوية الحمراء ؟! .. اقول نحن لو كنا ذهبنا الى الزاوية الحمراء لا شتعلت ناراً وهياجاً وكنا .. سنتهم باشعالها .. وتبقى حكاية !!

● ● ●

قلت لقداسة البابا .. كان للسادات مواقف كريمة مع الاقباط .. فلماذا تغيرت هذه المواقف الى صدامه .. هل يرجع هذا الى المحيطين به ؟

قال قداسة البابا : الرئيس السادات عندما أهداه مجلس الكنائس الميثودى العالمى بأمريكا جائزة السلام لعام ١٩٧٨ وهى عبارة عن ميدالية ذهبية .. احتفلنا بهذه المناسبة فى حفل حضره ١٢ مسئولا بينهم رئيس الوزراء ونوابه والوزراء وفضيلة شيخ الأزهر وأنا وبعد الاحتفال قال لى السادات هذه الميدالية ومعها رسالة منه : لم أجد شخصا يستحقها إلا انت .. فاحتفظت بها ومازالت موجودة عندى للآن وجاء نص رسالة الرئيس السادات لى بالنص فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٨ :

قداسة الانبا شنودة الثالث

بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

تحية طيبة وبعد ..

فقد اهدى مجلس الكنائس الميثودى العالمى جائزة السلام لعام ١٩٧٨ الينا تقديرا لجهودنا لاقرار سلام عادل ودائم فى المنطقة التى شهدت خطى الانبياء ورسالات السماء .

ولما كان شعبنا من مسلمين ومسيحيين قد عاش على أرضنا السمحة نبضا وطنيا واحدا وكتيبه نضال واحدة من أجل الحق والعدل والسلام . وانطلاقا مع روح

المحبة والتآخي التي تجمع بين مسلمي ومسيحي مصرنا العريقة فاني اهدى الى قداستكم الميدالية الذهبية الخاصة بهذه الجائزة للاحتفاظ بها فى المكان الذى ترونه مناسبا .

وانى أدعو الله تعالى ان يسدد على طريق الخير خطانا لتحقق لشعبنا العريق كل ما يصبوا اليه من حياة حرة كريمة .

ومع اصدق تحياتى ارجو لقداستكم موفور الصحة والسعادة » .

وقد بعثت ردا على هذه الرسالة للرئيس السادات فى يناير ١٩٧٩ هذا نصه :

السيد الرئيس المحبوب محمد أنور السادات

تحية طيبة مع صادق الدعاء وبعد :

تلقيت بمزيد من الشكر . الميدالية الذهبية التى اهديت الى سيادتكم من مجمع كنائس الميثود ست تقديرا من المسيحيين فى الغرب للمجهود الكبير العملى المخلص الذى قمتم به من أجل السلام ، فى شجاعة تستحق الاعجاب - وشاءت محبتكم من منطلق روح المحبة والتآخي التى تجمع بين المسلمين والمسيحين ان تهدوا الينا هذه الميدالية .

ولقد وقفت امام محبتكم ولمساتكم الانسانية العميقة مبهوتاً مدة طويلة ولا يسعنى إلا اشكر مشاعركم النبيلة وعملكم لأجل الوحدة الوطنية - كما يفرحنى ان أشيد بجهودكم لأجل السلام التى استحققتم عليها - عن جدارة - تقدير العالم فى جائزة نوبل ، وتقدير رجال الدين المسيحى الذى عبرت عنه هذه الميدالية

اننا نصلى ان يحفظكم الرب ، وينجح طريقكم ، ويديمكم لمصر وللحق ، والسلام ، وسنحفظ هذه الميدالية فى قلوبنا وذاكرتنا ، كما نحفظها فى المقر البابوى رمزاً وتقديراً .

ختاما لكم خالص محبتنا وشكرنا »

هذا موقف السادات وبعد عدة شهور .. استغربت كيف تحول من محبة الى

صدام معنا .. كانت كلماته واشارته لنا رقيقة .. ثم يعلن فى خطابه اننا نتآمر منذ ٧ سنوات .. كيف ؟!

السادات كان يريد من الأقباط ان يصمتوا مهما أصابهم .. ولو تكلموا .. معناه أنهم يسيئون الى عصره .. وفى نفس الوقت لا يأخذ اى اجراء لحمايتهم !!

• • •

.. بعد زيارة السادات لجامعة اسيوط والمنيا فى منتصف ابريل ١٩٧٦ قابله بعض اصدقائه والمحيطين به واخبرونى بما دار فى المقابلة .. قالوا للسادات : يا سيادة الرئيس انت بنفسك قعدت تذكر الاعتداءات على الاقباط وكل شوية تقول يا محمد (محمد عثمان محافظ اسيوط) انت سمعنى . ما تشيل المحافظ طالما هو سبب هذه المشاكل » .

فقال لهم السادات الحقيقة محافظ اسيوط متعصب .. وايضا مطران اسيوط متعصب . يشيل المطران اشيل له المحافظ !!

قلت لنفسى : اشيل المطران ازاى يارب . هذه محتاجة الى المجمع المقدس ومحاكمة المطران على اخطائه .. وفين الاخطاء التى ارتكبها ؟! اذا كان الاولاد ضربوهم فى الجامعة واخرجوهم منها والمطران هو الذى استقبلهم فى المطرانية . بل عندما اعتدوا على حجراتهم بالمدينة الجامعية فإذا وجدوا صوراً للمسيح مزقوها .. اذا وجدوا الانجيل مزقوه .. واذا كان الصليب كسروه .. غير الضرب والاهانة للأولاد .. هذه حاجات صعبة !!

• • •

يقول البابا شنودة : السادات اتهمنا بالابتزاز فى طلب الكنائس .. واتساءل هل اعطاء فرصة للاقباط لممارسة شعائرهم الدينية يعتبر ابتزازا ؟! .. اى نوع من الابتزاز !!

كما قال السادات : ان الفتنة من ٧٢ الى ٧٨ .. اريد أن أسأل ما هى فتنه ٧٢ .. ما الذى حدث من فتنه .. حرق كنيسة الخانكة . هل كان اعتداء من الاقباط ام اعتداء على الاقباط .. اذن ما هى نواحى الفتنة ؟!!
وما الذى اخذه الرئيس السادات من اجراء حينما حرقت كنيسة ؟!
لا شيء على الاطلاق .

قلت للبابا : السادات قال انها لم تكن كنيسة ولو كانت كنيسة لبنيتها على نفقة الدولة .

قال البابا : حرقت كنيسة قصرية الريحان فى مصر القديمة ولم يذكر شيئا عنها ولا بناها على حساب الدولة ولا حتى كلمة تعزية لكنيسة أثرية قديمة يزورها الناس .. ولا تحقيق عن الحادث .. إنما محاولات لطمس الموضوع .
ثم لنفرض ان هناك بناء للأقباط .. أى بناء وحرق .. دكك وسور - كما قال - هل أصبح من حق الناس وعامة الشعب ان يحرقوا دكك وسور .. ما الاجراء الذى أخذ لا شيء على الاطلاق ..
هل من مصلحة الدولة ان يعطى عامة الشعب التدخل وحرق مكان حتى ولو كان كنيسة بدون قرار جمهورى ؟!! كان لابد للحكومة ان تتدخل فورا قبل ان تحدث فوضى !!

● ● ●

قلت لقداسة البابا : السادات قال ان حنا ناروز عضو مجلس الشعب طلب منه التدخل لحل مشكلة دير الراهبات بوادى النطرون ..

قال قداسة البابا : طبيعى اذا كان للكنيسة طلب أو مشكلة يمكنها ان تقابل احد اعضاء مجلس الشعب من الأقباط ليرسل المشكلة الى رئيس الجمهورية .. وخصوصا ان السادات قال عن حنا ناروز انه كان زميلا له فى الدراسة وهو الذى عينه عضوا بمجلس الشعب . وفى حفل زفاف نجل حنا ناروز ذهب السادات الى الكنيسة وحضر الصلاة وقدم له التهنئة .. هناك صداقة بينهما .. وطبيعى ان صديقه يقول له ان الكنيسة طلبت كذا .. وكذا .

وصدقنى ما قاله السادات عن حكاية دير الراهبات بأنه حلها عن طريق وزير الداخلية فى نفس الليلة .. المشكلة بقيت سنوات ولم تحل إلا فى عهد الرئيس مبارك .

● ● ●

قلت وما رأيك فيما جاء فى تقرير مجلس الشعب عن احداث الفتنة الطائفية فى الزاوية الحمراء ..

قال قداسة البابا : السادات فى خطابه أمر بتشكيل لجنة تقصى حقائق برئاسة محمد رشوان وكيل مجلس الشعب وكان ضمن تشكيل اللجنة اثنان من الأقباط هما حنا ناروز المحامى وامين سر البطريركية كما وصفه السادات وعضو قبطى على ما اظن من اسيوط .. والتقرير الذى قدم لمجلس الشعب هو تقرير فردى من جانب محمد رشوان – ولم يشترك فى اعداده أو التوقيع عليه حنا ناروز وهو موجود ويمكن سؤاله عما حدث .

وليس معقولا ان امين سر البطريركية يوقع على تقرير ضدها وضد البطريرك .. ولكن غالبية ما اعرفه عن هذا الموضوع ان تقرير اللجنة عمل فردى .

قلت لقداسة البابا : هل كان ممكنا تفادى الصدام بين السادات والبابا والكنيسة !!

قال قداسة البابا لقد كان ممكناً تفاديه لانه من الصدامات النادرة بين الحاكم والشعب التى تحتاج كثيرا الى صوت الحكمة فالبديل كان حادث المنصة . واكرر انه كان من الممكن تجنبه ولكن المأساة اكتملت !!

● ● ●

وسألت البابا شنودة .. لماذا لجأ السادات الى تشجيع التيار اليمينى ؟

قال قداسة البابا : الرجل ربما – افتكر ان تشجيع اليمين لمحاربة اليسار يسنده ضد الشيوعية . اليمين كله مسلمون ومسيحيون والكل ضد الإلحاد .

وغالبا عندما جاء السادات الى الحكم لم يكن له قوة تسنده . كانت القوة كلها فى يد الناصريين .. على صبرى زعيم الاتحاد الاشتراكى وشعراوى جمعة وزير الداخلية .. الدولة كلها كانت فى ايدى الناصريين .. وكانوا قوة .. وكان السادات يشعر انه مش قدهم فقضى عليهم فيما يسمى بحركة ١٥ مايو ١٩٧١ .. بعد ذلك من يسنده ؟!!

اخرج الاخوان المسلمين من السجون واعطاهم « كارت بلانش » يسندونه وبدأ بعد ذلك التطرف الدينى من الجماعات الاسلامية .

وحاول السادات القضاء على الشيوعيين ليتقرب الى امريكا .

وفى الحقيقة ناس كثيرون يصفون السادات بذكاء سياسى ولكن فى هذه النقطة ليس فيها حكمة وهو انه ضرب جميع الاحزاب واستبقى الذين قتلوه بعد ذلك . فأصبح اى انسان يريد الانضمام للمعارضة لا يجد إلا هؤلاء .. لان الباقين كلهم ألغاهم .

بينما لو استبقى الباقين فلن يحكموا البلد ولكنهم يعملون توازنا .

قام السادات بضرب كبار الناصريين أولا ثم الوفديين والشيوعيين وبعد ذلك أتى بحزب العمل وعندما بدأ هذا الحزب يمارس عمله كمعارضة تضايق السادات منه وأراد ان يلغيه .

كان السادات ينادى .. بالديمقراطية ولا يحب الحرية !! .. وكما قال عبارته المشهورة « ان ديمقراطيتنا لها مخالب وأنياب » وهذا التعبير عن الديمقراطية لا تعرفه شعوب العالم .. فأين الحرية والديمقراطية ؟!!

● ● ●

من خلال هجوم السادات على قداستك والكنيسة القبطية بأنك دعوت المجمع المقدس الى اجتماع سريع للاحتجاج على اصدار مجلس الشعب للمادة الثانية من الدستور ودعوة الناخبين الاقباط الى عدم التصويت بنعم على تعديل الدستور .. الرئيس السادات فى ١٤ مايو ١٩٨١ .. ما موقفكم من تطبيق الشريعة الاسلامية فى مصر ؟

قال قداسة البابا شنودة : الشريعة الاسلامية حاليا هى موضع حوار بين اشقائنا المسلمين بعضهم البعض ونحن ننتظر نتيجة هذا الحوار .

أما بالنسبة لنا نحن المسيحيين فإن أهم ما نفكر فيه هو ماذا سيكون عليه معاملة المسيحيين اذا طبقت الشريعة ويحتاج الأمر الى طمأنتهم فى هذا الشأن .. على المستوى التشريعى : هل يؤدى الأمر الى انقاص من حقوقهم كمواطنين أو يحرمهم من التمتع بالمساواه ولذلك فحينما ثار جدل حول المادة الثانية من الدستور الحالى ، طالبنا إضافة عبارة : أما بالنسبة لغير المسلمين فلا اكراه فى الدين ، ويتمتعون بالمساواه الكامله مع باقى المواطنين ، وتطبق عليهم شرائعهم فى مسائل الاحوال الشخصية وما الى ذلك .. ولعنا نذكر فى احكام الشريعة الأية القرآنية التى تقول « وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الفاسقون » « سورة المائدة آية ٤٧ »

ولا ننسى انه فى كلمة البابا التى القاها فى اجتماع قادة المسلمين والمسيحيين امام الرئيس السادات فى فبراير ١٩٧٧ انه قال : ومن سماحة الاسلام ذلك الشرع الاسلامى الذى يقول : « وإن أتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون » .

قلت لقداسة البابا بعد هذا الحديث الطويل هل هناك اشياء نتلافى بها وقوع هذه الاحداث مرة أخرى ؟

قال قداسته : كثرة اللقاءات والاختلاط بين المسلمين والمسيحيين والدور الايجابى لاجهزة الاعلام والصحف فى هذه الناحية والنواحى البنائية شىء وتفادى السلبيات شىء آخر .. والأثنان مطلوبان .. النواحى الايجابية لبناء المحبة والتعاطف والخلطة المستمرة بعضهم البعض وتفادى السلبيات والقضاء على اسبابها .

● ● ●

قلت للبابا شنوده .. وما موقف الدولة الآن فى عهد الرئيس مبارك تجاه الاقباط ؟!

قال قداسة البابا : حاليا الدولة تأخذ موقفا حاسما من هذه الأمور ونحن لا نتدخل وعلاقاتنا مع اخواننا المسلمين علاقة طيبه للغاية .. واعتقد ان الجو والمناخ عاد صحيا كما كان .

وطبعا المتطرفون تطرفا شديدا تراهم ضد المسلمين والمسيحيين معا .

واننا نحاول فى كل مناسبة ننتهزها لتوطيد العلاقات بيننا وبين اخواننا المسلمين .. حفلات الافطار الرمضانية التى تقيمها فى الكاتدرائية ويقيمها كل اسقف فى محافظته أو مركزه كانت تترك اثرا طيبا بين الناس .. زياراتنا المتبادلة والتقائى مع فضيلة شيخ الأزهر أكثر من مرة كل هذه أمور تحدث فى مناخ صحى الآن .

الفصل السابع

موقف الصحافة

بعد التحفظ على بابا الاقباط الانبا شنوده فى دير وادى النطرون اسرع موسى صبرى بمقال طويل نشرته صحيفة « الاخبار » فى يوم الثلاثاء ٨ سبتمبر ١٩٨١ - كان الكاتب يعمل رئيسا لمجلس الادارة ورئيس تحرير الاخبار فى عهد السادات - يؤيد فيه - كعادته - قرارات السادات ويصفها بأنها قرارات صائبه ولم يفكر لحظة كيف ان هذه القرارات ضد الأمة بأسرها .. تحفظت على صفوة ابنائها .. ولم يفكر لحظة كيف ستقاسى كل اسرة اعتقل منها فلذة كبدها فى هذه الايام السوداء . ويصف هذه القرارات بانها باترة . ولم يفكر لحظة كيف سيعانى الاقباط من التحفظ على البابا شنودة .. وجاء المقال محاولة « لذبح » بابا الاقباط . « الكاتب القبطى فى الوقت الذى طالب فيه مسلمون كالاستاذ مصطفى امين وعدد كبير من الصحفيين بالافراج عن البابا وكذلك طالب المرحوم عمر التلمسانى المرشد العام للاخوان المسلمين فور الافراج عنه من سجن طره بالافراج عن بابا الاقباط !!

واذكر اننى كلفت من الجريدة بتغطية قضية التظلمات المنظورة أمام محكمة القضاء الادارى فى هذه القرارات الطائشة والتى وصفها موسى صبرى بأنها اخطر من قرار أكتوبر وبأنها صائبة وباترة وجاء الحكم التاريخى للمستشار سعد عوف رئيس المحكمة ضد قرارات السادات ووصف أنه ليس هناك خطر داهم لاستعمال السادات لسلطاته فى المادة ٧٤ من الدستور وبعد ان كتبت هذا الحكم التاريخى لمحكمة القضاء الادارى فوجئت بأن موسى صبرى يشطب الخبر وحيثيات الحكم التاريخية ليكتبه خبرا صغيرا جدا من عدد من الكلمات ليتم اغتيال الخبر ولا يلفت نظر القارىء ؟!! وهذه جريمة بحجب المعلومات عن المواطن المصرى .. وقارىء الاخبار !!

واذكر ايضا أن موسى صبرى مستشار السادات أقسم ألا يمس أنور السادات بكلمة أو تنتقد قراراته وتصرفاته بعد وفاة الرئيس فى جريدة الاخبار .. لمصلحة من ؟! . لست أدرى !!

ماذا كتب كاتب السادات فى هذا المقال الكبير ؟!

كتب يقول : « .. فعل الرجل الكبير بمسئولية رب العائلة أكثر كثيرا مما يحتمله صبر رئيس دولة مثقل بأخطر الاعباء .. فعل ذلك مع الجانبين .

وقد اتيح لى ان اعرف بالتفصيل الكامل ما فعله مع الجانب المسيحى .

اذكر الآن ما لم يعلن .

اجتماع عابدين كان معلنا وكان مذاعا على الهواء .. صلاة رئيس الدولة فى مكتب البابا ليست لها سابقة فى تاريخ مصر .. انه اول حاكم مسلم يؤدى الصلاة فى مكتب بطريرك الاقباط .

افتتاحه للمستشفى الذى اقامته الكنيسة وخطابه فى ذلك اليوم .. معلن ومعروف .

• • •

وكان قد اعلن عن اجتماع عقده الرئيس مع القيادات الاسلامية المسئولة ثم مع قيادات الكنيسة القبطية فى القناطر الخيرية منذ ثلاث سنوات . وتأخر اجتماع الرئيس مع القيادات الاسلامية فطلب من فوزى عبد الحافظ سكرتيره الخاص أن يبلغ البابا باعتذاره عن تأخير بدء اجتماعه بالمطارنه .. وقال له : ولكن سوف تأخذون الوقت الذى تشاءون ولو عشر ساعات .

وكانت لى فرصة حضور هذا الاجتماع .

وقال لهم الرئيس .. وكان رئيس الوزراء يجلس الى يمينه والبابا الى يساره .. افرغوا كل ما فى انفسكم .. قولوا ما تشاءون .. لا حرج من اى قول . انا معكم إلى أى وقت تشاءون .. وسأصدر على الفور كل القرارات التى تحل اى مشكلة .

بل أن واحدا من المطارنة قال للرئيس : هل تعطينى الأمان أن أقول كل ما أريد ...

وكان ردا الرئيس ضاحكا : طبعاً .

وتكلم هذا المطران بأسلوب بالغ العنف .. واستمع الرئيس بلا اى ضجر .. ووعد أن يكون هذا الاجتماع كل عام حتى نقضى على كل المشكلات الصغيرة والكبيرة .

وفى ذلك الوقت كانت هناك حوادث محدودة جدا فى الاعتداء على الكنائس أو بنائها .. أو استكمال بنائها *واعطى الرئيس القرارات للتنفيذ الفورى فى كل المشكلات التى عرضت* التى تقبل التنفيذى الفورى .. واعلن ان باقى المشكلات وكلها خاصة ببناء كنائس سوف تحل وتيسر كل اجراءاتها .. وهذا ايضا قرار .

واشهد انه بعض انتهاء الاجتماع وانصراف المطارنة ان الرئيس السادات *قال لرئيس الوزراء ارسل فورا تعليمات باسمى .. أنا رئيس الدولة .. مباشرة الى جميع المحافظين .. والى جميع مديرى الأمن بأننى لن اقبل اى اعتداء على كنيسة ولن أرحم المخطىء .. والمحافظون ومديرو الأمن مسئولون أمامى* شخصيا عن تنفيذ هذا الأمر .

وقد اعطيت لنفسى الحق ان ابلغ البابا فى اليوم التالى – بهذه الأوامر المباشرة التى اصدرها الرئيس .

● ● ●

وجاءت وزارة أخرى .

وفكر الانبا صموئيل فى ان يزور البابا رئيس الوزراء الجديد (يقصد الدكتور مصطفى خليل) فى شكل تهنئة .. ولكنها زيارة عمل ورحب رئيس الوزراء الجديد

وحدد الموعد فى اليوم التالى مباشرة واستدعى كل المختصين من الوزراء المسئولين ومعهم ملفات كل موضوع يمكن ان يعرض للبحث وانتهى الاجتماع بكل خير .. وقال رئيس الوزراء : يا قداسة البابا .. ان اسلوبى فى العمل هو الاتصال المباشر لمواجهة اية مشكلة حاله .. وارجوك اذا وقع اى حادث ان تتصل بى فى أى وقت .. صباحاً أو ليلاً فى مكتبى أو فى منزلى .. لكى نتعاون معا على اخماد اى شرر قبل ان يستفحل

وامضى رئيس الوزراء فى الحكم حوالى العام والنصف *ونشأت مشكلات فى بعض الجامعات ولم يتصل به البابا على الاطلاق .*

وتفضل الانبا صموئيل بزيارتى اكثر من مرة خلال ذلك للحديث فى *اسلوب حل هذه المشكلات* .. وكنت أردد له : ياسيدى .. لماذا لا يتم الاتصال المباشر بين البابا ورئيس الوزراء والخط مفتوح ثم اخيرا .. استنتجت ان السبب هو ان البابا لايتصل *لان رئيس الوزراء لم يرد له الزيارة .*

وابلغت رئيس الوزراء بذلك .. وأظهر الرجل دهشته .. وقال لى : لقد جاءنى شيخ الأزهر فى زيارات عمل عديدة .. وطلبت فضيلته اكثر من مرة .. ولم أزر حتى الآن شيخ الأزهر فى مكتبه .. وسادخل التعاون الشخصى على حل المشكلات .. بمثل هذه الشكليات . واذكر خلال تلك الوزارة *ان وقعت احداث فى جامعة بإحدى المحافظات* (يقصد جامعة اسيوط) .. وكان الطرف المسلم يرى ان المطران رجل عنيف .. وكان المطران المسيحى يرى ان المحافظ متحيز للجماعات الاسلامية .

وذات يوم علم رئيس الوزراء ان الجامعات الاسلامية تريد ان تصادر اجتماعا يحتفل فيه الشباب المسيحى بعيدهم . وطلب المحافظ على الفور واصدر اليه الأمر الحاسم : يجب ان يحتفل الشباب المسيحى بعيدهم .. وأنت المسئول امامى شخصيا عن ذلك وتم الاحتفال وكان *رأى رئيس الوزراء تهدئة لاجواء الشحن فى هذه المدينة* .. أن ينقل المحافظ .. وأن *ينقل المطران* .. بعد أن تحولا الى طرفى احتكاك فتهدأ الأمور .

ولكن *البابا رفض نقل المطران* على اساس ان التقاليد الكنسية تمنع النقل الى أن يموت فى موقعه .. وكان من الممكن النقل بأسلوب غير مباشر .. بالندب مثلا .. بتكليفه بمهمة كنسيه فى مكان آخر .. كان من الممكن ايجاد سبيل ولكن اقتراح رئيس الوزراء قد رفض

● ● ●

قرار الابعاد

وبعد .. فإننى اعرف ان قرار ابعاد قداسة الأنبا شنوده عن منصب البابا يمكن ان يكون له تأثيره العاطفى فى قلوب الاقباط بصفة عامة *لانه له سامقة واحدة فى التاريخ* المصرى الحديث .. ولأن منصب البابا يحمل رمزا دينيا للمسيحيين الاقباط . وأعرف ايضا ان بعض الشباب المشحون قد يرى فى هذا القرار إيلاما لمشاعره . ولكن طرح الحقائق .. هو الاسلوب الأوحد .

ان لقداسة الانبا شنوده كل احترامه كرجل دين .. *يؤدى رسالته الدينية فى الدير* الذى اختاره دائما لأيام إعتكافه . وهذه علاقته مع الله التى لا يمكن أن يمسها انسان .

ولا ينكر أحد أنه على علم غزير .

أما المسئولية فى منصب البابا فهى منهج عمل .. وهى أكبر الخطر اذا هى لم تدرك ابعاد الالتزام بما ينقذ مصر كلها .. الاقباط والمسلمين .. *من كارثة حرب طائفية* .. تحولنا الى لبنان أخرى .. أو إلى ايران أخرى .

وأرجو أن يفهم الشباب الاقباط المتأثرون بعملية الشحن .. اننى لا أكتب هذه السطور لاننى « *كلب السلطة* » .. السلطة هى سلطة مصر . لا سلطة استعمار ولا سلطة حاكم متعصب .. السلطة هى الحكم الوطنى . *السلطة هى أبى وأخى*

أنور السادات . أب كل مواطن وأخ كل مواطن السلطة هي القائد الذى حرر مصر من الاستعمار السوفيتي والاستعمار الاسرائيلى .. السلطة هى الزعيم الذى اعطي شبابه وحياته من أجل مصر . السلطة هى رب العائلة الذى عرف الفقر والمعاناة وعاش الشارع المصرى بكل دمه ونبضه .

اكتب هذه السطور عن اقتناع كامل بأن مصر كانت مقبلة على كارثة .. وليس هذا رأيا جديداً لى .. بعد أن صدر القرار بابعاد البابا شنوده .

هذا رأيى الذى حاولت بكل جهدى أن اقنع به البابا خلال سنوات *التيسير* لا *التعسير* . المرونة لا الصلابه .. المسئولية الدينية لا المسئولية السياسية .. التهدئه الايجابية .. لا مواقف السلب . اختيار الوقت المناسب للمشكلة المناسبة . *ترك القرار لرئيس الدولة* لانه راعي الجميع وأب الجميع .. حاكم مسلم لا يعرف شيئا اسمه تعصب . حاكم مؤمن يثق فى المسيحى كما يثق فى المسلم .. لا يغمط حق أحد بسبب دينه . ليس هو فقط . اسرته ايضا . كل افراد اسرته ولكن لا يمكن ان يكون مصير البلاد كلها .. وهناك العناصر المتطرفة من الجانبين التى ادخلت السياسة فى الدين . متروكا للحلول الوسط .. أو الحلول التى تراعى اى اعتبار شكلى أو تقليدى .. ألا انقاذ مصر من هلاك محقق .. وخاصة بعد أن دخل بعض السياسيين من الاحزاب المعارضة فى اللعبة الخطرة .. وأرادوا ان يشعلوها ناراً تأكل كل المسلمين والاقباط .. لشهوات سياسية أتفه من ان يضحوا فيها بوحدة شعب .. ووحدة مصير .

لا افهم ان هناك شعبا قبطيا فى مصر .

افهم ان هناك اقباطا هم جزء لا يتجزأ من شعب مصر .

اخطر من قرار أكتوبر

ان هذه القرارات الضاربة لكل جذور الفتنة الطائفية الحامية لمصر .. مصر الأم لكل ابنائها من مسلمين واقباط *ولم يكن ليستطيع ان يصدرها إلا أنور السادات* .

الأمر جد وخطير .

لقد وصل التسيب الطائفى الى نقطة التحول الحاسمة أما ان يتقدم القائد أب الجميع .. والذى شاء له قدره ان يتحمل أثقل امانه .. ليصدر اخطر القرارات الشجاعة التى تنقذ مصير هذا البلد .

أما ان يتقدم صاحب قرارات مايو .. وطرد الروس .. وحرب أكتوبر .. ومعاهدة السلام *لكى يتصدى بشجاعته* الخارقة وبكل عطائه للتراب المقدس .

اما ان يتقدم الرجل للانقاذ .. *مستجيبا بحسه الوطنى الى أمل الجماهير* فى الانقاذ .. مصارحا شعبه بكل الحقائق وأما ان يطوينا الهلاك جميعا الى مصير لا يعلم إلا الله مداه .. ومنتهاه .

نعم القرارات فاصلة .. وحاسمة وقاطعة وباترة .. واذا كانوا يعتقدون ان معظم النار من مستصغر الشرر .. فإن الشرر فى حالتنا تجاوز الحدود الصغيرة .. وأصبح الحريق يهدد كل العائلة .

لم تعد مرحلة الحلول الوسط .

لم تعد مرحلة تكرار التحذير ثم التحذير .

لم تعد مرحلة قرارات تدور حول النار دون ان تخمدها تماما .

انها مرحلة القرار الباتر الشجاع .

.وعندما تصل الاستهانة بالمسئولية القومية الى حد قول بعض السياسيين

المنحرفين .. هذا ما يردده موسكو ودمشق وطرابلس *ان الحكومة هى التى افتعلت الفتنة الطائفية* وهى التى حرضت عليها لكى تلهى الشعب عن الديمقراطية .. فإن هذا بحث خطير .. ايه حكومة مجنونة تحرق شعبها كله لكى تلهيه عن الديمقراطية .

وهؤلاء اللاعبون بالنار .. هل كان يمكن ان يتكلموا إلا في ظل الديمقراطية .
لقد كانوا يتصورون ان كلمة الديمقراطية تمنع القائد من اتخاذ القرارات الباترة ..
الديمقراطية هي التعبير عن الشعب .. واللجوء الى الشعب وحماية الشعب .

والشعب حول أنور السادات .

وقرارات ضرب الفتنة .. هى فى رأى اخطر من قرار حرب أكتوبر .

لقد حررنا قرار أكتوبر من الاستعمار والمهانة .

«قد حررتنا قرارات ضرب الفتنة .. من أن نهلك جميعا » .

● ● ●

هذا المقال توجد فيه علامات استفهام كثيرة ؟!! تحتاج الى تعليق ونتساءل أولا :

● هل السادات اصدر هذه القرارات التى تحدث عنها كاتب المقال ؟!!

● وهل حدث كل عام اجتماع السادات مع الاقباط ؟!!

● واين هذه القرارات ؟!!

المشكلات والاعتداءات التي وقعت في الجامعة هل معقول لا يعرفها رئيس الوزراء مصطفى خليل ويحتاج الى اتصال البابا به لا بلاغه بها .. وما هو عمل وزير الداخلية ؟!!

● ماذا فعل السادات ازاء الاعتداءات على الاقباط في الجامعات ؟!!

والتعليق ما يلى :

● لقد حدثت اعتداءات على الاقباط رغم تعليمات السادات وهذه

المشكلات والاعتداءات يعرفها رئيس الوزراء وقد بلغت اليه .. ولكن الاستاذ موسى صبرى حول النواحى الموضوعية الى نواح شخصية !!

● والاستاذ موسى صبرى الذى طالب البابا ان يبلغ رئيس الوزراء يؤكد فى مقاله ان هناك اجواء شحن فى اسيوط .. اذن رئيس الوزراء يعلم بهذه الأجواء ..

● السادات لم يتخذ من القرارات لحماية الاقباط من الاعتداءات عليهم ولم ينقل محافظ اسيوط محمد عثمان إنما تم نقله فى عهد الرئيس مبارك لتهدئة الموقف فى اسيوط .

ويستمر الكاتب الصحفي موسى صبرى فى هجومه العنيف على الانبا شنوده بابا الاقباط والرمز الروحى لهم جميعا .. يؤلف كتاباً عن السادات « السادات الحقيقة والاسطورة » وخصص فيه بابا كاملا للهجوم على قداسة بابا الاقباط .. ولم يكتف بذلك .. بل فى حديث مع جريدة « الانباء » الكويتية يوم ١٠ ابريل ١٩٨٩ جاء فيه بالنص عن البابا شنوده :

● ذهبت الى اسرائيل متحديا قرار البابا بمنع المسيحيين من زيارة اسرائيل والتعامل مع الاسرائيليين فما ردك ؟

● ● متى أصدر البابا هذا القرار ؟!! .. لقد سافرت الى اسرائيل مع الرئيس السادات ولم يكن البابا قد أصدر قراره . وحتى اذا اصدر البابا قرارا بذلك فأنا مالى ، ليست للبابا أى سلطات سياسية .

● بل كان القرار دينيا يتعلق باليهود الذين صلبوا المسيح ؟

● ● لم يكن البابا رافضا للسلام مع اسرائيل ولم يكن هناك أحد فى مصر يرفض ذلك . سافرت مع السادات الى اسرائيل ثم أحد زعماء المعارضة كان معنا « مصطفى كامل مراد » وهو الأن ضد التطبيع ولم يكن كذلك عند سفره !! ثم اننى مقتنع ان سلطات البابا سلطات روحية فقط .. يقيم الصلاة .. ويدعو الناس

الى العبادة وليس لاى رجل دينى مسيحى أو عالم اسلامى هذه السلطة السياسية ولا اعتبر نفسى مكلفا بالخضوع لتلك السلطة ان وجدت .

● ولكن الخلاف بين الكنيسة واليهود هو خلاف دينى وليس خلاف سياسي . وقرار المقاطعة يقوم على اسس دينية وليست سياسية ؟

● ● انني مؤمن بكل الأديان .. انني مسلم .. ومسيحى .. ويهودى فى نفس الوقت انا مؤمن بالله وكتبه ورسله .

● هل انت مسلم ؟

● ● اذا كان هذا هو الاسلام فيمكن ان تعتبرنى كذلك أنا ارفض التعصب لأى دين أو اى فكرة واعتبر التعصب تخلفا . أنا اضع المصحف والانجيل تحت وسادتي وكان اقرب الاصدقاء الى نفسى هو الشيخ الباقورى رحمه الله .

● على ذكر ذلك يرى البعض ان حملاتك على الاتجاه الدينى تحمل شبهة طائفية فما ردك ؟

● ● أنا مواطن مصرى لست ضد العبادة ولست ضد التدين أنا مؤمن بما قاله غاندى « أنا اطالب المسلمين ان يكونوا أكثر اسلاما والمسيحيين أن يكونوا أكثر مسيحيه وأطالب الهندوك أن يكونوا أكثر هندوكيه » .

● هل تعتبر نفسك متدينا ؟

● ● نعم أنا متدين .

● لماذا لم تهاجم التعصب المسيحى ؟

● ● لقد فعلت ذلك كثيرا وهو السبب فى خلافى مع البابا .

لقد هاجمت التعصب المسيحى والاسلامى ولما هاجمت المسيحيين المتعصبين قاطعنى البابا .

● هل تصلى فى الكنيسة ؟

● ● نعم لانه ليس للبابا دخل فى صلاتى .

● كيف قاطعك البابا اذن ؟

لا يدعونى الى الاحتفالات التى تقيمها الكنيسة ولا الى الاجتماعات أو المناسبات الاجتماعية فيها .

● ● هل هناك حرمان بابوى صدر فى حقك ؟

كلا . الكنيسة مفتوحة لأى أحد ولكل الناس . أرحب بالعبادة والالتقاء الروحى بين الانسان وربه .

انتهى حوار موسى صبرى مع جريدة « الانباء » عن البابا .. ولكنه لم ينته بعد .. !!

التعليق : إهماله أفضل !! .. لأن الكنيسة وقيادتها والاقباط قد رفضوا التطبيع وزيارة القدس إلا مع المسلمين .

فى كتابه « السادات .. الحقيقة والاسطورة » قال موسى صبرى :

ثم جاءت الانباء من الخارج ان الاقباط المصريين فى أمريكا سوف يجتمعون للاحتجاج فى مظاهرات خلال لقاء كان قد اعلن عنه بين الرئيس الامريكى كارتر وإسماعيل فهمى وزير الخارجية .

واتصل بى الرئيس السادات وطلبا منى ان اتدخل لدى البابا شنوده .. واعتذرت للرئيس السادات عن عدم التدخل لأن وجة نظر البابا انى لا اخلص النصيحة وأنى فقط أدافع عن موقف السادات .

ولكن الرئيس السادات قال لى : أبلغه بأى طريق تشاء .. انه اذا لم يعدل عن مثل هذه التصرفات فاننى سأصدر قرارا من سطرين بالغاء القرار الجمهورى بتعيينه .

وكان ذلك فى الاسبوع الاول من سبتمبر ١٩٧٧ .

يقول البابا شنودة اثناء محاصرتى بقوات عسكرية لم أعرف تماما ما هو موقف الصحافة فى هذا الوقت لاننى لم أتمكن من قراءة الجرائد حيث انها لم تصل لى بسبب الحصار .

ولكنى عرفت بعد ذلك ان أكثر الذين كتبوا ضدى هما طلعت يونان وموسى صبرى من الصحفيين .

طلعت يونان كتب مقالا خطيرا جداً « بالأهرام » بعد قرار السادات بحوالى خمسة عشر يوما استاء منه جميع الاقباط .. وفى اليوم التالى توفى طلعت يونان !

وقيل لى أن الاستاذ موسى صبرى كتب مقالا .. لم أقرأه .. والعجيب من جهة الاستاذ موسى صبرى انه حضر اللقاء الذى تم بيننا وبين السادات فى استراحته بالقناطر الخيرية وحضر هذا الإجتماع السيد ممدوح سالم رئيس الوزراء فى ذلك الوقت ولم يحضره من العلمانيين سوى شخص واحد هو الاستاذ موسى صبرى وقدمه السادات لنا بأنه كان زميله فى معتقل الزيتون وكان السادات قد اعتقل بصفته من الضباط الاحرار وموسى صبرى بصفته من الكتلة الوفدية .

وحينما كتب الاستاذ موسى صبرى كتابه عن « السادات » لم يذكر عن هذا الأجتماع سوى انه تم فى ٤ ساعات ونصف ولم يذكر شيئا اطلاقا عن تفاصيل هذا الأجتماع .. بينما قال لنا السادات فيه : « أنا لا أقبل لكم مثل هذا الوضع . أنا لم أكن أعرف ان حالتكم بهذا الشكل . واحنا نبتدى من جديد . ولعله - موسى صبرى - لو ذكر تفاصيل اللقاء كما هو لكان يعطى صورة عن الاقباط أكثر وضوحا وعن الأسباب التى جعلت الاقباط يتعبون فى تلك الليلة .

أما من ناحية ان السادات ابلغة باصدار قرار فى سبتمبر ١٩٧٧ بالغاء قراره الجمهورى .

يقول البابا شنودة : مستحيل ان يكون هناك تفكير من هذا النوع فى سبتمبر ١٩٧٧ لان السادات قابلنا فى القناطر الخيرية وانتهت المقابلة نهاية ودية طيبة ولم يكن هناك شيىء على الاطلاق فى عام ١٩٧٧ .

ربما مايقصده من رغبه للسادت فى مثل هذا القرار ماذكره فى خطبه القاها فى ١٤ مايو ١٩٨٠ وقال فيها : أنا كنت سأتخذ اجراء عنيفا جدا ولكن احدى بناتى بعثت لى جوابا بكلمات عاطفية تأثر السادات لها فألغى القرار .

ولكن اعتقد ان السادات ما كان ممكناً ان يصدر قرارا فى ذلك الحين لعدة أسباب أهمها ما يلى :

أولا : الموضوع لم يكن قد استكملت دراسته ولم يكن السادات قد التقى ببعض الأقباط الذين مهدوا له فى هذا الخط .

ثانيا : كان يبدو للسادات إنه اذا صدر قرار جماعى بالقبض على المسلمين والاقباط معا ، يكون هذا الأمر بالنسبة له مناسبا .

ثالثاً : كان السادت ينتظر مجالا يستخدم فيه سلطاته الاستثنائيه ولم يكن قد حدث فى ذلك الحين ما يبرر به استخدام السلطات الاستثنائية .

رابعاً : كما ان البابا ظل على صلته بالسادات ويحضر جميع الاجتماعات الرسمية الى أوائل سنة ١٩٨٠ بل ما هو أكثر من هذا ان السادات حينما اهدى ميداليه السلام ارسلها الى البابا وقال له لست أجد شخصاً يستحقها غيرك .

خامساً : فى أكتوبر ١٩٧٧ جاء السادات لزيادة البابا للمرة الثانية فى مقره البابوى فى منطقة الأنبا رويس لارساء حجر الاساس لمستشفى مارمرقس وتكلم السادات وتكلم البابا واذيع الاحتفال فى التليفزيون وفى الصحافة وكان له اثر طيب . وكان يبدو ان المناخ فى ذلك قد بدأ يعود الى وضعه الطبيعى . بل ان البيادات ايضا وعد البابا بأن الدولة ستبنى فى كل مدينة جديدة كنيسة وجامع ونفذ هذا فعلا فى مدينة العاشر من رمضان حضره الشيخ بيصار والبابا والمهندس حسب الله الكفراوى والبرت برسوم وكان حفلا طيبا اشترك فيه البابا والشيخ بيصار فى وضع حجر اساس الكنيسة والجامع .. وتسلمنا الكنيسة بعد بنائها .. كل هذه الأمور كانت فى أواخر عام ٧٧ توحى بأن المسائل بدأت تعود الى وضعها الطبيعى .

أما ان كان السادات فى ساعة غضب قد ابلغ الاستاذ موسى صبرى بكلمة معينة وعاد فسحبها لانها قيلت فى لحظة انفعاليه لا تدل على مشروع جدى فى اصدار قرار .

● ● ●

على مدى الاحداث فى شهر سبتمبر ٨١ كتب طلع يونان اربع مقالات فى « الاهرام » وبعدها توفى يوم ٢٤ سبتمبر من نفس الشهر ..

كانت المقالة الأولى فى يوم ٩ / ٩ / ٨١ بعنوان « النقط فوق الحروف .. التصحيح الثورى للفتنة الطائفية » .. ونص هذا المقال ما يلى :

دخل الرئيس محمد أنور السادات تاريخ البطولات بخروجه من المعركه ضد الطائفية والتعصب منتصراً مؤكدا ان ظاهرة بطولته تتجدد مع كل حدث فالقائد التاريخى الذى صنع للأمة المصرية والعربية كلها اغلى انتصاراتها وكان ولا يزال أعظم العمالقة فى نضالهم وفى تاريخهم الحديث قبض بألمعيته المعتادة على عنق مشكلة « التعصب والطائفية » وأوضح للرأى العام كله ان الأزمة الطائفية كأى أزمة - هى بطبيعتها مجموعة عقد وتيارات وأخطاء ومواقع متصادمة ومخططات داخلية وخارجية وتدرج الرئيس فى كشف أسرار هذه الأزمة الطارئة بذكر الوقائع الصحيحة عنها ومراعاة تسلسلها وتحديد حجم كل عنصر من عناصرها وأيها كان الحطب .. وأيها كان الزيت .. وأيها كان عود الثقاب .

وأقدم الرئيس السادات على ما لم يجرؤ عليه أى زعيم قبله فى هدم الحاجز النفسى الذى أوجدته الفتنة الطائفية بين قطاعات من المسلمين والمسيحيين وتفريغ الشحنات النفسية الكامنه داخل النفوس من الجانبين وذلك بتأكيده على الحقائق التالية :

● أولا : أن الحوادث الطائفية سببها الرئيسى الاعتماد على المبالغة أكثر من الاعتماد على الحقائق التى اسهم فيها البعض بسوء نيه والبعض الآخر بحسن نيه دون ان

يفطنوا ان بث التفرقة والكراهية بين الطوائف هو السلاح الذى يستخدمه الاستعمار لاضعاف جلد الأمة وصرفها عن قضيتها الاساسية وهى التحرير والتعمير .

وأن العقل وحده هو الذى تعطل وان الفكر وحده هو الذى ألغى وعزل بواسطة الارهاب الطائفى المتعصب ووسط زوابع التطرف الدينى والغوغائية الدعائية التى حاولت اعطاء الطائفية مبررات عقائدية .

وقد اعاد الرئيس بخطابه التاريخى للعقل حقه فى ممارسة وظيفته الاساسية بموقف ثورى تصدى للثورة المضاءة التى عادت بنا الى ذهنيه بالية وما رافقها من تطرف دينى واستفزازات عاطفية وغرائزية واستقر فى الأذهان ان قرابة المسلمين والمسيحيين فى مصر هى قرابة دم من الدرجة الأولى ولها تاريخ طويل من الحياة الواحدة والنضال الواحد .. بل حتى والموت الواحد وان أكبر المصائب التى تلحق بأمتنا المصرية هى ان ترى فى صفوفها من يستغل اسم الدين فى العداء للدين ويرتضون لانفسهم ان يكونوا كجهاز التسجيل الذى يريد اى شريط يوضع عليه .

● ثانيا : احتواء بعض التيارات الدينية المتطرفة التى وفدت الى مجتمعنا قطاعا من الشباب مستغلة براءة الشباب المصرى واتجاهه نحو الدين فاتجهت به هذه التيارات نحو العنف وفرض القوة والارهاب فى تصرفاته وسلوكه وان هذه العناصر المتطرفة التى تتستر وراء الدين يجب ان نحمى شبابنا منها ليتجنب هذ المزالق السياسية الخطيرة ، وليتمسك شبابنا فى مواجهتها بأقوى سلاح وزعه الله علينا بالمجان وهو « الايمان » وبذلك يبتعد عن الحقد الشرس الذى يجابه به من اليمين المستسلم واليسار المتوطىء .

● ثالثا : أوضح الرئيس بجلاء للرأى العام كل مخططات التشكيك الطائفية التى تبذل تحت ستار الدعوة الدينية والتجاوز فى استخدام المنابر الدينية فى أمور سياسية .

وكل مصرى سببت له الوقائع والحقائق التى ذكرها الرئيس اشمئزازاً ذهنيا والاجماع على ضرورة التزام الدعوة الدينية والعظات الدينية بشرح احكام الدين

دون التجاوز الى توجيه انتقادات أو مطاعن فى النظام أو فى الأديان الأخرى !! لانه لا يصح ان نصل الى الدين بغير دين . وعلى قيادات الدين التى سدت اذانها فى الماضى بالتصفيق الذى حال بينها وبين رؤية الأخطاء والخطايا ان تستيقظ اليوم على الحقيقة .

● رابعاً : الدور الذى لعبته بعض الجمعيات فى القيام بتوزيع منشورات تنطوى على اساءة للاديان الأخرى أو القائمين عليها أو بنشاط طائفى دون ان يتوافر للقائمين عليها ادراك سليم لاحكام الدين والبعد عن التعصب الذميم واذن لابد من وقفه حساب مع كل هذه الجمعيات بأن استرعى الرئيس النظر الى مكان الخطر من نشاطها الهدام . وبعض هذه الجمعيات تحول الى نوع من الاحزاب السياسية غير المرخص بها والتى نجحت جميعا فى الفشل !!

● ● خامساً : التصدى الثورى للقيادات الدينية الذى أصبح السكوت على تصرفاتها جريمة قومية . لان هذه القيادات تريد ان تعود بالبلاد الى حكم رجال الدين - كما هو الحال فى مذابح ايران - حين فشلت فى ان توفر للمواطن المسكين لا خبز القمح ولا خبز الجنة !!

وسياسة هذه القيادات قد صممت على استغلال الحوادث الفردية التلقائية التى تحدث بصورة عفوية وتصويرها فى صورة الصدور عن التعصب وعلى اختلاق الحوادث والمؤامرات اختلاقا وعلى استعمال بعض الاتباع فى اشعة الاستفزاز المتعمق واصطناع المعارك والتراشق بما يثير الحوافظ وبما يضطرب به السلام ومع ذلك تبدو دعايتها كما لو أن لها أصلا من الواقع والحقيقة فما أدى بالغرائز الطائفية ان تصطدم وان تهدم بما يعد عندنا ابعد ما يكون عن تقاليدنا وعادتنا واخلاقياتنا .

● ● ●

حقا لقد اثبت الرئيس السادات بخطابه التاريخى الثورى انه قيادة موهوبة تملك وضوح الرؤيا وتملك الارادة القادرة على الحسم فى المواقف التاريخية الحسم بحلول

جذرية – لا بتقديم مسكنات وقتيه مما يهدد بعودة الداء الكامن الى الظهور اشد خطراً وفتكاً وأكد الرئيس – لمصر وللعالم كله – اننا اغلقنا والى الأبد صفحة التعصب الدينى وكل صور الالتهاب الطائفى واستخدام الدين لاغراض شخصية أو سياسية وانتهى اسلوب ترك « الحبل على غاربه واللعب للاعبه » .

فإذا اراد احد ان يغير النفوس بفكرة خاطئة فلنرده الى الصواب ونذكره بالواجبات الوطنية . والدروس التى تعبر افق الحياه من حولنا فى لبنان أو ايران .. هذه الدروس لا تبقى لحريص عذرا .. وكفانا الحزبية التى تتعصب والطائفية التى تنحزب « ولنتمسك بثورة الشعب الواحد والعنصر الواحد للوطن الواحد » .

وليعلم العالم كله ان المسلمين والاقباط كانوا على مدى الاجيال نبضاً وطنياً واحداً .. وكتيبة شجاعة واحدة فى كل معارك مصر . معارك التحرير ومعارك التعمير معا !!

ان الموقف الذى عالجه الرئيس بالتصحيح الثورى وبالحل الجذرى هو اصعب المواقف وكاد يحدث شرخاً بين ابناء « الاسرة المصرية » وانتصرت مصر .. لانها الوطن والقضية وكان لابد ان نركع لمجد مصر وعزة مصر طالما اننا كلنا من اكبر كبير الى اصغر صغير نعتبر انفسنا خداما فى هيكل هذا الوطن يتجدد بنا وفينا .. ونتجدد به وفيه .. جيلا بعد جيل .. بعد جيل !!

وفى يوم ١٦ / ٩ / ١٩٨١ كتب طلعت يونان مقاله الثانى بعنوان « نعم » للميلاد السياسى الجديد » جاء فيه :

من هنا .. ولعدة اسابيع متصلة تظل عيون العالم واذانه مركزه على « القاهرة » تحاول ان ترى وتسمع كل حركه .. وكل همسة فى الموقف الداخلى المصرى فى ظل « الميلاد » السياسى الجديد على مستوى الشعب المصرى بأكمله واعداد الجماهير نفسيا .. وفكريا .. وعمليا لاعباء مسئولياتها فى المرحلة القادمة .. لان « القاهرة » عاصمة مفتوحة .. والتحركات فيها مرئية .. وصوت الحوار مسموع فى ظل حكم الشورى ..

وقد دلت ارقام الاستفتاء التاريخى عن الالهام الذى يعطيه صناع التاريخ وقادة التحولات الكبرى . وكانت نبضات قلوب الملايين التى قالت « نعم » فى أروع مشهد شعبى تعلن ان الرئيس السادات هو التعبير المجسم عن ارادة امة وأمال شعب وهو الذى فجر اراداتها وفرض كلمتها وأعلى قدرها بقوتها ومكانتها وحضارتها واصالتها .

واعطت الملايين صوتها لسلطان القانون يحمى الطريق من قطاع الطرق الذين استغلوا الدين فى محاولة لهدم الوطن وذلك بلا رحمة ولا هوادة !!

وكانت كلمة الشعب هى ضمير الايمان ايمان الجميع مسلمين واقباطا حباً ولقاء .. سماحة وصفاء .

وكان للاستفتاء دلالته .. وحكمته وقد أجاب على سؤال محدد هو : هل نحن شعب واحد .. ام اثنان ؟!

وكان الجواب : ان مصر منذ فجر تاريخها - وهى النموذج المثالى للوطن الواحد .. والشعب الواحد .. والرئيس الواحد .

والفتنة الطائفية ولدت على أرضها وفرضت على شعبها يوم حاول البعض سامحه الله خلق الكيان الذاتى أو الاستقلالى للاقباط والنظر الى البطريركية على انها رئاسة للاقباط على نقيض الفهم السليم للوطنية الصادقة بأن الاقباط جزء لا يتجزأ من نسيج هذه الأمة لا رئاسة لهم إلا لرئيس الجمهورية وان البطريركية مجرد رئاسة للكنيسة الوطنية فقط !!

وقد تصدى الاستفتاء ولذلك وتحدى الفكر الدخيل من غير ان يتخاذل أو يساوم أو يتردى .

● ● ●

وفى مقاله الثالث بتاريخ ٢٣/٩/١٩٨١ بعنوان « الحصانة ضد الفتنة الطائفية » وفيما يلى نص المقال بالكامل :

« الطائفية » بكل مرارتها ما برحت ساخنة دامية تنكىء بعنف جراح الكرامة الوطنية للانسان المصرى مع انها فشلت فى ان تستوعب الانسان المصرى فى قالبها أو تستأنسه لواقعها وذلك على الرغم من تصدد وتراكم محاولات الاستيعاب والاستئناس . المباشرة وغير المباشرة !!

والوحدة الوطنية - فى هذا الصدد - ليست نوبة من نوبات الحماس العاطفى وانما هى احتياج موضوعى ملح لا بديل له والتضحيات فى سبيلها تهون - ايا كان حجمها أو نوعها !!

ولقد ترجم الرئيس السادات هذه الحقيقة خلال اجتماعه باللجنة البابوية حين طالبهم بدعم الوحدة الوطنية - طبقا لخط مصر القومى - والتركيز على تنظيمات الشباب والاجتماعات التعليمية وكل ما هو فى نطاق الكنيسة وذلك بعد اعلانهم جميعها تأييدهم المطلق للرئيس للتغير الذى جاء خاصا برئاسة الكنيسة لان مصلحة الكنيسة فوق الاشخاص وتعهدهم بحشد « كل » الاقباط وتعبئة طاقاتهم الوطنية فى التصدى للطائفية بعد ان ثبت انها تجربة مفلسة !!

● ● ●

والواقع ان « الفتنة الطائفية » الرابح فيها خاسر .. والمقتول فيها كالقاتل كافر عند الله والوطن !! ولابد لنا اليوم - مع بداية عهد جديد لرئاسة الكنيسة القبطية الوطنية - من وقفة تقيم للعيوب والنواقص والاخطاء التى ساعدت على اشتعال « الفتنة الطائفية » فى عهد الرئاسة السابقة !! لأن اية ازمة صغيرة كانت ام كبيرة تتحول الى ومش ضار مالم يوضع مخطط لاحتوائها .

والمطلوب رؤية مستقبلية واضحة تتصدى للمشكلة - ايا كان حجمها ونوعها - منذ بداية تكوينها .. والعمل الحقيقى المسئول هو اضطلاع وتمرس ليس فى سهولة النظريات التى هى عملية سهلة !!

وقيادة الكنيسة الجديدة تفهم رسالتها على أنها نهوض بالمسئوليات وبذل منتج يوازى الابداع فى صحة الرؤية ومستوى الطموح والقدرة على احتواء المشكلات قبل نشوئها - أو أقله - منذ بداية نشوئها .

ولاشك ان ما تحتاج اليه (اللجنة البابوية) اليوم - بل والشعب كل فى مصر - هو جرعة من الحقيقة بكل ما فيها من المرارة .

وقد رأينا من اقدس واجباتنا ان تضع هذه المعلومات الصحيحة التى اسهمت فى الفتنة الطائفية نقلا عن لجان تقصى الحقائق بمجلس الشعب ليعرف كل مسئول فى موقعه الجديد كيف يميز ويفكر ويحكم .. وحتى لا تتكرر تلك الاحداث المؤسفة وعلى العقل ان يبصر ما وراء الحقائق والكلمات فاهواء اللحظات لا تدوم .. والشعوب دائما هى التى تملك الكلمة الأخيرة ..

فقد أكدت جميع لجان (تقصى الحقائق) البرلمانية . ونصف الاعضاء بها جميعا من الشخصيات العامة القبطية - ان الحوادث التى وقعت للمسيحيين يتم تجسيمها بصورة تشوه الحقائق كما يتم تضخيمها والمبالغة فيها وتصويرها كمخطط اضطهاد المسيحيين ونسف الكنائس بالقنابل وسحل الاقباط وقتلهم بطرق وحشيه بربرية .

اما الحوادث التى تقع من المسيحيين على المسلمين بطريق - الافتعال - أو التى تقع كجرائم فى المجتمع فلا يتم تداولها حيث ان الدولة تقيدها حوادث فردية .

وهذه هى الحقائق .. بل الوثائق .

● لم يحدث اى اعتداء اسلامى على كنيسة ما فى ارض مصر كلها لان كل كنيسة فى مصر أنما هى فى قلوب ابناء مصر جميعا لها كيانها واحترامها وما أذيع واشيع عن حرق كنيسة قصرية الريحان الأثرية الثمينة التى تعد ملكا للحضارة المصرية فى عام ١٩٧٩ فقد قرر خبير المعمل الجنائى وهو مسيحى - ان سبب الحريق شمعه تركت سهواً على مكونات خشبية !! وحرق دير الفاخورى فى جبل أسنا عام ١٩٧٧ كان بسبب سرقة عادية ولا توجد أية اسباب طائفية وراء الحادث ..

وسرقة متعلقات كنيسة دير الرسل المرقسية بقرية اطفيح مركز الصف فقد ثبت من التحقيق القضائى ان كاهن الكنيسة ارسلها لبعض المسيحيين لاثارة نعرات طائفية .

والحريق الوحيد لكنيسة قبطية هو ذلك الحريق المجهول الهوية الذى وقع لاكبر كاتدرائية بناها الاقباط فى المهجر من أموالهم الخاصة وهى « كاتدرائية مارى جرجس والانبا شنوده » بمدينة جرس سيتى بولاية نيوجرس الامريكية يوم ١٩٧٨/٤/٢٣ اى ثانى ايام عيد القيامة المجيد وتبلغ الخسائر حوالى مليون دولار .

● لم تشهد مصر اية حوادث طائفية دموية - كما تصور فى الخارج - فقضية التوفيقية مركز سمالوط جنايات ٩٣ لسنة ١٩٧٨ كلى المنيا هى مجرد قضية ثأر اتخذت ثوب الطائفية .

وقد طلب الانبا بفانيتوس اسقف سمالوط من النائب العام فى ٧ / ١١ / ١٩٧٨ حفاظا على الوحدة الوطنية حفظ القضية بعد أن تم الصلح بين الطرفين إلا ان رئاسة الكنيسة السابقة رفضت هذا الصلح ووجهت اللوم للأسقف الوطنى !!

● حوادث خطف الفتيات القبطيات ثبت من التحقيق القضائى والبرلمانى انها جميعا لم يحدث فيها اكراه أو اغتصاب بشهادة بعض اعضاء المجلس المحلى العام !!

● افتعال حوادث كحريق بمنزل بأبى زعبل مركز الخانكة فى عام ١٩٧٨ فقد ثبت من التحقيق القضائى فيها جميعا ان الرئاسة الدينية السابقة كانت تهدف من افتعالها المزعم باضطهاد الاقباط !!

● وصل الأمر بالقيادة الدينية السابقة ان ابلغت رسميا - عن طريق الانبا صموئيل - عضو اللجنة البابوية حاليا - عن حادث مفتعل لعريف فى القوات المسلحة زعمت انه سجن فى غرفة مظلمة ويتم تعذيبه لاعتناق الاسلام ثم اثبت التحقيق ان المذكور مسجون ومن ذوى السوابق فى القوات المسلحة وافتعل هذه الحادثة وتم تجسيمها عن طريق الكنيسة ظنا منه ان ذلك يعفيه من عقوبة السجن .

● قدم وزير الداخلية عدة تقارير تشمل عشرات الحوادث التى ثبت منها اتهام بعض المسيحيين بالتعدى على المسلمين وهى قضايا قتل وضرب وبعض القضايا الاخلاقية .

● ردا على شكوى من قلة الكنائس ثبت ان عدد الكنائس غير المرخص بها [١٦٩١] كنيسه ونصيب كل كنيسة من المسيحيين هو [١٣٥٢] مواطنا بينما نصيب المسجد من المسلمين هو [١٢٢٧] مواطنا اى ان كثافة عدد السكان بالنسبة لعدد المساجد والكنائس متقاربة وعدد الكنائس التى رخص بها فى عهد الرئيس السادات بلغ (٢٠٠) كنيسة بنسبة ٣٠ ٪ تقريبا من عدد الكنائس منذ دخول المسيحية مصر .

● بالنسبة لتعداد الاقباط وما يثار حوله فقد اكد السيد هوريس حنا وكيل الوزارة بالجهاز المركزى للتعبئة والاحصاء والذى اشرف على الاحصاء الأخير - خاصة فى الوجه البحرى - ان الكمبيوتر هو الذى يتولى هذه العملية وان عملية الاحصاء سليمة مائة فى المائة وان انخفاض نسبه الاقباط ترجع إلى هجرتهم المتزايدة بعد هزيمة ١٩٦٧ وان نتائج التعداد ومجلداته ترسل الى الاجهزة المختصة فى هيئة الامم المتحدة .

ولم تحدث حركة اكراه واحدة لارغام اى مواطن مسيحى مصرى لاعتناق الدين الاسلامى !!

● ● ●

هذه نماذج من الاحداث التى تنشر وتذاع لإدخال الفزع فى نفوس المسيحيين بما يساعد على خلق مناخ من انعدام الثقة يتحمل مسئوليتها من حركها ونشرها .. وهو نفسه الذى حرص على أول (مظاهرة للكهنة) وأول (اضراب للاساقفة) فى تاريخ المسيحية وتحمل مسئولية ان التحريض الطائفى بفضله بلغ ذروته القصوى بما هدد الوحدة الوطنية بأشد المخاطر !!

إننا نعتبر كل من يقدس مصلحة طائفة يقدس فى النهاية صنما لا يستحق التقديس .. لان القداسة لم توجد للحقوق الطائفية كما ان كل من (يسيس) الدين يوقعنا فى مأزق تاريخى يعتبر السكوت امامه جريمة قومية .

ونحن نتصدى اليوم بموضوعية للذهنيه الجامدة المتحجرة التى تمشى خارج التاريخ القومى وفى عالم الخيال والأوهام . واعتادت على التفكير السطح لان هذه حالة مرضية لابد من علاجها لأن هدفها ايقاع الاقباط جميعا فى سلبية مدمرة !!

ولن نخشى فى التصدى لهؤلاء الغوغائية الدعائية والارهاب الفكرى والنظريات المتعصبة المتصلبة أو توجيه الاتهام لنا بالعمالة – وهى ارخص عملة متداولة فى هذه الايام !!

وان لنا ان نفتح نوافذ عقلنا وان نسقط القدسيه عن كل البشر ونمنح حق إدانة الخطأ لكل المواطنين حتى لا نعود مرة أخرى إلى (الطائفية) !!

وفى اليوم التالى لنشر هذا المقال توفى طلعت يونان !!

● ● ●

وكتب طلعت يونان آخر مقالا له نشره الاهرام يوم ٢٥ سبتمبر وهو اليوم التالى لوفاته تحت عنوان « اللجنة البابوية تتصدى للجمعية القبطية بالمهجر !! » .

جاء فى هذا المقال ما يلى بالنص :

« فى اجتماع الرئيس السادات باعضاء اللجنة الخماسية المكلفة بالمهام البابوية فى الاسبوع الماضى تحدث نيافة الانبا اغريغوريوس اسقف عام البحث العلمى والدراسات العليا – الذى عاد فى اليوم السابق من زيارة للولايات المتحدة الامريكية – حديثا طويلا مثمرا عن رسالة (اللجنة البابوية) بين المغتربين .

وكان حديث الانبا اغريغوريوس . حديث القائد الروحى المحنك الذى يأتى الى موقعة الجديد ليغير الواقع لا ليخضع له فقال (هناك فرق كبير بين الولاء المطلق لمصر .. من الولاء المشروط ؟)

ولدى التأمل العميق المجرد عن الهوى فى الفتنة أو المحنة - الطائفية التى اجتاحت (مصر) كلها فلم يسلم أحد بشكل أو بآخر - من ان يكتوى من نارها أو شرورها - وعند التأمل العميق المجرد من الهوى فيما كشفت عنه هذه الفتنة أو المحنه من عيوب فى تكويننا ومن اخطاء وخطايا للقيادة الدينية - لدى التأمل فى كل ذلك تبرز بوضوح من بين ذلك كله المسألة الاساسية التى تلخص المعضلة الوطنية كلها : (ان البعض لم يعرف الولاء المطلق لمصر ؟!!)

واستطرد الانبا (اغريغوريوس) يقول (ان اقدس ما تعمله الكنيسة القبطية للأقباط منذ فجر المسيحية وحتى الأن هو الولاء المطلق للوطن تطبيقا لقول المسيح : (اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله) فالمسيح فى تعاليمه ألغى الطائفية السياسية فى الدولة من الرأس الى القاعدة .. والكنيسة القبطية منذ البداية رفضت ربط السلطة الزمنية بالدين : وقد جاء فى تراث البطريرك المصرى اثناسيوس العظيم (٣٣٨ م) (ليس مسموحا لنا أن نمارس حكما أرضيا !!)

● ● ●

وقال الانبا اغريغوريوس : ان الجمعية القبطية التى تتبنى الفتنة الطائفية بين اقباط المهجر فى امريكا وكندا واستراليا واوروبا الخ .. وضعت لها دستوراً تعتبر الولاء لرئاسة الكنيسة وعدم خضوع الكنائس المصرية فى الخارج للسفارات المصرية وهذا ابشع اعتداء على مبادىء الكنيسة بما يؤكد ما تردد عن صلاتها المشبوهة مع دول وعناصر معادية للنظام المصرى وأن لها مخططات للقيام بمظاهرات وطبع منشورات ضد مصر ورئاستها !!

وقد نشر « الاهرام » فى صفحة الأولى يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر ١٩٨١ يوم نشر آخر مقاله خبر وفاته وجاء فيه ما يلى : توفى امس الى رحمة الله الكاتب الصحفى طلعت يونان عن ٥٥ عاما . وكان الفقيد قد تخرج فى كلية الحقوق جامعة القاهرة عام ١٩٤٦ وشغل عضوية اللجنة المركزية لاربع دورات متالية . كما عمل مستشارا لجامعة الشعوب الاسلامية والعربية ومسئولا لمكتب المغتربيين . كما كان عضوا بمجلس الشورى .

وعند ما علم الرئيس السادات بنبأ وفاة المرحوم طلعت يونان تأثر لوفاته تأثراً شديداً وأوفد السيد ناصر الانصارى مندوبا عنه لتشيع الجنازة . كما أمر الرئيس بأن تتولى رئاسة الجمهورية مصاريف المستشفى والجنازة .

● ● ●

هذا هو طلعت يونان .

وما لم يعرفه أحد .. ان طلعت يونان قدم تقريرا الى الرئيس السادات من مائة وخمسين صفحة تضمن هذا التقرير تاريخ الكنيسة القبطية والخلافات التى حدثت فيها مع البابا وكيفية الغاء القرار بتعيين البابا وتكليف اللجنة الخماسية .

كما ان السادات هو الذى عينه فى هذه المناصب الهامة ونقله من محرر بمجلة « أكتوبر » الى كاتب صحفى بالاهرام لاستخدامه فى الحملة ضد البابا والكنيسة القبطية !!

باختصار كان احد الذين دفعوا السادات الى هذا الاجراء ضد البابا والكنيسة .

على الجانب الآخر .. الجانب الشريف .. والقلم الحر .. الذى لا يسعى الى المناصب .

كانت هناك مقالات رائعة .. ومواقف نظيفة .. وطنية تجاه قضية البابا وعزلته فى الدير .

طالب الكاتب الصحفى مصطفى أمين فى عمودة « فكرة » بجريدة الأخبار يوم ٣١ مارس ١٩٨٤ بالافراج عن بابا الاقباط فكتب يقول : « اسفت عندما قرأت ان رئيس وزراء اليونان عندما زار مصر توسط للافراج عن البابا شنودة بطريرك الاقباط . وأسفت ان الصحف قالت ان رئيس مجلس الكنائس العالمى فى أمريكا قدم الى مصر للتوسط فى الأفراج عن البابا ونحن نعتقد ان غبطة بطريرك الاقباط لا يحتاج الى وساطة أجنبية فالمسلمون والأقباط جميعا طالبوا بالافراج عنه . بل ان الاستاذ عمر التلمسانى زعيم الاخوان المسلمين صرح بهذه الرغبة عندما خرج من سجن طره .

اننا نتمنى ان تحل مسألة الأنبا شنودة قبل الانتخابات حتى لا تكون موضوعا يثار فى الانتخابات القادمة لانه ليس من مصلحة مصر أن يكون هذا المركز الدينى موضع المناقشة فى المعركة الانتخابية .

والذى نعلمه ان الانبا شنودة اليوم حر فى ان يستقبل من يشاء فى دير الانبا بيشوى فى وادى النطرون وانه استقبل عدداً من السفراء الاجانب وبعض الصحفيين الاجانب وبعض الاقباط وقد قيل ان السبب فى استمرار تحديد اقامة الانبا شنودة هو حرص الحكومة على أمنة وسلامته ونعتقد ان واجب الحكومة اذا رأت أمن أى انسان مهدداً أن تحميه لا أن تحدد اقامته . وقد اعلن البابا ان الكنيسة لا تنضم لحزب ما لان ولاءها للرئيس حسنى مبارك .

ان مسألة الانبا شنودة لا تهم الاقباط وحدهم وإنما تهم المسلمين بنفس القدر . فهى مسألة حرية مواطن يجب ان نقف بجواره حتى وان لم يكن يتولى هذا المنصب الكبير . ونحن نعلم ان الدولة حريصة على حياة الأنبا شنودة ونحب ان نقول ان الشعب كله حريص عليه وانه يعتبر أى محاولة للاعتداء عليه هى محاولة للاعتداء

على مصر جميعها . ونحن لا نوافق على تسمية المسلمين والاقباط « عنصرى الأمة » نحن نؤمن انهم عنصر واحد يجرى فى عروقهم نفس الدم وتمتلىء قلوبهم بنفس الحب والاخلاص لبلدهم . نحن نريد ان نقفل ملفا ما يسمونه الفتنة الطائفية لان مصر لم تعرف هذه اللعنة طوال تاريخها . حاول الانجليز ان يشعلوها وهزمتهم ثورة ١٩١٩ التى اتخذت شعارها الهلال مع الصليب وكل من حاول اشعال النار احرقته هذه النار .

اننا نعلم تمام العلم مقدار اهتمام الدولة بوضع نهاية لهذه المأساه وكل ما أرجوه ان نعجل بالأفراج عن البابا شنودة كما أفرجنا من قبل عن جميع السياسيين ورجال الدين من مسلمين واقباط بقرار سريع من الرئيس حسنى مبارك صفق له جميع المصريين » .

كان هذا الموقف موقفا مشرفا لا يحتاج الى تعليق .. بل نصفق فيه لمصطفى أمين ..

● ● ●

وكان للكاتب الصحفى مكرم محمد احمد نقيب الصحفيين ورئيس تحرير المصور ورئيس مجلس ادارة دار الهلال دور كبير وموقف عظيم تجاه بابا الاقباط قبل محاصرة البابا واثناء عزلته حتى صدر قرار الرئيس مبارك بعودة البابا لممارسة مهامه البابوية .

قبل اسبوعين فقط من اجراءات سبتمبر ٨١ وبينما كان ضيق الصدر قد قطع جسور الحوار وكانت الفتنة الطائفية موجه عنيفة ومخيفة .. قرر الاستاذ مكرم محمد أحمد اجراء حوار مع بابا الاقباط لتهدئة الاجواء المشحونة بالتوتر والتعصب الدينى وعلم السادات بهذا الحديث فأمر بمنع نشر حديث البابا لرئيس تحرير المصور . اتصل الاستاذ مكرم بمنصور حسن وزير شئون رئاسة الجمهورية للاعلام وبالسيدة جيهان السادات لمحاولة اقناع الرئيس لتهدئة الاجواء المشحونه . وأكدت السيدة

جيهات السادات وأكد منصور حسن لرئيس تحرير المصور على ضرورة نشر الحديث وتدخل الثلاثة لمحاولة المصالحة بين السادات والبابا .

وبعد اسبوع من نشر الحديث علم الرئيس السادات فتضايق !!

ولم يستمع السادات لكل من نصيحة منصور حسن ومكرم محمد احمد !!

كان السادات مقبلاً على اتخاذه لهذه القرارات العنيفة فى سبتمبر ٨١ والتى اتخذ اجراءاتها البوليسة باعتقالات شاملة واسعة قبل اربعة ايام من اعلانها يوم ٥ سبتمبر ٨١ .

ووقعت الاحداث الجسيمة التى أودت بحياته فى ٦ أكتوبر ٨١ .

● ● ●

ثم قابل الاستاذ مكرم محمد أحمد البابا شنودة فى عزلته بدير الانبا بيشوى بوادى النطرون مرتين وصاحب اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية وقتئذ فى مقابلة للبابا تمهيدا للافراج عنه واجرى رئيس تحرير المصور حديثا طويلا وشاملا مع البابا .

وكتب مقالا رائعا فى ٣٠ مارس ١٩٨٤ تحت عنوان « عزلة البابا لن تطول » .

ماذا جاء فى هذا المقال ؟

فليغفر لى قداسة البابا شنودة فى عزلته الراهنة التى اثق انها لن تطول .. ان قلت اليوم ان قضيته لا ينبغى ان تكون جزءاً من لعبة الانتخابات الدائرة على أشدها الأن بحثا عن الاصوات حتى ولو كانت على حساب المبادىء ، حتى ولو كان الطريق اليها تحالفات خاطئة غير صحيحة .

وليغفر لى اهلى من اقباط مصر صراحة القول ان قلت اليوم إنه ليس هناك ما يستوجب الاحساس بالاحباط أو أى شىء منه لأن الريح القادمة مع الوفد الجديد جاءت أخيراً بغير ما تشتهى السفن ! أو لان الصديق الذى ارتضاه البعض قد انتكب طريقه القديم وغير الافراس وملأ العربة بغير ركابها الأصليين .

وليغفر لى الجميع صراحة القول ان قلت اليوم ان الوحدة الوطنية تعلو عن ان تكون مهمة حزب بعينه كان فى الحكم ام فى المعارضة فالوحدة الوطنية ينبغى ان تكون جهد المصريين جميعا مسلمين واقباط . معارضة وحكما . هى أمانة فى اعناقنا لا ينبغى ان نهبط بها الى حد ان تكون جزءاً من المعترك الانتخابى القادم امانة تنبع من احساس عريق وقديم بأنها الوجود وهى المصير .

.. لاننا سوف نبقى معا على هذه الارض الطيبه الى يوم الساعة يجمعنا ثراها ويؤلف بين قلوبنا حبها الكبير .. ولأن ما انطبع عبر حياتنا المشتركة والعميقة على أرض هذا الوطن أقوى بكثير من ان تبدده موجه طارئه من فتنة دخيلة ازكاها التطرف وألهبها سوء التقدير .

.. ما انطبع فى اذهاننا دائما كانت علاقات الود والتآلف العميقين التى صاغت وحدتنا الوطنية سبيكة مصرية خالصة ثم دماؤنا المشتركة التى سكبناها معا على رمال مصر وفوق سواحلها ونحن نصد عن مصرنا الواحدة غزو الروم والفرنسيين والانجليز والاسرائيليين . نهتف معا فوق اطلال بارليف صرخة نصر واحدة الله اكبر لانه هو الله ايماننا المشترك ولانه هو الله وجهة قلوبنا جميعا وان ولينا وجوهنا كمسلمين شطر المسجد الحرام أو ولينا وجوهنا كأقباط شطر القدس . مدينة الله ومجمع رسالاته الثلاث .

● ● ●

ذكرنى البابا شنودة حين لقيته بالامس فى عزلته الراهنة فى دير الأنبا بيشوى بلقاءات ثلاثة سابقة جرت بيننا وكان محورها جميعاً أبعاد الفتنة الطائفية فى مصر . كان لقاؤنا الأول فى مقره البابوى فى كاتدرائية مارمرقص بالعباسية قبل اسبوعين فقط من اجراءات سبتمبر ٨١ .

كان الوطن يكفهر غضبا وشكوكا . وكان ضيق صدر الجميع قد قطع جسور الحوار بين الجميع وكانت الفتنة الطائفية قد استحالت الى موجه مخيفة يزكيها تحريض

الخارج ونفاذ صبر الداخل وهوس جماعات المتطرفين على الجانبين واذا الفتن الصغيرة التى كانت تطفح فى بداية السبعينيات بثوراً على الجسد المصرى تستحيل الى صدامات متكررة متصاعدة .

كان يكفي ان يقوم شجار عادى من مشاجرات النهار والزحام والعمل . شجار من ألف شجار يكون طرفاه بالصدفة مواطنا مسلما ومواطنا مسيحيا حتى تشتعل الفتنة حريقا .. وذلك بالضبط ما حدث فى الزاوية الحمراء عندما بدأ الأمر كله بشجار بين اسرتين تسكنان منزلا واحداً . لكن العواطف المشحونة والمغذاه صنعت من هذا الشجار تلك الصورة الأليمة فى كل حوادث الفتنة ، كنا نرى العديد من المنشورات المجهولة الأصل والهوية تصدر عن افراد غير معلومين أو تصدر باسم جماعات وهمية الاسم . تسبق الفتنة الى المكان المختار لها .. حدث ذلك فى الخانكة وفى الزاوية الحمراء وفى دير الملاك وفى روض الفرج .. منشورات مجهولة الأصل والهوية تنشر الشائعات وتحض على التربص وتقسم وحدة الوطن وتروج لوقائع مشوهة وحقائق مغلوطة سعيا الى الوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها حتى أصبح المناخ كله محاطا بالشكوك والريبة .

● ● ●

فى غضون تلك الايام الثقيلة جرى اللقاء الأول مع البابا شنودة فى مقره البابوى ذكر اننى قلت له يومها :

قداسة البابا ان كنت تريد صراحتى فإننى أرى ان موقفك يوم عيد القيامة الماضى لم يسهم فى خلق مناخ الاطمئنان لدى اقباط مصر . لقد منعت العيد عن بيوت المسيحيين استجابة لحادث فردى انت تدرك دوافعه وتعرف موقف الدولة منه لقد منعت البسمة عن الاطفال المسيحيين يوم عيدهم ومنعت الاجراس عن ان تدق . وربما لأول مرة فى تاريخ الكنيسة القبطية جرى مثل هذا الشىء لقد

جعلت القضية بهذا التصرف قضية الكنيسة والدولة وهى لم تكن بالقطع كذلك لأن القضية كانت مع المتطرفين على الجانبين .

يومها قال الرجل : حاشا لله أن أكون قد رأيت شيئا من ذلك . لقد زارنى الرئيس السادات هنا مرتين ووضع حجر الاساس لمستشفى مارمرقص فى هذه الكاتدرائية الكبيرة التى بنيت بمعونة اساسية من الدولة . لقد صلينا معاً فى هذا المكان . صلى هو فى هذه القاعة مع مرافقيه وصلينا فى الغرفة المجاورة وصلينا معا على ارض العريش .

قلت له قداسة البابا : اذا كان الأمر كذلك فما كان ينبغى لك ان تأمر بأطفاء شموع الكنيسة أو قناديلها فى يوم عيد .

قال البابا : لم يكن قرارى وحدى . كان قرار المجمع المقدس لأن النفوس كانت مشحونه بالالم والغضب بعد أن تكررت حوادث الاعتداء على عدد من الكنائس . كنا نستشعر ان هؤلاء الذين يريدون الوقيعة بين مسلمى مصر وأقباطها لابد وان يكونوا تحت طائلة القانون أقباطا كانوا أم مسلمين .. ومع ذلك فاستعدادى قائم لأن اناقش هذا القرار اننى أقبل النقاش وأقبل التصارح .

سألته كيف تنظر الى العلاقة بين الكنيسة والدولة ؟

رد قائلا : ليس للكنيسة ان تقحم نفسها فى قضايا السياسة فالسياسة قضية الدولة أما رعاية الدين فيه مهمة الكنيسة .

قلت له : قداسة البابا سوف أكون على صراحتى المعهودة معك ينبغى ان تكون الكنيسة ايضا فوق محاولات بعض جماعات الضغط الذين يؤرقهم ان العشرة الأوائل فى كليات الطب ما عادوا جميعا من ابناء الطائفة والذين يؤرقهم ان فرحة احدى البعثات المسافرة الى الخارج لم تكن من نصيب زميل لهم . أوحسب ان تلك الجماعات خصوصا الهاجرين هم أقوى جماعات الضغط على الكنيسة الأن برغم ان الغالبية العظمى من أقباط مصر تعرف حقا بأنه لا وجود لأى تمييز طائفى فى

مصر بل لعل القدرة الاقتصادية لاقباط مصر تفوق بحساب النسبة القدرة الاقتصادية لباق المجموع المصرى وقس على ذلك توزيع المهن الاساسية والحاكمة .

قال البابا : ليس لى وسع أحد أن يشكو من التمييز الطائفى واذا كانت هناك بعض حالات فردية فربما يكون للكنيسة ان تنقل الى الدولة بعض ملاحظات رعاياها .

كان الحوار صريحا بينا .

يومها قال الرجل : ماذا أقول أن هناك من يسعون بالشائعات الى خلق الفتنة وهناك من يسعون دائما الى تصوير غير صحيح لموقفى .

اننى أعيد نشر الحوار لانه يعكس فى جوانب عديدة منه كيف كان المناخ فى مصر قبل سبتمبر ٨١ وكيف كانت الشكوك تزداد يوما وراء يوم فى بلد استوعبت السماحة كل تاريخه .

مرة ثانية لقيت البابا شنودة كان ذلك قبل ١٠ أشهر فقط كان فى عزلته فى دير الأنبا بيشوى امضيت معه نهارا بأكمله . كان أكثر تفاؤلا وكان أكثر راحة . كان يستقبل زواره بأى أعداد . ابناء طائفته القادمين من الخارج أو من الداخل . ممثلى الكنائس العالمية ، المطارنه ، والاساقفة ، اعضاء اللجنة الخماسية التى كانت تشاركه ادارة الكنيسة .

كان البابا قد تلقى بوصفه بابا الكرازة المرقصية برقية من الرئيس مبارك يهنئه فيها بعيد القيامة وكانت البرقية بهذا المعنى تعنى تأكيدا من جانب الدولة على احترامها الكامل لوظيفة البابا الدينية التى لا تنقطع إلا بالوفاق لكن البرقية كانت تعنى فوق ذلك مبادرة من الرئيس مبارك فحواها السماحة وحرصه الأكيد على تغيير هذا المناخ الذى لبد سماء مصر بالشكوك .

يومها بادرنى البابا قائلا : ما أكثر ما اختلفت مصر فى عصر مبارك اننى أكثر تفاؤلا انه يحمل قدراً من الحكمة سوف يساعده على أن يعيد لمصر صفاءها ان أكثر مايشدنى اليه حسن اختياره للكلمات ووضوح قصده وتطابق افعاله مع اقواله .

تناقشنا طويلا فى هذه الزيارة . كان مجلس الدولة ينتظر قضية مرفوعة من بعض اصدقاء البابا يطالبون بعودته الى مسئولياته فى ادارة الكنيسة دون اللجنة الخماسية .

اذكر اننى سألته يومها : قداسة البابا ماذا يدفعك الى ان تستمر فى هذه القضية انه من الصعب أن أتصور أن تقوم العلاقة بين الدولة والكنيسة على سند من حكم قضائى مع احترامى الكامل للقضاء .

ان اقباط مصر جزء من نسيجها وينبغى ان يكون التآلف كما كان دائما على اساس من المودة والاحساس العميق بأن ثرى هذا الوطن وترابه سوف يجمعنا معا الى يوم الدين . اننى لا اعتقد ان حكما قضائيا يمكن أن يعيد الأمور الى نصابها ، ما يعيد الأمور الى نصابها هو قدرتنا المشتركة على الحوار المفتوح وادركنا المتكامل لعمق الأخوة الوطنية التى ربما تسبق اية اخوة أخرى ولو أنه لم يكن فى مصر هذا الاحساس العميق بمعنى الوطن . ولو ان مصر لم تعلمنا أقباطا ومسلمين معنى السماحة لكننا الأن فى وضع اشبه ما يكون بلبنان .

يومها قال البابا : لقد أمضيت فى هذا الدير راهبا ما يزيد على ١٠ سنوات أقرأ وأكتب وانسخ الأناجيل وأنا أحب هذا المكان وبوسعى أن أبقى فيه عاما أو عامين وليس لدى الحاح على عودة قريبة إلا أن تصفو مصر وتصفو النفوس . اننى لا أتعجل الخروج من عزلتى الراهنة - إلا أن نكون جميعا مسلمين واقباطا كما كنا دائما متحابين ولست اعتقد ان هذا اليوم ببعيد لان روح السماحة تعود الآن لتشرف على مصر من جديد . ألم أقل لك فى بداية لقائنا اننى أكثر تفاؤلاً .

فى ذاك النهار أكلنا ارزا ابيض واقتسمنا مع اثنين من تلاميذه الرهبان فطيراً وخبزاً شمسيا ودجاجة ثم صحبنى فى سيارته داخل مزرعة الدير الى جولة لكى أرى جهد الرهبان وهم يزرعون فلاة وادى النطرون .

قبل ان أنصرف وكان الليل قد خيم على المكان الهادىء قال الرجل : مازلت أفكر فيما قلته حول قضية مجلس الدولة وربما تكون المشكلة فى هؤلاء الاصدقاء الذين رفعوا القضية .

ورددت قائلا : سوف نعود مرة أخرى الى حكاية جماعات الضغط .

وضحك البابا شنودة من اعماقه وهو يرد يكفينى طمأنينة هذا المناخ الذى تعيشه مصر الأن .

• • •

أمس كان لقائى الثالث معه ، كان يجلس وسط رهبانه وكان أكثر وداً وأشد تفاؤلاً . وكان قد استعاد قدرته على الخروج من الموعظة ليلتقط مفارقة ذكية تثير ضحك الحاضرين : حدثنى طويلاً عن سماحة الاسلام مباهيا بآيات القرآن التى يحفظها .

قلت له : يبدو أن ثمة حواراً متصلاً مع الرئيس مبارك هذا ماقالته صحيفة السياسة الكويتية نقلا عن حديث أخير للرئيس .

قال البابا : قبل شهر واحد سألنى نفس السؤال قس أمريكى وأظنه أرمسترون. ممثل الكنائس الأمريكية . كان فى زيارة لى وكان الرئيس قد أعلن فى حديثه اننا على اتصال مستمر مع البابا شنودة والمسألة فقط مسألة توقيت .

عندما سألنى القس أرمسترونج عن وقع هذا التصريح على نفس قلت له . أنا واثق فى نهاية قريبة لهذه العزلة ولكننى على استعداد لأن ابقى هنا أمدا أطول . المهم أن تصفو مصر .. ومصر تصفو الآن يوما عن يوم . لقد حلت الطمأنينة على شعب مصر مسلمين وأقباطا ولم نعد نسمع الآن عن مواجهة أو فتنة أو حريق فى كنيسة أو مؤامرة لنسف جامع . ان مصر تعيش فى ظل مبارك مناخا مختلفا وصدقنى اذا قلت لك اننى اعتبر توليه أمر مصر فى الظروف التى تولى فيها نوعاً من التضحية التى لا ينبغى إنكارها . اننا نشكره أولاً لأنه قبل الحكم فى هذه الفترة العصيبة ولأنه سار بالسفينة عبر الأمواج المضطربة حتى خرج بها فى هدوء ربانا عاقلاً الى شاطىء الأمان . نشكر للرب ان اعطاه الحكمة والحذر وهدوء الأعصاب

ونشكره هو على عواطفه التى يبديها دائما تجاه الكنيسة ونطلب فى صلواتنا ان يعطيه الرب المزيد من القوة .

قلت له : ولكن يبدو ان هناك من لا يعرفون حقيقة ما يجرى ويصرون على ان تبقى عزلة البابا قضية خصام مع الحكم على صفحات المعارضة .

قال البابا : مع عزوفى الكامل عن اى حديث ذى طبيعة سياسية فإننى أقول لك أنا لا أصدق ان هناك حزبا يمكن ان يحتكر لنفسه قضية الوحدة الوطنية . الوحدة الوطنية ليست مسئولية حزب ولكنها مسئوليتنا جميعا كمصريين ، هى عمل كل مصرى ، كان فى الحكم أم كان فى المعارضة . أنا لا أصدق ايضا انه يوجد فى مصر الأن من قريب أو من بعيد من لا يعمل من أجل وحدتها الوطنية . حراس الوحدة الوطنية وحماتها هم المصريون جميعا ورمزها الأكيد هو رئيس الدولة الذى يخطو بثبات تجاه لم شمل مصر مرة أخرى .

أود أن أقول لك ان الادعاء بوجود صلة بين الكنيسة ورعيتها وحزب ما ليس صحيحا ، ان واجب الكنيسة ان تبقى فوق الحزبية وعليها مسئولية العمل بكل ما تستطيع من أجل الوحدة الوطنية ومن أجل تعزيز علاقات المحبة والأخوة مع المسلمين وان تعمل بكل جهد من أجل قضايا الوطن حتى يعود للقلوب ائتلافها الراسخ والعميق .

« أود أن أقول ايضا ان الكنيسة لن تضم الاحزاب ولن تنضم اليها ولكنها تدين بالولاء لرئيس الدولة لانه رمز وحدتها الذى نصلى من أجله ونذكره فى كل صلواتنا الرسمية ونباركه فى سفره وفى إيابه وهو يستحق منا كل ذلك لانه أعاد لمصر الصفاء » .

● ● ●

وكتب سمير تادرس المحرر « بالاخبار » والذى تم التحفظ عليه ضمن قرارات سبتمبر ٨١ مقالا كبيرا فى صحيفة « الاهالى » صحيفة حزب التجمع يوم ٢٢

ديسمبر ١٩٨٢ تحت عنوان « الافراج عن البابا شنودة قضية وطنية » .. جاء فى هذا المقال ما يلى بالنص :

كان قرار السادات بعزل البابا شنودة الثالث واعتقاله بأحد الأديرة واحدا من قرارات ٥ سبتمبر سنة ١٩٨١ التى حاول بها أن يغطى على فشل سياساته المختلفة بفرض حالة من الارهاب المعنوى على الشعب المصرى . ومنذ ان بدأت عمليات الافراج عن المعتقلين السياسيين فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٨١ وبعد ان حكمت محكمة القضاء الادارى بوقف تنفيذ قرارات سبتمبر وبعد عودة صحف المعارضة الى الصدور ظهر كثير من الكتابات حول اسباب اعتقال السياسيين والجماعات الاسلامية .

مجموعة واحدة فقط لم يعرف سبب اعتقالها ولم تعرف الرأى العام ايضا الاسباب التى تدعيها الحكومة وحتى عندما تم الافراج عن افرادها كان ذلك يتم على استحياء ؟ وبقى ثمانية من الأباء الاساقفة و ٢٤ من الآباء الكهنة الى جانب عدد آخر من ابناء الجماعات المسيحية لايعرفون سببا لدخولهم السجون وخروجهم منها . بل ان من أفرج عنهم من الآباء الاساقفة والكهنة منعوا – ومازالوا ممنوعين من ممارسة وظائفهم الدينية فى الاماكن المعينين بها .

وقد أدى هذا كله الى وجود احساس بأنه (ليس من حق هؤلاء ان يهتم بهم أحد) . ومثل هذه الظاهرة اذا تركت فإنها ستؤدى الى عواقب وخيمة على الوطن .

لقد طالبت صحف المعارضة بالافراج عن المعتقلين المسيحيين من زاوية الافراج عن المعتقلين .. كل المعتقلين ، وهذا صحيح ، كما نها نشرت اخبار الدعوى القضائية لالغاء قرار عزل البابا شنودة وكذلك رسائل بعض القراء فى هذا الشأن ولكنها لم تحاول ان تعالج ظاهرة اعتقال هذا العدد الكبير من رجال الدين المسيحى – لأول مرة فى تاريخ مصر الحديثة – والافراج عنهم دون سبب واضح .

عندما اشرف النبوى اسماعيل وزير الداخلية السابق وأجهزة وزارته على اعتقال ١٥٣٦ مواطنا مصريا ، كانت الرؤية « الوطنية ! » لدى سيادته ولدى أجهزة وزارته ان يتم ايضا تقسيم المعتقلين المصريين داخل السجون وفقا لمعتقداتهم الدينية وليس وفقا للاسباب التى اعتقلوا من أجلها .

وقد اتيح لى خلال احد عشر اسبوعا امضيتها مع هؤلاء الآباء والأخوة فى سجن المرج أو ليمان وادى النطرون ان اجرى مناقشات عديدة وان استمع الى وجهات نظرهم وإلى قصص مختلفة عما تعرض له الكثيرون منهم سواء فى اماكن عملهم أو عند القبض عليهم .

بقيت هذه المناقشات والقصص تؤرق ذاكرتى لأنى لا استطيع ان اكتب عنها وليس تحت يدى الدليل المادى .

وجاءت الفرصة أخيراً عندما انتهى السيد مفوض الدولة من تقريره فى الدعوى ٩٣٤ لسنه ٣٦ قضائية للمطالبة بالغاء قرار السادات بعزل البابا شنودة .

ذلك ان تقرير مفوض الدولة الذى انتهى إلى اعتبار قرار السادات (مخالفة صارخة للقانون) و(انه ينطوى على الغصب الجسم للسلطة مما يجعله من القرارات المعدوية بما يترتب على ذلك من آثار) قد تعرض بالتفصيل للنقطتين اللتين اثارهما محامو الحكومة وهما :

(١) المادة ٧٤ من الدستور .
(٢) تقارير مباحث أمن الدولة .

● ● ●

وقد جاء تقرير مفوض الدولة بخصوص المادة ٧٤ من الدستور متفقا مع احكام محكمة القضاء الادارى الصادر فى فبراير سنة ٨٢ بوقف تنفيذ قرارات ٥ سبتمبر .

أما بخصوص تقارير مباحث أمن الدولة فقد قال مفوض الدولة بشأنها ما يلى بالنص :

« كما أنه فيما يختص بتقارير مباحث أمن الدولة ، فقد استقر قضاء المحكمة الادارية العليا على ان هذه التقارير لا تزيد فى قيمتها على محضر تحريات أو جمع استدلالات ويخضع تقدير ما جاء فيها لرقابة المحكمة ، فلها أن تناقشه وتأخذ به اذا ما اطمأنت اليه واقتنعت به ، كما ان لها أن تطرحه من أدلة الثبوت اذا ما استبان لها عدم صحة ما جاء فيه أو عدم ارتكازه على وقائع محددة أو غير مجهولة .

وحيث انه يتبين من الاطلاع على تقارير مباحث أمن الدولة انها نسبت الى المدعى بعض الوقائع فندها الدفاع عنه مستندا الى تقرير لجنة تقصى الحقائق الذى حوته مضبطة مجلس الشعب المرفقة بحافظة المستندات المقدمة بجلسة ٢٣ / ٢ / ١٩٨٢ والى القرارات الصادرة من الجهات المختصة لدراسة مشروع قانون الأحوال الشخصية لغير المسلمين . كما ان بعضها لا يعدو ان يكون من قبيل المطالب التى يجوز لكل طائفة أو جماعة ان تطالب بها أو تناقشها ما دامت تمس مصالح هذه الجماعة أو الطائفة ، وانها لا تخرج على حدود الدستور أو القانون فى المطالبة بها ومثال ذلك مطلب الطائفة التى يقوم على رئاستها المدعى وغير ذلك من الطوائف المسيحية عند مناقشة تعديل المادة الثانية من الدستور بأن يراعى فى هذا التعديل عمد المساس بالحقوق أو المصالح الخاصة بالطوائف المسيحية ودليل ذلك ان هذا المطلب قد تمت مناقشته بواسطة ممثلى الشعب فى البرلمان ، أى من خلال المؤسسات الدستورية للدولة الأمر الذى تبين منه ان الأغلب الأعم من الاتهامات المنسوبة الى المدعى فى تقرير مباحث أمن الدولة قد أضفت عليها المباحث أوصافا بعيدة كل البعد عن الحقيقة ولا تؤدى الى النتيجة التى انتهت اليها ، كما أن باقى الاتهامات الأخرى جاءت مرسلة بغير دليل ، مما جعل القرار المطعون فيه غير مستخلص استخلاصاً سائغاً من الواقع أو الاوراق والتحقيقات » .

هذا هو رأى منصوص الدولة فى تقرير جهاز مباحث أمن الدولة وما جاء به من اتهامات .

والاتهامات التى أوردها تقرير مباحث أمن الدولة فى حق البابا شنودة أربعة هى :

أولاً : تعريض الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعى للخطر :

دليل ذلك أن البابا شنودة كان يطالب المسيحيين (بالاشتراك فى المؤتمرات السياسية وزيارة المواقع الحكومية والجماهيرية لاثبات الوجود المسيحى) .

ثانيا : الحض على كراهية النظام القائم :

وقالت المباحث : « ان البابا قام خلال شهر أكتوبر ١٩٧٩ بايفاد الانبا تادرس اسقف بورسعيد الى قبرص مع عدد آخر من المطارنة لتعبئة الرأى العام المسيحى فى الخارج ضد السلطات والنظام فى مصر).

ويشاء القدر ان يكشف كذب تقارير المباحث . ذلك أن الأنبا تادرس ذاته كان فى قبرص عندما بدأت حملة سبتمبر ٨١ ولما عرف انه مطلوب القبض عليه استقل الطائرة وعاد الى القاهرة يوم ١١ سبتمبر وقبض عليه مباشرة فى المطار وأرسل الى سجن المرج .

ثالثا : اخفاء الصبغة السياسية على منصب البطريرك واستغلال الدين لتحقيق اهداف سياسية .

يؤكد ذلك – من وجهة نظر المباحث – ان البابا القى كلمة فى اجتماع لكهنة القاهرة يوم ٥ / ١ / ٧٧ ناشدهم فيها سرعة اعداد مشروع قانون الأحوال الشخصية الموحد للطوائف المسيحية لتقديمه للسلطة التشريعية .

رابعا : الاثارة .

وذلك لأنه القى كلمة بالكاتدرائية يوم ١٣ / ١١ / ٧٢ بمناسبة مرور عام على تقلده للكرسى البابوى تناول خلالها التنديد بأحداث الخانكة .

وهنا لابد من وقفه ذلك أن القوى الوطنية فى نقابة الصحفيين كانت أول من تنبه الى محاولات احداث فتنة طائفية بالبلاد عام ١٩٧٢ وطالبت مجلس النقابة القائم وقتذاك بالدعوة الى اجتماع عاجل . تم فعلاً هذا الاجتماع يوم الاربعاء ١٥ / ١١ / ٧٢ وصدر عنه بيان نشرته جميع الصحف اليومية الصادرة صباح يوم الجمعة ١٧ / ١١ / ٧٢ تحت عنوان « بيان من الكتاب والصحفيين المصريين بشأن الوحدة الوطنية » ذكر هذا البيان ما نصه :

● ندين محاولات اثارة ألفتنة الطائفية بوصفها من اعمال الخيانة الوطنية ومن وحي الاستعمار والصهيونية ومن تخطيطهما لنسف كيان مصر القومى ، ولشل قدرات مصر على مواجهة العدد الاسرائيلى والامبريالية العالمية ولتفكيك الشعب المصرى الى شيع متحفزة يشغلها التناحر الداخلى عن معركة التحرير الوطنى .

● نعلن عن قلقنا العميق لوجود بعض مظاهر التعصب الدينى فى الفترة الأخيرة وهى مظاهر يرفضها المجتمع كله ونعدها استكمالا لظاهرة تخريب ثروتنا القومية بسلسلة الحرائق المتوالية التى بدأت بحرائق الأوبرا وقصر الجوهرة وأمتدت الى بعض المؤسسات والشركات العامة .

ونذكر المواطنين ان حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ قد سبقه حريق كنيسة السويس حيث بلغ الكفاح الوطنى أقصى مداه ضد الاحتلال البريطانى بقصد اجهاض الحركة الوطنية . كما نذكرهم بأن اثارة الفتنة الطائفية كان دائما السلاح التقليدي الذى يلجأ اليه الاستعمار لضرب الحركات الوطنية . وقد كان الأزهر الشريف والكنيسة المصرية فى طليعة الكفاح الوطنى الذى أحبط مخططات الاستعمار لاثارة الفتنة الطائفية ايام مؤتمر اسيوط عام ١٩١١ ومؤتمر القاهرة عام ١٩١٢ وابان ثورة ١٩١٩ .

● نحن نؤكد ان رسالة الاسلام ورسالة المسيحية رسالتا تسامح ومحبة وسلام وانهما يدينان التعصب الدينى المقيت .

ونحن نناشد الاجهزة الدينية والاعلامية والثقافية والتربوية ان تتنبه الى اهمية الوحدة الوطنية بالتأكيد على قيم التسامح والمحبة الراسخة فى ضمير الشعب المصرى .

• نناشد أجهزة السلطة والتنظيم السياسى والهيئات الشعبية والجماهيرية مزيداً من اليقظة والحزم فى مواجهة عملاء الاستعمار والصهيونية الذين يزكون نار الفتنة الطائفية لتفتيت وحدتنا الوطنية ولتخريب معركة المصير .

ونهيب برجال الدين قبل اية فئة أخرى ان يبثوا روح التسامح والمحبة فى قلوب الجماهير التى تعتمد عليهم فى شئونها الروحية .

ولعل هذا البيان يكشف عمق نظرة القوى الوطنية للصحفيين المصريين الذين كشفوا مبادرة - صاحب المبادرات - لاحداث فتنة طائفية بالبلاد .

ولعل هذا ايضا أحد أسباب غضب السادات على مجلس النقابة القائم وقتذاك وتشغيل الاسطوانة المشروخة بأنه « مجلس شيوعيين » .

اذا كان على هذا القدر من التخاذل والافتراء جاءت تقارير مباحث أمن الدولة فى حق الانبا شنودة ، فلك ان تتصور نوعية الاتهامات التى ساقها هذا الجهاز فى حق باقى الآباء الاساقفة والكهنة والأخوة .

• • •

عندما وقعت إحداث الزاوية الحمراء فى يونيو سنة ١٩٨١ تصادف ان كان موعد الندوة الاسبوعية السياسة بنقابة المحامين بيومها وقف النقيب المرحوم الاستاذ عبد العزيز الشوربجى وارتجل كلمة خطيرة وجه فيها الاتهام صريحا لوزير الداخلية النبوى اسماعيل بأنه مسئول عن هذه الاحداث . وكشف مخطط الحكومة لاثارة فتنة طائفية بالبلاد للتغطية على فشل سياسة كامب ديفيد وتفريط الحكومة فى المسألة الوطنية .

قبل ذلك فى ١٤ مايو سنة ١٩٨٠ وجه السادات خطابا خطيرا الى الشعب حاول فيه ان يحدث فرقة بين المسلمين والاقباط واتهم البطريرك بأنه يسعى الى

فصل الصعيد عن باق البلاد وأقامة دولة قبطية عاصمتها اسيوط .. ولكن شعب مصر كان أكثر وعيا وكشف خبث مخطط من تحدث اليه والآن .. وبعد احداث لبنان فإن اسرائيل تسير بخطى حثيثه لتحقيق مخططها من أجل تقسيم الشرق الاوسط الى دويلات دينية .

لقد كان السادات صادقا مع نفسه عندما وصف بيجين بأنه « صديقه العزيز » وعندما قال ان إسرائيل تنفذ المعاهدة (كامب ديفيد) بشرف وأمانة . نعم انه الشرف والأمانة التى التقيا عليها من أجل تقسيم المنطقة الى دويلات دينية .

وقد كان قرار عزل البابا شنودة واعتقاله واعتقال عدد آخر من الآباء الاساقفة والكهنة هو جزء من مخطط اثارة فتنة طائفية بالبلاد وقد شارك فى هذا المخطط كثيرون .

كما تم التمهيد لهذا المخطط باصدار القوانين « سيئة السمعة » مثل قانون العيب والذى استخدم فى تنفيذ المخطط .. ومن سخريات القدر ان بعض من شاركوا فى اصدار هذا القانون كانوا من أول ضحاياه .

عندما حددت محكمة القضاء الادارى جلسة ١٦ / ١ / ٨٢ موعدا للنطق بالحكم فى الشق المستعجل من الدعوى المرفوعة من الصحفيين واساتذة الجامعات بطلب وقف تنفيذ قرار نقلهم الى اعمال أخرى . صدرت يوم ١٣ / ١ / ٨٢ قرارات عودتهم الى الصحف والجامعات .

وكان الاستاذ المحامى الحاضر عن البابا شنودة قد اعلن تنازله عن الشق المستعجل فى الدعوى بجلسة ٨٢/٢/٢٣ وقيل وقتها أن ضغوطا عنيفة قد مورست وان هناك وعوداً بحل المشكلة .

والبابا شنودة - بالنسبة للاقباط جميعا - الممثل الرسمى والرئيسي الروحى للكنيسة ، وبقاؤه على هذا الوضع يثير أكثر من علامة استفهام .

كلمة أخيرة اتوجه بها الى كل الاقباط . نعم اشتركوا فى المؤتمرات السياسية

وزوروا المواقع الحكومية والجماهيرية ولاتهتموا بتقارير مباحث أمن الدولة . لانها تدين كل من يشارك فى العمل السياسى مسلماً أو مسيحيا ذلك لاننا نعم اقباط ولكننا مواطنون مصريون نتمتع بحق المواطنه الكاملة ونرفض تقسيم شعب مصر . بالعمل السياسى فقط نستطيع أن نكشف أولئك الذين يسعون الى تقسيم شعب مصر الى « مواطنين من الدرجة الأولى » و« مواطنين من الدرجة الثانية » .

ومن هذا المنطق أقول ان الافراج عن البابا شنودة الثالث وعودته الى كرسيه بكل صلاحياته قضية وطنية .

● ● ●

لم يكن اهتمام الصحافة المصرية عامة والمعارضة بصفة خاصة وفى مقدمتها الاخبار والمصور وروز اليوسف والوفد والاهالى والشعب وغيرهم بقضية البابا بل امتد تأثيرها الى خارج الحدود فقد اهتمت صحيفة الأنباء الكويتية والسياسة الكويتية بهذه القضية وامامنا ما جاء فى صحيفة « الأنباء » يوم ١٧ يناير ١٩٨٥ .

كان السؤال .. ما هى اسباب الصدام بين الاقباط والسلطة السياسية فى السبعينيات وهل يمكن ان يتكرر هذا الصدام فى الثمانينات ؟!

– من المؤكد ان العوامل التى أدت الى تدهور وتوتر علاقة الطرفين فى السبعينيات قد تلاشت وحلت محلها عوامل جديدة تعمل فى صالح الديمقراطية ودعم الوحدة الوطنية .. فقد اختفى السادات واغلبية رجاله ابرزهم النبوى اسماعيل وكان هؤلاء يحاولون ضرب المسلمين بالاقباط والعكس من أجل الحفاظ على كرسى الحكم وتوجيه الغضب الجماهيرى الى قضايا أخرى فرعية ، علاوة على استخدام مقولة الفتنة الطائفية فى ضرب التيارات المعارضة . ولاشك أن نهج الرئيس مبارك فى الحكم وإيمانه العميق بالديقراطية يختلف جذريا عن نهج السادات والذى أدى الى هذا الصدام القريب من الاقباط والمسلمين فى مصر والذى تؤكد المصادر والوقائع التاريخية انهما قد عاشا فى أمن وسلام عبر التاريخ .

أيضا فإن استخدام السادات للدين الاسلامى والشريعة الاسلامية كشعار للحكم مجرد عن أى مضمون حقيقى لا لشىء سوى لتفويت الفرصة على التيار الاسلامى ولمحاولة خداع الرأى العام المصرى وتأييد رجال حكمه لنشاط بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة ودعمه لضرب اليسار أدى كل ذلك الى اشاعة عدم الثقة بين الاقباط وقد ضاعف من مشاعر عدم الثقة اقدام السادات على تغيير الدستور والنص لأول مرة فى الدستور المصرى على ان الشريعة الاسلامية هى مصدر اساسى للتشريع .

سبب آخر أدى لصدام الاقباط والسادات يرتبط بعلاقة مصر بأسرائيل والغرب .. فقد كان انفتاح الرئيس السادات على الغرب فرصة لتسلل بعض المنظمات الغربية المسيحية المشبوهة الى مصر ونشاطها بين الاقباط ومن هنا ظهرت بعض الجماعات المتطرفة داخل صفوف الاقباط وضاعف من ظهورها ونشاطها تكرار حوداث الاعتداء على بعض الكنائس والأديرة فى صعيد مصر بسبب نشاط بعض الجماعات الاسلامية المتطرفة .. وقد ارتكبت هذه الجماعات القبطية من جهتها عدة حوادث بحق بعض الرموز الاسلامية .. ولكن من المؤكد ان هذه الجماعات المتطرفة سواء على الجانب الاسلامى أو القبطى تعتبر اقلية ولم يكن مواجهتها من قبل الحكومة وجهات الأمر يستدعى كل هذا العنف وكل اجراءات سبتمبر ٨١ والتى عصفت بالتجربة الديمقراطية واساءت كثيراً الى عصر السادات وأدت فى النهاية الى مصرعه المأساوى .

● ● ●

أما فيما يتعلق بموقف السادات من اسرائيل خاصة بعد كامب ديفيد واتفاقية السلام وعلاقة هذا الموقف بتوتر العلاقة بينه وبين البابا شنودة فيرجع الى ان السادات وبيجين كانا يأملان فى دعم عملية التطبيع وتوسيع نطاقها وكان هناك أمل كبير معلق على موافقة اقباط مصر على التوجه للحج فى بيت المقدس وزيارة اسرائيل . وقد التقى الرئيس السادات بالبابا شنودة وطلب منه الاهتمام بهذا الموضوعه إلا أن البابا شنودة أكد له على موقف الكنيسة المصرية الرافضة لزيارة

القدس إلا بعد عودة كنيسة دير السلطان الى مصر وعودة بعض الأثار والوثائق القبطية الهامة التى استولت عليها سلطات الاحتلال الاسرائيلى .

وقد اغضب هذا الموقف الرئيس أنور السادات وضاعف من غضبه ان اقباط مصر التزموا التزاماً كاملاً بموقف البابا شنودة .

الفصل الثامن

الخروج من الدير

مع بداية تولى الرئيس حسنى مبارك مسئولية الحكم بدأت مرحلة جديدة بين النظام والكنيسة القبطية .. مرحلة حرصت فيها القيادة السياسية على تأكيد الوحدة الوطنية ودفعها الى مزيد من التآخى والترابط بين المسلمين والاقباط .

ونتيجة للسياسة الهادئة والمتزنه التى ينتهجها الرئيس مبارك عادت الى طبيعتها وعاد الصفاء الى سماء مصر وذابت كل الحساسيات بين الاقباط والمسلمين . ورأى الرئيس مبارك ان الوقت أصبح مناسبا لعودة البابا شنودة الثالث الي ممارسة مهامه البابوية بعد أن استقرت الأوضاع واستتب الأمن فى البلاد ولم تعد هناك حاجة الى استمرار عزلة البابا خاصة بعد أن افرج الرئيس مبارك فى بداية عهده عن قادة الاحزاب والسياسيين ورجال الدين الاسلامى والمسيحى والمتحفظ عليهم .

وفى الحادية عشرة من صباح يوم الثلاثاء ٢ يناير ١٩٨٥ وقع الرئيس مبارك قرارا بعودة البابا لممارسة نشاطه البابوى من أول يناير وكما كان عليه الحال قبل قرارات سبتمبر ١٩٨١ وطلب الرئيس مبارك من اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية وقتذاك ابلاغ البابا شنودة فوراً بالقرار ليبدأ نشاطه البابوى مع بداية الاحتفال باعياد الميلاد .

وقد أسعد هذا القرار الذى جاء فى الوقت المناسب جميع الاقباط وادخل السرور فى قلوبهم بعودة بابا الاقباط مع احتفالات اعياد الميلاد .

كان عودة البابا شنودة لممارسة مهامه البابوية مطلباً للاخوان المسلمين على لسان مرشدهم الراحل المرحوم عمر التلمسانى الذى طالب بالافراج عن البابا شنودة فور الافراج عنه من سجن طره .

وقصة عودة البابا الى ممارسة مهامة البابوية مثيرة وبها كثير من الاسرار قبل قرار العودة ..

كان أول وزير زار البابا فى عزلته بدير وادى النطورن هو المهندس حسب الله الكفراوى وزير الاسكان والتعمير .. وقد استاء الوزير من مشهد الحصار العسكرى حول الدير معبراً عن سخطه بأنه منظر غبى !!

واثناء مقابلة البابا شنودة للوزير الكفراوى . حكى الوزير للبابا انه قبل اعلان قرارات ٥ سبتمبر ٨١ ذهب المهندس حسب الله الكفراوى الى الرئيس السادات وقال له انه ورث عن والده اذا كان هناك طرفان متخاصمان فلابد من التدخل للاصلاح بينهما .. واقترح الكفراوى على الرئيس السادات قبل اعلان القرارات ان يجتمع بالمرحوم عمر التلمسانى والبابا وابراهيم شكرى معا لازالة سوء الفهم بينهم جميعا والعمل على صفاء المناخ السائد فى مصر .

وبعد أن اخذ السادات نفسا عميقا وطويلا من البايب مع لحظات تفكير قال السادات للكفراوى : لقد جئت متأخراً .. !!

لو كان السادات قد استمع الى نصيحة المهندس الكفراوى وزير التعمير وافرج عن البابا وعمر التلمسانى قبل اعلان القرارات على الملأ واجتمع بهم هل كان قد حدث ما حدث فى أكتوبر ٨١ .

لكن السادات استمع الى نصيحة أخرى .. أضرت به .. وأضّرت بمصر !!

أثناء محاصرة البابا فى الدير ذهب اليه اللواء حسن أبو باشا أول وزير داخلية فى عهد الرئيس مبارك ثلاث مرات لزيارته والاجتماع به فى دير الانبا بيشوى بوادى النطرون لمناقشة وضع البابا واللجنة الخماسية التى كلفها السادات بمهام البابا .. وكانت لهذه الاتصالات أهميتها تمهيداً للافراج عن بابا الاقباط .

فى الزيارة الأولى قال البابا لأبو باشا .. شكوانا للسادات كانت جرس انذار للخطر المحيط بنا وبالرئيس السادات . ولو كان السادات قد استمع لنا لكان قد اخذ حرصه من العناصر التى تتربص به .

وطلب اللواء حسن أبو باشا وزير الداخلية من البابا ان يفوض اللجنة البابوية .

فقال له البابا : لا استطيع ذلك لأنى أن فوضتها اكون مسئولا عن اعمالها وأنا يكفينى ان أكون مسئولا عن الاعمال السابقة .. وانتهت الزيارة الأولى .

واللجنة البابوية كما يؤكد البابا شنودة فى حد ذاتها تسمية خاطئة لان اللجنة البابوية هى اللجنة التى يشكلها البابا وتنوب عنه وليست لجنة تشكل من غيره خارج الكنيسة . فهذه اللجنة الخماسية كانت لها شرعية مدينة من جهة الدولة ولم تكن لها شرعية كنسية .

وقد بذلت جهود كثيرة للحصول على هذه الشرعية الكنيسة وفشلت ومن ضمنها محاولة لعقد المجمع المقدس دعا اليها ثلاثة من اعضاء هذه اللجنة فى ١٤ و ١٥ يوليو عام ١٩٧٢ ولم يحضر بالاضافة الى الثلاثة سوى ستة اعضاء فقط .. خمسة حضروا استجابة للدعوة وشخص حضر لكى يراقب اللقاء . وحضور تسعة من اعضاء المجمع المقدس الذى يزيد على الخمسين يدل على عدم استجابة اعضاء المجمع المقدس لدعوة هذه اللجنة .. وفشل اجتماعها .

وأرادت اللجنة بشيء من الضغط والتأثير ان تعيد الكرة لثانى يوم فحضر بالاضافة الى التسعة اثنان وفشل الاجتماع مرة أخرى ولم يعلن عنه ولم تكن له قرارات وانتهى الأمر . ثم بعد ذلك حدثت مقابلات وزير الداخلية مع البابا .

● ● ●

فى الزيارة الثانية للواء حسن أبو باشا سأل البابا لماذا لا تتعاون مع هذه اللجنة واذا كنت تريد ان تعدل فيها يمكن أن تضيف اليها أعضاء جددا وان كان بعض الاعضاء لا تستريح اليهم فمن الممكن ان نغيرهم .

ورأى البابا فى هذا الاقتراح طلبا ضمنيا يعنى اشتراكه فى اللجنة ، وبهذا تأخذ جانبا من الشرعية الكنسية فقال البابا : انما ما يريده الاقباط هو الحل الشامل لمشكلتهم وليس تغيير اللجنة باعضاء . ونحن عندنا « شماعة » كبيرة نعلق عليها اخطاء

الماضي وهذه الشماعة هي السادات ونبوى اسماعيل فكل اجراء ممكن ان نقول انه حدث فى العهد الماضى .. ايام السادات والنبوى اسماعيل . والحكومة تبذل جهدها لإصلاحه ولكن إذا تم تشكيل لجنة فى عهد الرئيس مبارك والوزير حسن أبو باشا فى هذه الحالة سوف يكون المسئول عن القرار هو الحكم الحاضر وأنا لا أريد اطلاقا ، ان محبة الاقباط للرئيس مبارك والوزير حسن أبو باشا تتأثر فلا داعى لمثل هذا الاقتراح ووافق الوزير على رأى البابا .

فى هذه الزيارة قال البابا لابو باشا ضاحكا : أنا متشكر يا سيادة الوزير انك زرتنى مرتين وأنا آسف انى لا استطيع رد الزيارة فضحك الوزير وقال للبابا : ان الزيارتين لن تحسبا وان شاء الله سأزورك فى مكتبك فى الزيارة الثالثة وتكون الزيارة لها رد منك .

وفى يونيو عام ١٩٨٤ زار اللواء حسن أبو باشا وبصحبته الاستاذ مكرم محمد أحمد رئيس تحرير المصور البابا فى الدير واجرى معه حديثا مطولا تحت عنوان « عزلة البابا لن تطول » .. وكان يبدو ان الاجراءات قد بدأت تتخذ لعودة البابا ولكن الرسميات اخذت بعض الوقت .

خرج اللواء حسن أبو الباشا من وزارة الداخلية وتولى اللواء أحمد رشدى الوزارة .. وبعد حادث الاعتداء على اللواء أبو باشا قام البابا شنودة بعد عودته الى القاهرة بزيارة أبو باشا مرتين فى المستشفى وتكلم معه كلاما طيبا .

● ● ●

كيف ابلغ البابا شنوده بقرار الرئيس مبارك ؟

كانت هناك مفاوضات حول صيغة القرار استمرت مدة طويلة ثم بعد ذلك زار اللواء أحمد رشدى وزير الداخلية البابا شنوده فى الدير وأبلغه قرار الرئيس مبارك بعودته الى ممارسة مهامه البابوية .

كانت هناك مناقشة بسيطة حول متى يعود البابا الى القاهرة ؟ هل فى مناسبة العيد ام بعد ذلك واستقر الرأى على عودته فى العيد مع اتخاذ اجراءات الأمن اللازمة وتفاهم فيها البابا مع الوزير أحمد رشدى وذكر اقتراحاته فى هذا الخصوص وكل شيء تم بهدوء ولم يحدث شيىء يثير الخوف .

عندما قام وزير الداخلية بابلاغ قداسة البابا شنودة الثالث بقرار الرئيس مبارك حمل من البابا رسالة لأبلاغها الى الرئيس تتضمن شكره وسعادته بالقرار وعرفانا للرئيس مبارك وأجهزة الأمن التى ارتفعت الى مستوى المسئولية الوطنية منذ الاحداث حتى تحقق الاستقرار والأمن للبلاد .. كما تضمنت الرسالة امتنان كل مسيحى فى مصر لقرار الرئيسى مبارك الذى اعاد البهجة الى الأقباط ووعد البابا بأن يتكاتف مع كل المخلصيين من أبناء مصر لتعيش الاستقرار والأمن والأمان الذى عاشته على مدى تاريخها الطويل فى تأخ ووحدة وطنية قومية بين ابناء الشعب الواحد .

كانت القيادة السياسية الجديدة قد حرصت على تأكيد العلاقات الطيبة بين النظام والبابا والكنيسة كما حرصت على الاتصال مع البابا من خلال ذهاب بعض كبار المسئولين الى البابا فى الدير خلال عزلته .

ومع بداية عام ١٩٨٢ قبل بداية أول زيارة للرئيس مبارك الى أوروبا وأمريكا . كتب البابا شنودة رسالة الى المصريين المغتربين فى يوم ٢٤ / ١ / ١٩٨٢ جاء فيها ما يلى :

أبنائى الاحباء فى المهجر كهنة وشعباً

سلام لكن من *الرب ونعمة . راجيا لكم كل خير وبركه وبعد :*

اكتب اليكم هذا الخطاب فى مناسبة الزيارة الأولى للرئيس حسنى مبارك لأوروبا وأمريكا بعد اختياره رئيسا للجمهورية . وهى زيارة لها أهميتها الكبيرة لخير مصر وسلامها ولحل مشكلات الشرق الاوسط .

ولاشك ان الرئيس مبارك سيقابل منكم بكل حفاوة وترحيب يليقان برئيس دولتنا الذى أمرنا الكتاب المقدس أن نحبه ونخضع له ، وأمرتنا الكنيسة أن نصلى من أجله فى كل قداس ، وفى كثير من طقوسنا .

واحب ان يعود الرئيس الى مصر بسلامة الله ، وفى قلبه ذكرى طيبه للقائه بكم فى رحلته هذه ، وجهودكم المخلصة من أجل مصر ، وتذكروا باستمرار قول الكتاب « لتصر كل اموركم فى محبة » .

والرئيس مبارك قد تولى الحكم فى ظروف صعبة جدا ومعقدة للغاية ، يلزم لمصر فترة كافية من الوقت لحلها ، ونحن نصلى لأجله باستمرار من عمق قلوبنا حتى يؤيده الله بقوة من عنده ، يستطيع بها ان يقود البلاد الى السلام والاستقرار وتحقيق أمانيها الوطنية ، ونصلى ايضا لأجله ان يوفقه الله فى كل لقاءاته السياسية فى هذه المرحلة الهامة وينجح طريقه .

يحمل اليكم هذا الخطاب صاحب النيافة الانبا غريغوريوس والأنبا موسى ، بكل ما فى قلبيهما من حب ، وبكل ما فى روحيها من حكمة ، أحب ان تقابلوهما بالود والثقة ، وعلينا ان نصلى باستمرار ان يقود الله تصرفاتنا جميعا ، وان نحقق مواعيد الالهية لنا ، كضابط الكل محب البشر

[كونوا جميعكم بخير ، معافين فى الرب . الرب معكم]

(شنوده)

● ● ●

وقد جاء قرار الرئيس مبارك لعودة البابا شنودة لممارسة مهام البابوية كما يلى :

قرارا رئيس الجمهورية

رقم ٦ لسنة ١٩٨٥

باعادة تعيين بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

رئيس الجمهورية

بعد الاطلاع على الدستور

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٢٧٨٢ لسنة ١٩٧١ بتعيين بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية .

وعلى قرار رئيس الجمهورية رقم ٤٩١ لسنة ١٩٨١ بإلغاء قرار رئيس الجمهورية السابق ذكره :

وبناء على ما عرضه علينا وزير الداخلية

قـــرر

مادة ١ - يعاد تعيين الانبا شنودة الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية .

مادة ٢ - على وزير الداخلية تنفيذ هذا القرار

صدر برئاسة الجمهورية فى ١١ ربيع الثانى ١٤٠٥ (٣ يناير ١٩٨٥)

(حسنى مبارك)

● ● ●

وكان الرئيس حسنى مبارك قد بعث ببرقية تهنئة الى البابا شنودة بمناسبة عيد الميلاد المجيد جاء نصها :

قداسة البابا شنودة الثالث

بطريركية الاقباط بالعباسية - مصر

يسعدني ان أوجه الى الأخوة المسيحيين تهنئة خالصة بعيد ميلاد السيد المسيح رمز الحب والتسامح والاخاء ، وقد وجدت دعوته في بلادنها أرضا خصبة لتنمو وتزدهر ، وحيثما اشرق نور الاسلام التقت على ثرى مصر الطيب شرائع السماء المسيحية السمحاء والاسلام السمح في ود عميق ومحبة صادقة . فأرضنا منذ فجر الحياة هي أرض الحب والسماحة ، المصريون جميعا مسلمين وأقباطا كانوا على مدار التاريخ نبضا وطنيا واحدا وكتيبة شجاعة واحدة في كل معارك التحرير والبناء على حد سواء . ولقد حاول الاستعمار بشتى صوره ان يفتت هذه الوحدة وأن يعمل بدسائسه الخفية والظاهرة لإحداث الفرقة ، ولكن كل هذه المحاولات فشلت وتحطمت على صخرة الوحدة الوطنية . فقد ادرك شعبنا العريق بفطرته السليمة وببصيرته النافذة ان الدين لله والوطن للجميع . ونحن نثق في ان شعبنا العظيم بعون الله وتوفيقه ، وبوحدته الوطنية وطاقاته الروحية وملكاته المبدعة قادر على أن يعين صياغة الحياة على أرضه وفق أمانيه الحرة .

والله أسأل أن يوفقنا جميعا الى ما فيه مرضاته وان يهدينا الى طريق الحق والصراط المستقيم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته »

وقد رد البابا شنودة على برقية الرئيس مبارك حيث شكر محبته وجاء نصها :

« السيد الرئيس محمد حسنى مبارك - القاهرة

أشكركم كثيرا على محبتكم التى اظهرتموها نحونا فى مناسبات متعددة . ولقد تأثرت كثيرا بتهنئتكم الرقيقة لنا بالعيد وما حوته من كلمات الحب والوطنية ، وما رسخته من مبادىء عميقة أواصر الله لكم هذا القلب الكبير ، وحفظ الله لكم هذه الحكمة ، وأبقى الله مصر على الدوام امثولة طيبة للمحبة والسلام والأمان ، يعيش فيها المسلمون والمسيحيون معا بقلب ينبض بحب مصر ، وبروح واحدة تؤمن

بإله واحد نعبده جميعا ونسبح اسمه القدوس ، وليكن عهدكم عهداً مباركاً يتمتع فيه وطننا بالثقة والطمأنينة والحب والسلام . ان بلادنا يا سيادة الرئيس تعيش على الدوام فوق الاحداث ، تجتازها وتخرج منها شامخة نقية ، صورة رائعة حية ، تتكرر فى تاريخ مصر المجيد ، ونحن نعلن للجميع ان المسلمين والمسيحيين يضعون محبتهم لله والوطن ومحبتهم لبعضهم البعض فوق كل اعتبار ويتعاونون من أجل مصر وخيرها ، ويتطلعون الى مستقبل زاهر لها تحت قيادتكم الرشيدة » .

وعاد البابا الى القاهرة .. الى مقره البابوى بالكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية بالقاهرة حيث رأس قداس عيد الميلاد . وانتهت اكبر ازمة بين النظام والكنيسة القبطية واختفى هذا الصراع مع بداية تولى الرئيس مبارك للحكم .

● ● ●

وخلال سنوات حكم الرئيس مبارك حتى الأن وهذا ما يؤكد البابا شنودة لم يقع اعتداء على الاقباط ولم تحدث فتنه طائفية واحدة ولن تحدث نتيجة لسياسة الرئيس الهادئة المتزنة .. وقد انقذ الرئيس مبارك بحكمته البلاد باعتباره ضمانه وطنية .. وعاد المناخ الصحى كما كان فى البلاد قبل احداث الفتنة الطائفية .. بل التعاون الوثيق والأخوى بين المسلمين والأقباط من خلال الزيارات المتبادلة بين علماء الدين الاسلامى ورجال الدين المسيحى .. وحرص كبار رجال الدولة وفى مقدمتهم الدكتور رفعت المحجوب رئيس مجلس الشعب والدكتور عاطف صدقى رئيس الوزراء وفضيلة الأمام الاكبر جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر والدكتور عبد القادر حاتم رئيس المجالس القومية المتخصصة والدكتور على لطفى رئيس مجلس الشورى السابق والدكتور محمد حسن الزيات وزير الخارجية السابق واللواء زكى

بدر وزير الداخلية والدكتور محمد على محجوب وزير الاوقاف والدكتور عادل عز وزير البحث العلمى وكبار رجال الدولة والصحافة والاعلام على حضور مأدبة الافطار التى يقيمها البابا شنودة فى شهر رمضان المعظم فى الكاتدرائية الكبرى تأكيداً على روح المحبة والمودة بين الأقباط واشقائهم المسلمين .. وبعد تناول الافطار يؤم الصلاة شيخ الأزهر للمسلمين فى الكاتدرائية تعبيرا عن المحبة وسماحة الاسلام تجاه الأقباط .

وثائق وصــور



السيد الرئيس أنور السادات - حفظه الله

تحية طيبة مع صادق الدعاء وبعد ،

بمناسبة عيد الفطر ، أعاده الله عليكم وعلى كل اخوتنا المسلمين بالخير والبركة .

أكتب اليكم هذه الرسالة ، أحملها محبتي لكم ، وثقتي الكبيرة بكم ، وتقديري لجهودكم الجبارة التي تبذلونها من أجل وطننا المحبوب وسلامه وسلامته ووحدته الوطنية ..

كما أعبر لكم في هذه الرسالة أيضا عن أن اخلاص الأقباط لكم مبني على حب وعقيدة . اما الحب فهو لشخصكم كانسان ، يقدر مشاعر الانسانية ، ويهتم بنيان كل انسان وحريته وكرامته . أما عن العقيدة ، فلأن الأقباط بحكم عقيدتهم الدينية يصلون من أجلكم كحاكم ، في كل قداس ، ويصلون لأجل سلامة بلادنا .

هؤلاء الأقباط يا سيادة الرئيس ، الذين هم أعضاء في أسرتكم الكبيرة يضعون ما بهم بين يديك ، وهم يثقون بمحبتكم وعدلكم وحسن تصريفكم للأمور اننا نرى أن سيادتكم هو دائما صاحب القرار الذي يطمئن الجميع ...

دمتم لمصر [illegible] وللقيم السامية ، والله نسأل أن يوفقكم ويقويكم ويرشدكم الى ما فيه خير الجميع .

الرب معكم ..

وختاما لكم خالص تقديرنا ، أعاد الله عليكم هذه الايام بكل خير ..

القاهرة في : ١٠ من سبتمبر ١٩٧٧

البابا شنوده الثالث

بابا الأسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

ورئيس المجمع المقدس

صورة خطاب البابا شنودة إلى الرئيس السادات فى ١٠ سبتمبر ١٩٧٧ لتهدئة الأزمة .

قداسة الانبا شنوده الثالث

بابا الاسكندريه وبطريرك الكرازه المرقسية

تحيه طيبة وبعد ..

فقد أهدى مجلس الكنائس الميثودى العالمى جائزة السلام لعام ١٩٧٨ الينا تقديرا لجهودنا لاقرار سلام عادل ودائم فى المنطقه التى شهدت خطى الانبياء ورسالات السماء .

ولما كان شعبنا من مسلمين ومسيحين قد عاش على ارضها السمحة نسيجا وطنيا واحدا ، وكتيبة نضال واحدة من أجل الحق والعدل والسلام ، وانطلاقا من روح المحبة والتآخى التى تجمع بين مسلمى ومسيحى مصرنا العريقة فانى اهدى الى قداستكم الميدالية الذهبيه الخاصه بهذه الجائزة للاحتفاظ بها فى المكان الذى ترونه مناسبا .

وانى أدعو الله تعالى أن يسدد على طريق الخير خطانا لتحقيق لشعبنا العريق كل مايصبو اليه من حياة حرة كريمة .

ومع أصدق تحياتى ، أرجو لقداستكم موفور الصحة والسعادة .



محمد انور السادات

١٧ديسمبر ١٩٧٨

صورة خطاب الرئيس السادات إلى البابا شنودة يبلغه فيه اهدائه الميدالية الذهبية لجائزة السلام والتى حصل عليها من أمريكا مما يعكس روح المحبة التى كانت سائدة بينهما



المقر البابوى

السيد الرئيس المحبوب محمد أنور السادات

تحية طيبة مع صادق الدعاء وبعد :

تلقيت بمزيد من الشكر ، الميدالية الذهبية التى اهديت الى سيادتكم من مجمع كنائس المشيخة تقديرا من المسيحيين فى الغرب للجهود الكبير العملى المخلص الذى قمتم به من أجل السلام ، فى شجاعة تستحق الاعجاب - وشاءت محبتكم من منطلق روح المحبة والتآخى التى تجمع بين المسلمين والمسيحيين أن تهدوا الينا هذه الميدالية .

ولقد وقفت أمام محبتكم ولمساتكم الانسانية العميقة مبهوتا مدة طويلة .
ولا يسعنى الا أن اشكر مشاعركم النبيلة وعملكم لاجل الوحدة الوطنية - كما يفرحنى أن أشهد بجهودكم لاجل السلام التى استحققتم عنها - عن جدارة - تقدير العالم فى جائزة نوبل ، وتقدير رجال الدين المسيحى الذى عبرت عنه هذه الميدالية .

اننا نصلى أن يحفظكم الرب ، وينجح طريقكم ، ويديمكم لمصر ، وللحق ، والسلام ، وسنحفظ هذه الميدالية فى قلوبنا وذاكرتنا ، كما نحفظها فى المقر البابوى رمزا وتقديرا .

ختاما لكم خالص محبتنا وشكرنا ،

البابا شنوده الثالث

يناير ١٩٧٩

صورة خطاب البابا شنودة إلى الرئيس السادات يشكره فيه على اهدائه الميدالية الذهبية بجائزة السلام .

اعـــــلان

من مطارنه وأساقفه الكنيسه القبطيه الارثوذكسيه٠

تعـلن

مطارنه واساقفه الكنيسه القبطيه الارثوذكسيه ان قداسه البابا شنوده الثالث بابا الاسكندريه ويطريرك الكرازه المرقسيه الرأس الأعلى للكنيسه طبقا لقوانين الكنيسه وتعاليها الرسوليسه التى تمنع ان يحل محله اخر فى حياته ولا مساس لرئاسه كهنوته المقدس ويؤكدون تمسكهم ببابويته ورئاسته للكنيسه كلهـا ٠

صورة من بيان المجمع المقدس لتأييد قداسة البابا شنودة وعدم المساس بكهنوته المقدس ، يؤكدون فيه تمسكهم ببابويته ورئاسة الكنيسة

يعلن اعضاء المجلس الملى العام للاقباط الارثوذكس ان قداسة البابا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية الرأس الاعلى للكنيسة طبقا لقوانين الكنيسة وتقاليدها الرسولية التى تمنع ان يحل محله آخر فى حياته ولا مساس لرئاسة كهنوته المقدس ويؤكدون تمسكهم ببابويته ورئاسته للكنيسة كلها ..

اعضاء المجلس الملى العام

للاقباط الارثوذكس

صورة من بيان المجلس الملى يعلن فيه تمسكه بالبابا شنودة مدى الحياة

المقر البابوي

+

أبنائي الأحباء في المهجر كهنة وشعباً

سلام لكم من الرب ونعمة، راجياً لكم كل خير وبركة، وبعد:

أكتب إليكم هذا الخطاب في مناسبة الزيارة الأولى للرئيس حسني مبارك لأوروبا وأمريكا بعد اختياره رئيساً للجمهورية، وهي زيارة لها أهميتها الكبيرة لخير مصر ولسلامها ولحل مشكلات الشرق الأوسط.

ولا شك أن الرئيس مبارك سيقابل منكم بكل حفاوة وترحيب يليقان برئيس دولتنا الذي أمرنا الكتاب المقدس أن نحبه ونخضع له، وأمرتنا الكنيسة أن نصلي من أجله في كل قداس وفي كثير من طقوسنا

وأحب أن يعود الرئيس إلى مصر بسلامة الله، وفي قلبه ذكرى طيبة للقائه بكم في رحلته هذه، وجهودكم المخلصة من أجل مصر، متذكرين باستمرار قول الكتاب "لتصر كل أموركم في محبة".

والرئيس مبارك قد تولى الحكم في ظروف صعبة جداً ومعقدة للغاية، يلزم مصر لحلها فترة كافية من الوقت. ونحن نصلي لأجله باستمرار، من عمق قلوبنا، حتى يؤيده الله بقوة من عنده، يستطيع بها أن يقود البلاد إلى السلام والاستقرار وتحقيق أمانيها الوطنية، ونصلي أيضاً لأجله أن يرافقه الله في كل لقاءاته السياسية في هذه الرحلة الهامة وينجح طريقه

يحمل إليكم هذا الخطاب صاحبا النيافة الأنبا غريغوريوس والأنبا موسى، بكل ما في قلبيهما من حب، وبكل ما في روحيهما من حكمة. أحب أن تقابلوهما بالود والثقة. وعلينا أن نصلي باستمرار أن يقود الله تصرفاتنا جميعاً، وأن يحقق مواعيده الإلهية لنا، كضابط الكل محب البشر

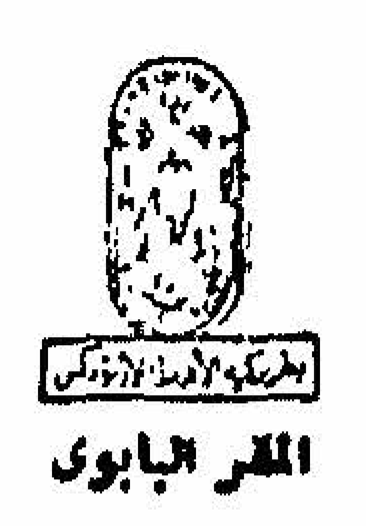
كونوا جميعكم بخير، معافين في الرب. الرب معكم

شنوده

مساء الأحد ٢٤/١/٨٢ (١٦ طوبة)

عشية عيد القديسين مكسيموس ودوماديوس

صورة من خطاب البابا شنودة إلى الأقباط المغتربين فى الخارج لتأييد الرئيس مبارك أثناء رحلته الى أمريكا عام ١٩٨٢



المقر البابوى

+

ابنائى الأحباء كهنة وشعباً

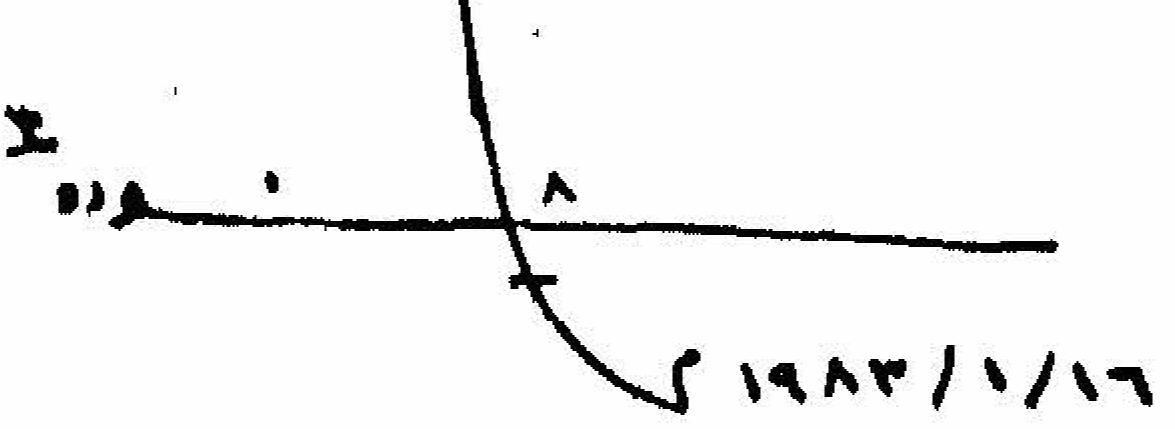
فى كل كنائسنا بأمريكا ، حفظهم الرب

سلام ومحبة ، راجياً لكم من الرب الصالح ، عاماً جديداً سعيداً ،
وبركة خاصة فى هذه الأيام المقدسة . لعلكم جميعكم بخير . الرب معكم ،
يسمعنا عنكم كل حين كل خبر طيب ، وبعد ،

يحضر لعندكم خلال الأيام المقبلة ، الرئيس حسنى مبارك ، فى زيارة
رسمية لأجل مصر ، أمنا كلنا ، التى نحبها جميعاً ، وتصلون لأجل سلامها
وخيرها . ونحن نود أن تكون رحلة الرئيس موفقة ، فنجاحه نجاح لمصر
كلها . ونثق أن مشاعر المحبة التى تملأ قلوبكم من جهة بلادنا ستكون واضحة
للجميع ، وأنكم ستستقبلون الرئيس مبارك حسب وصية الإنجيل بكل إكرام ، كما
تذكره الكنيسة فى صلواتها ، لكيما يوفقه الرب ، ويحقق له أهداف رحلته ، ويرجع
الى مصر وفى قلبه وفكره ذكريات جميلة عن لقائكم الطيب .

يحمل اليكم هذا الخطاب أخوتى الأحباء أصحاب النيافة : الأنبا دوماديوس
والأنبا رويس والأنبا موسى ، وكلهم موضع ثقتى . أرجو استقبالهم بكل حب ،
فى قلوبكم وفى كنائسكم ، كأحباء أجلاء فى الكنيسة المقدسة ، يعملون لأجلها بكل إخلاص
وختاماً لكم خالص محبتى . الرب معكم جميعاً ، يقود تصرفاتكم حسب حكمته
الالهية ، بكل روحانية ، وفقه مشيئته الصالحة .

كونوا بخير ، معافين فى الرب .



١٩٨٣/١/١٦م

.. وصورة من خطاب آخر للبابا شنودة إلى الأقباط بالمهجر لتأييد الرئيس مبارك فى زيارته الرسمية لأمريكا عام ١٩٨٣

شهادة للتاريخ

بقلم : هنا ناروز المحامى

عقب احداث إلغاء الاحتفال بعيد الميلاد المجيد عام ١٩٨٠ وذهاب البابا شنودة الى الدير . رأى الرئيس السادات تشكيل لجنة تقصى للحقائق عن احداث الفتنة الطائفية وان يرأس اللجنة محمد رشوان وكيل مجلس الشعب وعضوين من الاقباط وعضوين من المسلمين بالمجلس ولم يذكر السادات اسماءهم وكان من المفهوم فى ذلك الوقت ان اكون أحد العضوين المسيحيين . وانتظرت صدور قرار بذلك لمدة شهر . ولم يصدر القرار وكنت مضطرا الى السفر الى انجلترا لزيارة ابنى فى لندن . وفى ثانى يوم سفرى شكلت اللجنة ولم اكن فيها . وعند عودتى من الخارج ذهبت لمقابلة محمد رشوان – الله يرحمه – وافهمته بأننى لدى معلومات يجب أن أدلى بها باعتبارى الشاهد الوحيد الذى يمكن ان يدلى بأقوال صحيحة عن الطرفين . ووجدت ان محمد رشوان يحاول ان « يكلفت » التحقيق ، فقلت له أنا لازم أتكلم . وكان فى هذا الوقت سوف يتكلم كل من الأنبا صموئيل والأنبا يؤانس كمطرانين عن البطريركية . احضرا لى مذكرة قمت بمراجعتها معهما .

• • •

بعد أن انتهيت من لقائهما بدأت أنا بتوضيح الوقائع الصحيحة التى تتلخص فى ان قداسة البابا شنودة لم يخطىء أى خطأ فى هذا الأمر وان كان كل الذى قيل فى مجلس الشعب « أوهام » وان البابا لم يتصل بأقباط الخارج اطلاقا بل كان أى انسان يلمس ان هذا الكلام غير صحيح . بل استحالة ان يتصل البابا بهم فى الخارج إلا عن طريق البرقيات والخطابات وهذا لم يحدث اطلاقا ، ولم يطلب قداسة البابا من أى انسان ان يكون ضد الدولة أو الحكومة بل كان على الدوام معهما .

لقد أعد رشوان تقرير لجنة تقصى الحقائق بمفرده وأدان قداسة البابا والأقباط ظناً منه ان هذا يرضى السادات أو من نوع من يريد كسب رضاء السادات عليه .. ولكن السادات رفض اعتماد التقرير أو التوقيع عليه والذى أعلمه علم اليقين ان الدكتور حلمى الحديدى أحد اعضاء اللجنة قرر لى شخصيا انه لم يوقع على ما كتبه رشوان .

وأؤكد ان كل ما كتبه وقاله رشوان فى التقرير غير صحيح ولا يوجد مصرى سواء كان مسلماً أو قبطياً يقف ضد بلده .

فى هذه الظروف ذهب البابا إلى الدير واجتمع بالمجمع المقدس والمجلس الملى الذى كنت فى ذلك الوقت عضوا به وحاليا وكيل المجلس واتخذنا قرارا بتأييد السادات .

وكان السادات قد طلب خطاب اعتذار من البابا شنودة ولكن البابا رفض ان يبدى اعتذارا لانه لم يخطىء وبعد عدة مداولات اشتركت فيها قبل البابا أن يعود للقاهرة قبل العيد الكبير وحضر اجتماع الاقباط الاسبوعى وتكلم البابا حديثا حماسيا قويا أيد فيه السادات وسياسة مصر ..

● ● ●

واعتقدنا أن الأمور قد عادت إلى طبيعتها . واحتفل البابا بالعيد ولا ندرى ما سبب انقلاب الرئيس السادات فى أواخر أغسطس ١٩٨١ ثم اصداره قراره الخاطىء بالغاء رسامة البابا وهو أمر لا يمكله . لأن السادات لا يملك تعيين البابا ولكن يملك اعتماد انتخاب البابا .. والمجمع المقدس - وهو الذى يملك عزل البابا - قد أقر تعيينه قبل السادات .

عمل كده السادات - الله يرحمه - واغتيل بعد شهر . وعلى مدى التاريخ كل حاكم يتعرض لهذا الكهنوت بالقتل أو بالحبس كان نصيبه الاغتيال أو يتعرض لحادث ينتهى به !! والسادات كان يعلم ذلك ولكنه كان يصر على العناد مع البابا .

والرئيس السادات لم يكن سيئاً .. ولم يكن متعصبا أبدا بمعنى انه يكره الاقباط . كان يحب مصر ويضحى من أجل بلده وكان رجلا بطبعه متسامحاً وكنت اتوقع ان يعود البابا قبل مرور أكثر من شهر على اعتقاله ولكن القدر عجل بموت السادات .

● ● ●

والرئيس حسنى مبارك بعد توليه الرئاسة كان متفاهما معنا إلى أقصى الحدود . وطوال مدة اعتقال البابا فى الدير كان البابا يعلم ان هذا لمصلحة مصر ، لظروف التطرف الدينى وكان يتقبله . وكان يقول أنا رجل راهب متعود على عيشة الدير .. وأنا بطريرك فى الدير .. وبطريرك خارج الدير .

وجاء قرار الرئيس مبارك بإعادة تعيين البابا قبل الدولة من جديد وعودته لممارسة مهام البابوية بالقاهرة والغى قرار السادات السابق !!

كانت علاقة الرئيس مبارك طيبة مع البابا وهو فى الدير وكان الرئيس يسارع الى حل مشاكل الاقباط التى يعرضها البابا عليه وهو مازال فى الدير من خلال اتصالنا بالرئيس مبارك .

وأعتقد أن الرئيس مبارك هو أفضل حاكم من هذه الناحية منذ تولى الرؤساء محمد نجيب وعبد الناصر والسادات حكم مصر فالرئيس مبارك رجل نزيه يحاول أن يعطى كل مصرى حقه .

حنا ناروز

المحامى

المحامي
حنا ناروز
٤٣ شارع شريف باشا - القاهرة
تليفون ٧٥٧٠٧٤

HANNA NAROUZ
AVOCAT
48, Rue Chérif Pacha Le Caire
Tel. 757074

القاهرة في [illegible] سبتمبر ١٩٨٠

السيد الأخ الكريم الرئيس أنور السادات حفظه الله

تحية طيبة وبعد . أرجو من الله أن يديم ظلكم وينفعكم إلى ما فيه الخير لمصر والعالم
أستأذن سيادتكم في [illegible] الإصابات التي كتبتها لسيادتكم منذ
تكاثرت الحوادث ضد الأقباط بشكل خطير خصوصاً من الجماعات
الإسلامية بالجامعات [illegible] التي تعتدي على الطلبة المسيحيين وتخطف الطالبات المسيحيات
بل أخذ [illegible] كذبا بأنهم [illegible]
الإسلام ويخطب في المساجد والجماعات ضد المسيحية [illegible] المسيحية والمسيحيين
[illegible]
خصوصاً [illegible] المسئولية [illegible]
شيئاً [illegible] تكرارها وتكرارها

وأنا أكتب هذا [illegible]
[illegible]
[illegible]

أرجو من السيد الرئيس [illegible]
[illegible]
[illegible]
في شعب مصر الأصيل

وللسيد الرئيس [illegible] كل شكري [illegible]

[illegible]

صورة خطاب حنا ناروز المحامى إلى الرئيس السادات يبلغه فيه تكاثر حوادث الاعتداءات ضد الاقباط فى عام ١٩٨٠



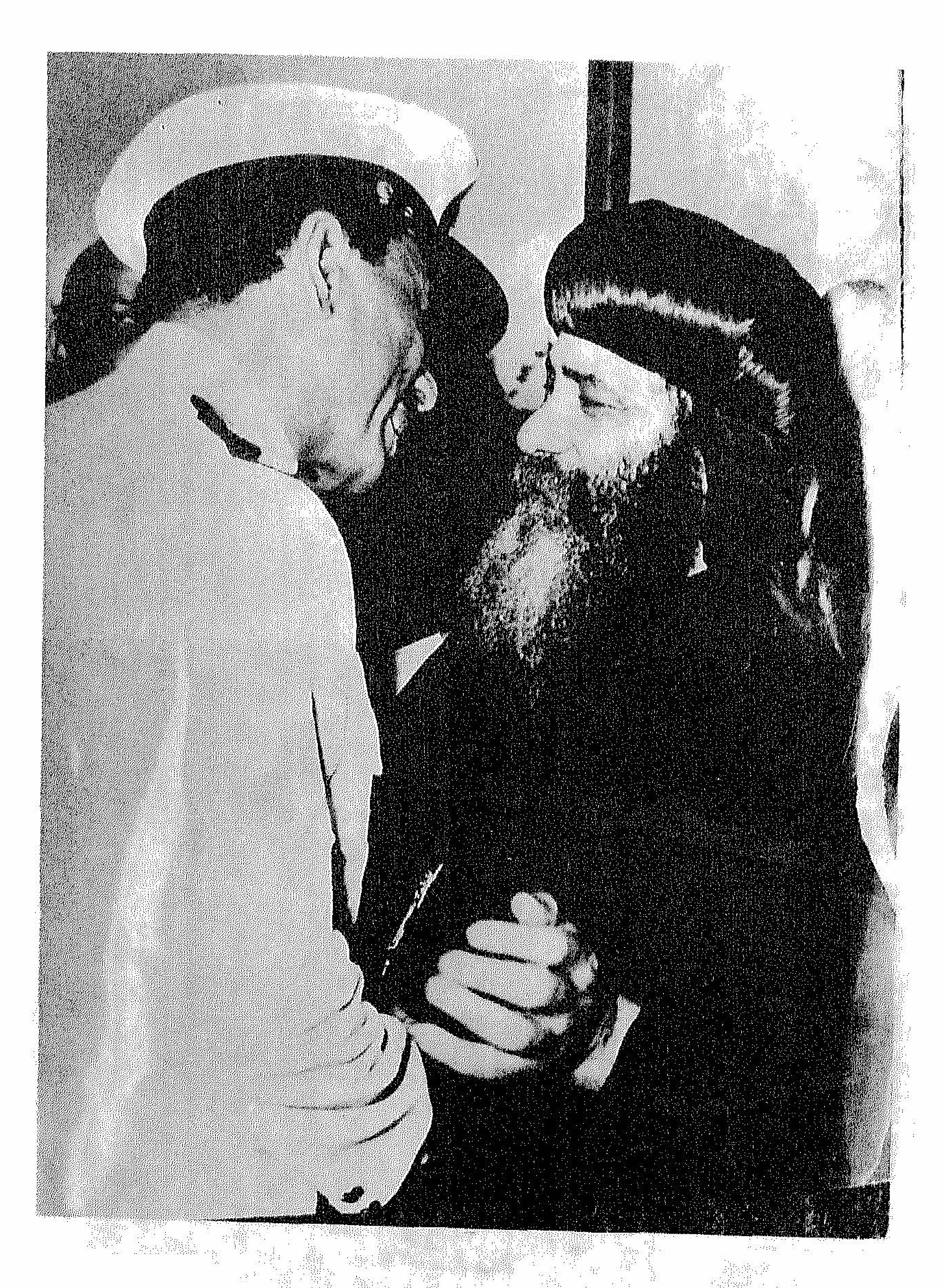
بالأحضان فى منزل السادات بالجيزة عام ١٩٧١



قداسة البابا يرحب بالرئيس السادات فى الكاتدرائية عام ١٩٧٢



اجتماع منفرد عام ١٩٧٢ فى مكتب البابا شنودة تحدث فيه السادات عن الاستعداد لحرب أكتوبر

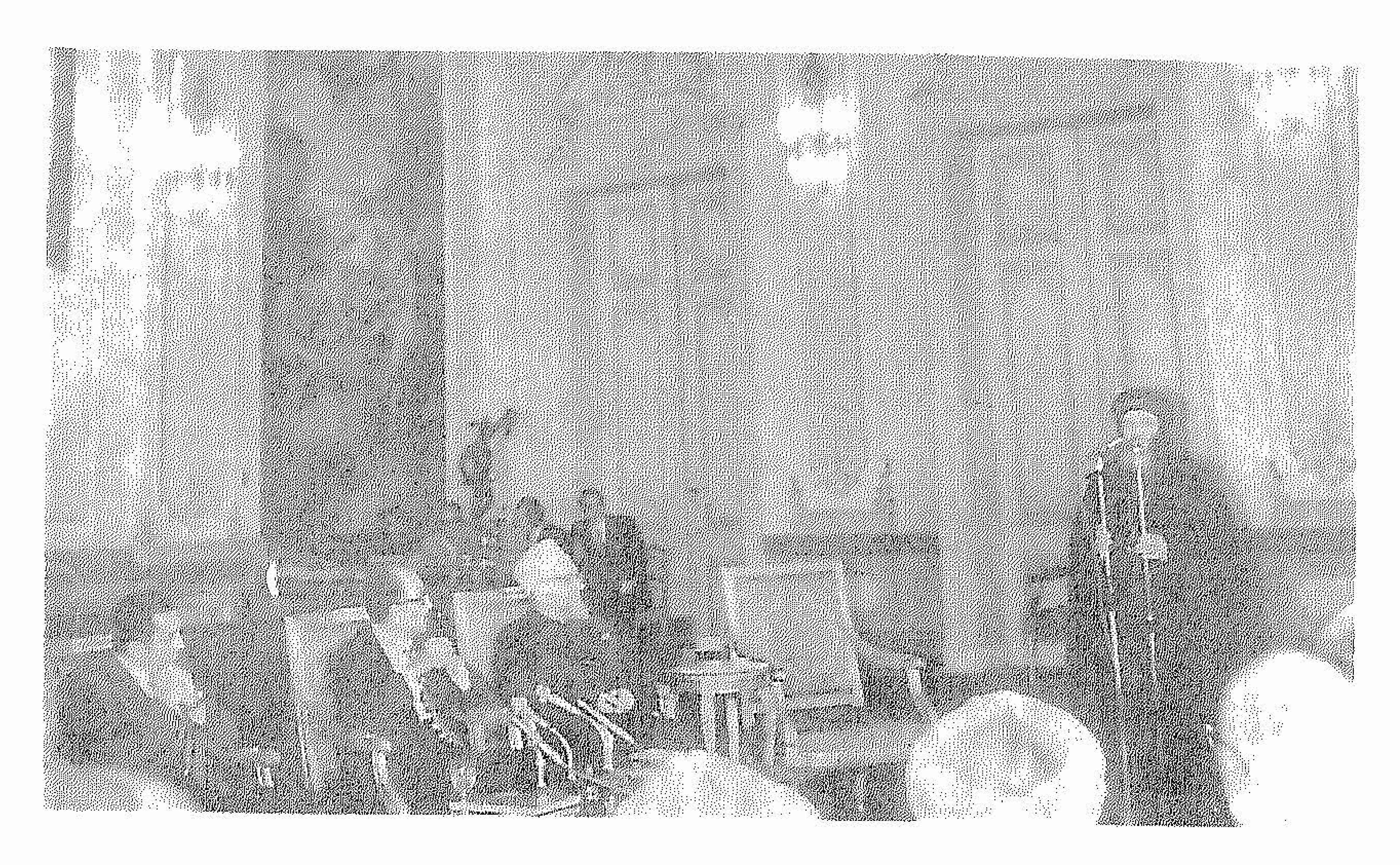


حوار باسم .. انقلب الى قطيعة !!

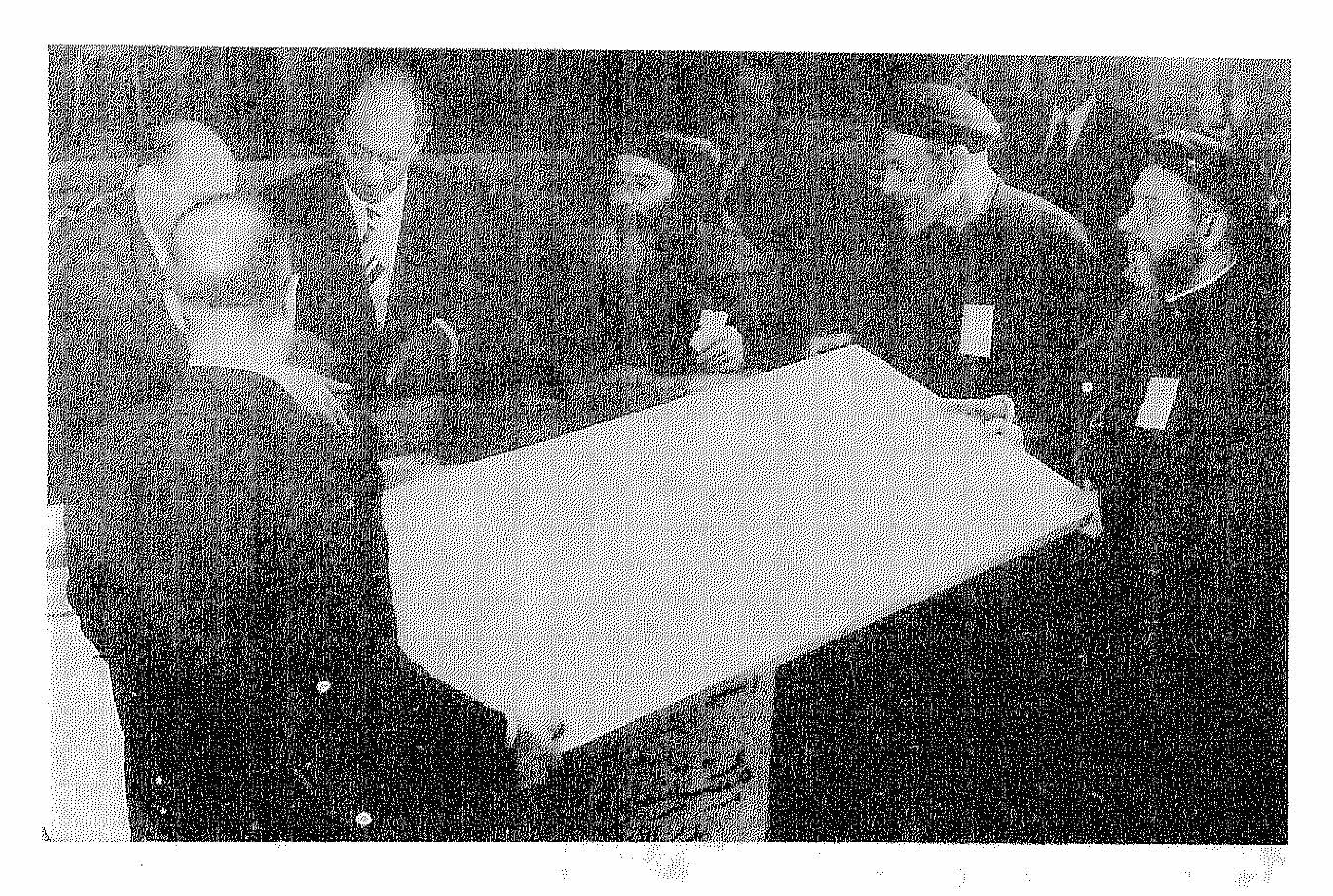




بابا الأقباط وشيخ الأزهر يشاركان الاحتفال برفع علم مصر فوق مدينة العريش
يوم ٢٦ مايو ١٩٧٩



البابا شنودة يتحدث عن سماحة الاسلام فى قصر عابدين عام ١٩٧٧



الرئيس السادات يضع حجر الأساس لمستشفى مارمرقس

ممدوح سالم رئيس الوزراء يستمع إلى البابا عن متاعب الاقباط

البابا يتحدث أمام المؤتمر الإسلامي المسيحي بالجامعة العربية عام ١٩٧٥

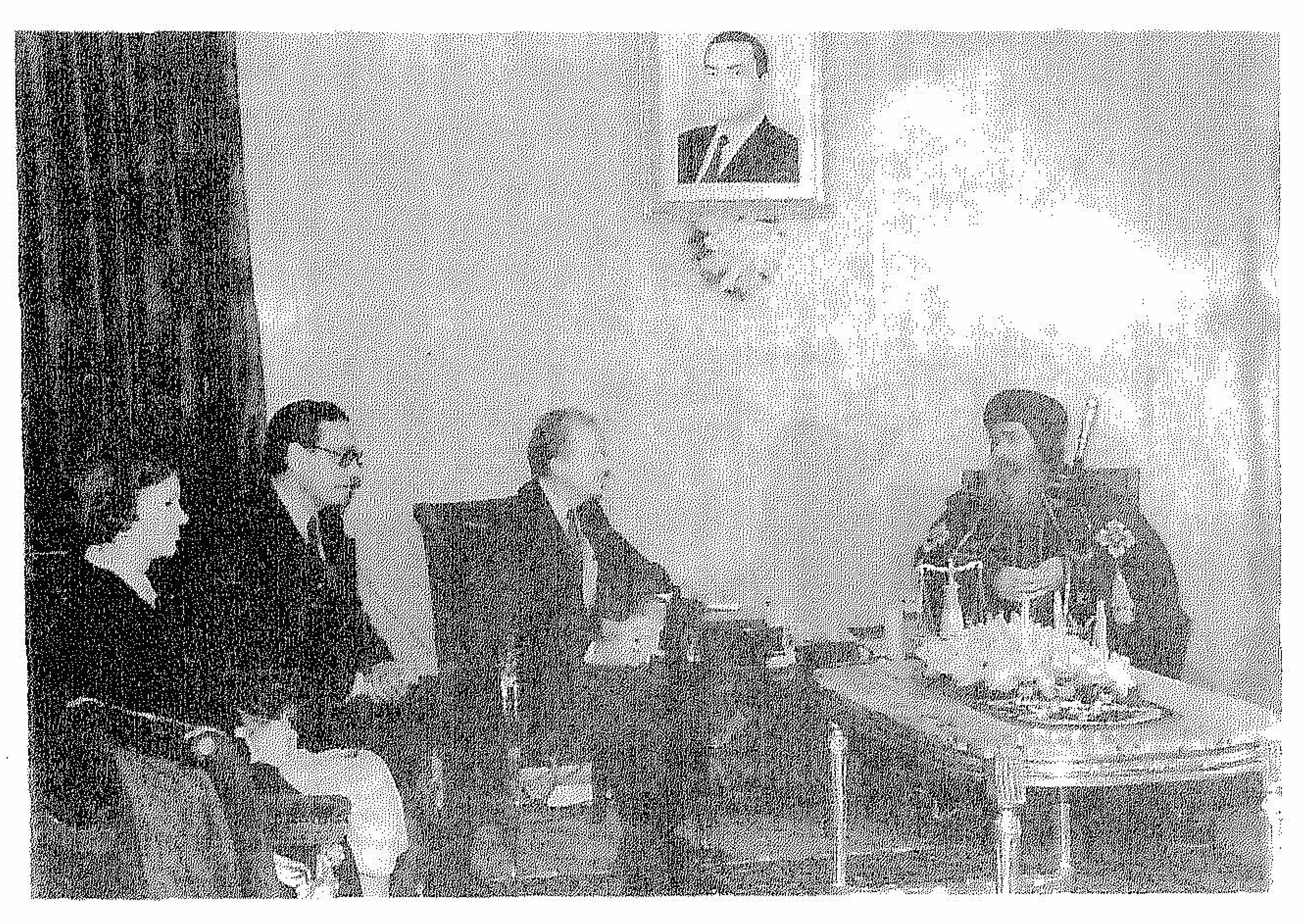


صورتان نادرتان للرئيس جمال عبد الناصر والبابا كيرلس فى افتتاح الكاتدرائية ..
والرئيس محمد نجيب أثناء زيارته للكاتدرائية الكبرى عام ١٩٥٣

الرئيس حسنى مبارك يرحب بالبابا شنودة فى إحدى المناسبات القومية



البابا شنودة فى إحدى زياراته للرئيس مبارك عندما كان نائبا للرئيس





البابا شنودة أثناء استقباله للرئيس الأمريكي جيمي كارتر وقرينته روزالين .. وقد أهدى البابا هدية تذكارية للرئيس الأمريكى عام ١٩٨٧



البابا يستقبل نجيب محفوظ بعد حصوله على جائزة نوبل ومعه سعيد سنبل رئيس مجلس الإدارة ورئيس تحرير الأخبار



.. ويستقبل محمد حسنين هيكل بعد صدور كتابه (خريف الغضب)



مأدبة الأفطار بالكاتدرائية التى اعتاد البابا اقامتها سنويا وفى الصورة الدكتور رفعت المحجوب والدكتور عاطف صدقى والامام الأكبر الشيخ جاد الحق على جاد الحق شيخ الأزهر



شيخ الأزهر يوم الصلاة بالكاتدرائية الكبرى



زعماء أحزاب المعارضة ابراهيم شكرى ومصطفى كامل مراد وسيف الاسلام حسن البنا اثناء زيارتهم للبابا شنودة بالكاتدرائية الكبرى



أنور محمد (المؤلف) فى إحدى لقاءاته بالبابا شنودة أثناء قيامه باعداد الكتاب .

محتويات الكتاب

للمـــؤلف

تحـــت

الطبـــع

وراء كل ديكتاتـــور

امـــرأة

قريبا

كتاب جديد .. مثير

أنور محمد

شهود عصر السادات

فؤاد سراج الدين – كمال حسن على
منصور حسن – محمد عبد الغنى الجمسى
د . حلمى مراد – د . محمد حسن الزيات
حسن أبو باشا – صلاح الشاهد
د . محمد عبد السلام الزيات

التوزيع الداخلى

مؤسسة الأهرام

تليفون : ٧٥٥٥٠٠

التوزيع الخارجى

الشركة القومية للتوزيع

تليفون : ٧٥٠٢٦٢

رقم الإيداع : ٧٧٥٣ / ١٩٨٩

طبع بمطبعة دار نوبار للطباعة



قصة البابا شنوده الثالث بابا الاسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية مع الرئيس أنور السادات قصة فريدة .. مثيرة .. بدأت بالصداقة والتعاون بينهما وانتهت بالخلافات الشديدة إلى حد الصدام ومحاصرة البابا فى دير وادى النطرون بقوات عسكرية لمنعه من مغادرة الدير أو الاتصال بالأقباط وتعيين لجنة خماسية تقوم بمهام البابا بالمخالفة لقوانين الكنيسة !!

ولما كان شعب مصر لم يعرف فى حياته مثل هذه الأجواء المشحونة بالتوتر والتعصب والتطرف سواء على عهد الرئيس جمال عبد الناصر أو على عهد الرئيس حسنى مبارك فقد فرض السؤال نفسه : لماذا اذن كانت فى عهد الرئيس أنور السادات فقط ؟!!

ومن أجل البحث عن الاجابة على هذا السؤال بدأ المؤلف رحلة البحث والتحرى ملتزما بالموضوعية والبعد عن التعصب الدينى .

وليس غريبا أن يتصدى لهذا العمل مسلم يؤمن بتعانق الأديان السماوية ويؤمن بأن للأقباط حقوقا على المسلمين باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من نسيج الشعب المصرى

الناشر

دار A.M للنشر والتوزيع